الفاطميون

وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن

منتديات المكتبة العربية
www.TipsClub.net
amly

دار الآفاق العربية

الطبعة الأولي

١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع	٢٩٠٩ / ٢٠٠١
الترقيم الدولي	977 - 344 - 001 - X

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت : ٢٦١٠١٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

" فأمَّا الزَّبدُ فيذهَبُ
جُفَاءً وأمَّا ما ينفعُ النَّاس
فيمكُثُ فى الأرضِ
كذلِكَ يَضرِبُ اللهُ الأمثال

الآية ١٧ سورة الرعد

إهـــــداء

إلى روح والدى الطاهرة طيب الله ثراه

إلى أمى الحبيبة أطال الله عمرها

إلى استاذى الفاضل الجليل

أ.د/ مصطفى عبد الله شيحه

متعه الله سبحانه وتعالى بالصحة والعافية

المحتويات

إهـــداء ٦

مقدمـــة ١٣-١٥

الفصل الأول

الاحداث السياسية فى اليمن وقيام الدولة الإسماعيلية الأولى ١٧-٣٢

الفصل الثانى

الدولة الفاطمية فى أفريقية وآثارها الإسلامية ٣٣-٥٢

- مدينة رقادة واعلان الدولة الفاطمية ٣٦-٣٨
- مدينة المهدية وجامعها ٣٨-٤٢
- مدينة زويلة ٤٢-٤٣
- طرابلس الغرب وبرقة وبداية النفوذ الفاطمى ٤٣-٤٥
- مدينة صبرة (المنصورية) ٤٥-٤٦
- الخليفة المعز لدين الله والاستيلاء على مصر ٤٦
- الآثار الفاطمية بطرابلس الغرب وبرقة ٤٧-٤٨

الفصل الثالث

قيام الدولة الصليحية فى اليمن ٥٣-٨٤

- الداعى على بن محمد الصليحى (٤٣٩ ـ ٤٥٩هـ/ ١٠٤٧ ـ ١٠٦٦م) ٥٥-٦٥
- المكرم أحمد بن على الصليحى (٤٥٩ ـ ٤٧٨هـ/ ١٠٦٦ ـ ١٠٨٥م) ٦٥-٦٩
- الملكة الحرة السيدة بنت أحمد (٤٧٨ ـ ٥٣٢هـ/ ١٠٨٥ ـ ١١٣٧م) ٦٩-٧٣

الفصل الرابع

علاقة الدولة الصليحية فى اليمن بالخلافة الفاطمية فى مصر ٨٥-١١٠

- الصليحى ـ المستنصر بالله ٨٨-٩١

ـ المكرم أحمد ـ المستنصر بالله ٩١-٩٣
ـ السيدة بنت أحمد ـ المستنصر بالله، المستعلى بالله، الآمر بأحكام الله، الحافظ لدين الله ٩٣-١٠٢

الفصل الخامس

آثار الدولة الصليحية المندثرة فى اليمن ١١١-١٣٦
ـ مدينة صنعاء ١١٣-١١٥
ـ مدينة ذى جبلة ١١٦-١٢٠
ـ حصن التعكر ١٢١-١٢٢
ـ الاستحكامات الحربية ١٢٢-١٢٥
ـ العمائر الدينية ١٢٥-١٣١

الفصل السادس

جامع ومشهد السيدة بنت أحمد ١٣٧-١٦٤
ـ جامع السيدة بنت أحمد (جامع ذى جبلة) ١٣٩-١٥١
ـ التخطيط
ـ العناصر المعمارية
ـ تطور عمارة المسجد فى عصر الدولة الصليحية ١٥١-١٥٦
ـ مشهد السيدة بنت أحمد ١٥٧-١٦٠

الفصل السابع

الآثار الدينية الصليحية فى اليمن والآثار الدينية الفاطمية فى مصر

«دراسة مقارنة» ١٦٥-٢٢٤
ـ أولاً: عمارة المسجد ١٦٧-٢٠٦
ـ الموقع وأثره
ـ التخطيط العام
ـ العناصر المعمارية
ـ ثانيا: عمارة المشهد ٢٠٦-٢١٢
ـ التخطيط العام

- العناصر المعمارية

الفصل الثامن

العناصر الزخرفية ٢٢٥-٢٥٠

- الزخارف النباتية ٢٢٨-٢٣٨
- الزخارف الهندسية ٢٣٨-٢٤١
- النقوش الكتابية ٢٤١-٢٤٧

الفصل التاسع

الاستحكامات الحربية الباقية ٢٥١-٢٦٤

- الأسوار والأبواب ٢٥٤-٢٥٦
- باب النصر ٢٥٦-٢٥٨
- باب الفتوح ٢٥٨-٢٦٠
- باب زويلة ٢٦٠-٢٦١

الخاتمة ٢٦٥-٢٦٩

- ثبت الاشكال واللوحات ٢٧٠-٢٧٥
- ثبت المصادر والمراجع ٢٧٧-٢٩٦
- كتالوج الاشكال واللوحات

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

« وبعد »

يهدف موضوع هذا الكتاب إلى دراسة الآثار الإسلامية الدينية والمدنية والحربية فى أفريقية ومصر وبلاد اليمن خلال العصر الفاطمى، وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية، خاصة فى بلاد اليمن خلال عصر الدولة الإسماعيلية الثانية (الدولة الصليحية) (٤٣٩-٥٣٢هـ / ١٠٤٧-١١٣٧م)، حيث ارتبطت هذه الدولة إرتباطا وثيقا بالخلافة الفاطمية فى مصر من الناحيتين السياسية والدينية، فقد شهد القرن الخامس والسادس الهجريين/ الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين علاقات ودية وطيبة وقوية بين الصليحيين فى اليمن والفاطميين فى مصر حيث إعتبر الصليحيون أنفسهم نوابا للخليفة الفاطمى فى مصر، واستمرت هذه العلاقات الودية حتى نهاية الربع الأول من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى مما كان له أعظم الأثر فى إزدهار العمارة والفنون الإسلامية إزدهاراً عظيماً باليمن فى مدن صنعاء وذى جبلة والتعكر وإب وغيرها من المدن والقرى اليمنية.

وكان طبيعيا أن يتركز الاهتمام أولا على دراسة الجانب التاريخى فتطرق موضوع الكتاب إلى الدولة الإسماعيلية الأولى التى أسسها الداعيان ابن حوشب وعلى بن الفضل، ثم توضيح الدور الهام الذى أسهمت به بلاد اليمن فى قيام الدولة الفاطمية فى أفريقية، ثم العلاقات المتبادلة بين الإسماعيلية فى بلاد اليمن والدولة الفاطمية فى أفريقية من جهة، وبين الدولة الصليحية فى اليمن والخلافة

الفاطمية فى مصر من جهة أخرى وذلك للتمهيد للدراسة المعمارية والزخرفية المقارنة بين الآثار الفاطمية المعمارية فى أفريقية ومصر والآثار المعمارية الصليحية فى اليمن لايضاح الموروث القديم والمؤثرات البيئية والتأثيرات الوافدة، خاصة فيما يتعلق بالآثار اليمنية.

وقد قسمت هذا الكتاب إلى مقدمة وتسعة فصول، تناولت فى الفصل الأول الأحداث السياسية فى بلاد اليمن وقيام الدولة الإسماعيلية الأولى على يد الداعى ابن حوشب والداعى على بن الفضل، وهى المرحلة التى تميزت فيها الدعوة الإسماعيلية بالقوة والعلانية، ثم تناولت انتهاء هذه الدولة وإنتقال الدعوة إلى مرحلة السرية والضعف حتى قيام الدولة الإسماعيلية الثانية (الدولة الصليحية) وتناولت فى الفصل الثانى قيام الدولة الفاطمية فى أفريقية وآثارها الإسلامية، ثم تناولت فى الفصل الثالث قيام الدولة الصليحية فى اليمن وأهم الأحداث التى مرت بها من الناحية السياسية منذ نشأتها على يد الداعى على بن محمد الصليحى حتى الملكة الحرة السيدة بنت أحمد زوجة الملك المكرم أحمد بن على الصليحى، وفى الفصل الرابع تناولت العلاقات المتبادلة بين الدولة الصليحية فى اليمن والخلافة الفاطمية فى مصر، وقد اعتمدت فى دراسة هذه العلاقات إعتمادا كبيرا على السجلات المستنصرية، خاصة فى تحقيق بعض الأحداث الهامة فى عصر الدولة الصليحية، وقد شملت هذه الدراسة العلاقة بين الصليحى والخليفة المستنصر بالله ثم العلاقة بين الملك المكرم أحمد بن على والخليفة المستنصر بالله، ثم العلاقة بين الملكة الحرة السيدة بنت أحمد والخليفة المستنصر بالله ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين، وقد بلغت هذه العلاقات أوج ازدهارها خلال عصر الملكة الحرة السيدة بنت أحمد، وقد قسمت العلاقات فى عصرها إلى مرحلتين الأولى فى حياة الملك المكرم زوجها والثانية بعد وفاة الملك المكرم وتفويضها من قبل الخلافة الفاطمية فى مصر بامور الدعوة والدولة.

وفى الفصل الخامس تناولت آثار الدولة الصليحية المندثرة فى اليمن وهى الآثار التى تنوعت ما بين آثار دينية ومدنية وحربية مع دراسة شملت مدن وقرى اليمن خلال تلك الفترة اذكر منها على سبيل المثال صنعاء وذى جبلة والتعكر

وإب، وفى الفصل السادس تناولت من خلال دراسة أثرية معمارية جامع الملكة الحرة السيدة بنت أحمد بذى جبلة، وقد شملت هذه الدراسة التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية، كما شملت الدراسة مشهد السيدة بنت أحمد بجامعها بذى جبلة من حيث التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية، وقد تناولت فى الفصل السابع الآثار الصليحية فى اليمن والآثار الفاطمية فى مصر من خلال دراسة مقارنة شملت التخطيط والعناصر المعمارية وذلك لايضاح الموروث القديم والمؤثراتَ البيئية فى العمارة اليمنية والتأثيرات الوافدة عليها ، واء من أفريقية أو من مصر، وقد تناولت الدراسة عمارة المسجد ثم تناولت عمارة المشهد فى البلدين.

أما الفصل الثامن فقد تناولت فيه العناصر الزخرفية فى عمارة المساجد والمشاهد فى بلاد اليمن ومصر من خلال دراسة مقارنة شملت العناصر الزخرفية النباتية والهندسية والأشكال المعمارية والكتابات الكوفية، وقد تناولت فى الفصل التاسع والأخير الإستحكامات الحربية، خاصة تلك التى وجدت بمصر فى العصر الفاطمى، حيث إندثرت هذه الاستحكامات فى بلاد اليمن ولم تصل الينا، وقد شملت هذه الدراسة ثلاثة ابواب هى باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة.

وقد لخصت فى الخاتمة ما توصلت إليه من نتائج ثم اتبعت الخاتمة بثبت للأشكال واللوحات ثم قائمة المصادر والمراجع.

اسأل الله أن يوفقنى لمتابعة البحث فى مجال الآثار والفنون الإسلامية، وأرجو ان يكون كتابى هذا حافزاً للدارسين للإهتمام فى بحوثهم بالدراسات المقارنة فى مجال العمارة والفنون الإسلامية، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب.

د. عبد الله كامل موسى عبده

القاهرة ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠م

الأحداث السياسية
فى اليمن
وقيام الدولة الإسماعيلية الأولى

ازدهرت الحضارة عامة فى بلاد اليمن[١] خلال العصور المتعاقبة قبل العصر الإسلامى، وبإنتشار الإسلام كانت اليمن فى مقدمة البلاد العربية التى دخلت قبائلها أفواجا فى الإسلام[٢].

ومنذ ان دخلت هذه القبائل فى الإسلام ظلت مشاركتهم واضحة وقوية، وهو الأمر الذى تمثل فى مشاركتهم الفعالة فى نشر الإسلام خلال الفتوحات الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى وغربه، منذ عصر الرسول ﷺ ومرورا بعصر الخلفاء الراشدين، فقد ظلوا على عهدهم فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه عندما دعاهم إلى الجهاد، وحاربوا تحت راية الإمام على بن ابى طالب رضى الله عنه، وكان له الثناء العظيم على قبائل اليمن، خاصة همدان[٣]، كما كانوا فى طليعة الفاتحين لفارس وسوريا والاندلس وغيرها[٤].

هذا وقد تبعت بلاد اليمن الخلافة الإسلامية منذ بدايتها فى عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ/ ٦٣٢-٦٦١م)، وكذلك خلال عصر الدولة الاموية (٤٠-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م)، اذ بعث خلفاء هذه الدولة بولاة لهم على اليمن، كما إستمر الحال خلال العصر العباسى الأول حتى قامت الدويلات المستقلة الأولى التى حكمت بلاد اليمن ومنها الدولة الزيادية، والدولة اليعفرية، والدولة الإسماعيلية الأولى[٥].

وكانت المذاهب الدينية المختلفة قد شقت طريقها إلى اليمن مبكرا، فقد ظهر المذهب الاباضى[٦] فى حضرموت كقوة سياسية منذ عام ١٢٩هـ/ ٧٤٦م، ثم

تلاه المذهب الإسماعيلى الفاطمى فى بداية النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى، ثم تلاه المذهب الزيدى فى اواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى على يد الامام يحيى بن الحسين(٧).

والزيدية(٨) هم أتباع زيد بن على، وقد قام الإمام الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى(٩) ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م بجهد كبير فى سبيل توحيد اليمن تحت ظل دولة واحدة، غير ان النجاح لم يحالفه فى هذا الأمر، وان كان قد استطاع ان يرسى مبادئ المذهب الزيدى باليمن الذى سرعان ما انتشر بعد ذلك(١٠).

والواقع ان التشيع فى بلاد اليمن قد انتشر منذ عهد الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه، فقد كان أول سفير لليمن من قبل الرسول ﷺ، وقد زار الامام على اليمن ثلاث مرات وأسلم على يديه كثير من اليمنيين، وجاهدت معه قبائل همدان فى حروبه، فضحوا بكل غال ونفيس فى سبيله(١١).

ويعد عبد الله بن سبأ، وهو رجل من أهل صنعاء(١٢) أول من وضع عقائد مذهب الشيعة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه (٢٣-٣٥هـ / ٦٤٤-٦٥٦م) فقد تنقل فى البلاد الإسلامية فبدأ بالحجاز ثم البصرة فالكوفة ومنها إلى الشام فمصر، وظل التشيع مستترافى بلاد اليمن طوال العصرين الأموى والعباسى الأول، وظلت الفرقة الشيعية تعمل فى الخفاء بسبب ما لا قود من ضغط الحكام والولاة، ثم تعود إلى الظهور كلما سنحت لها الفرصة(١٣).

وكانت هذه الفرصة مهيأة فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى، حيث خرجت بلاد اليمن من حكم العباسيين بسبب نجاح الدعوة الاسماعيلية التى تنسب إلى إسماعيل بن جعفر بن موسى الكاظم بن محمد الباقر العلوى وهى الدعوة التى بدأت منذ عام ٢٦٦ هـ/ ٨٧٩م، ويرجع الفضل فى نجاح هذه الدعوة وتكوين الدولة الإسماعيلية الأولى إلى الداعى ابن حوشب(١٤) المعروف بمنصور اليمن الذى كان يعتنق مذهب الإمامية(١٥) الإثنا عشرية ثم تحول إلى المذهب الإسماعيلى والداعى على(١٦) بن الفضل(١٧).

ولقد كان لعلاقة هذه المذاهب التى انتشرت فى اليمن أكبر الأثر فى تردى الأحوال فيها، وبلغ هذا التردى ذروته خلال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، والواقع ان الخلاف المتمثل بين الفرق الشيعية الرئيسية الثلاثة فى اليمن الزيدية والامامية الاثنا عشرية والاسماعيلية فيما يتعلق بنظام الامامة السياسية فى مواجهة أهل السنة كان كبيرا حيث اختلفت هذه الفرق الثلاثة فى هذا الشأن فالزيدية تبنت مبدأ الامامة السياسية وجعلت من الخروج مبدءا اساسيا لارائها المعارضة المتمثلة فى سلاح السيف، اما الاثنا عشرية فقد تبنت مبدأ الإمامة الروحية واتخذت من التقية مبدءا ومعارضتها متمثلة فى سلاح الكلمة، والاسماعيلية[١٨] تبنت مبدأ الامامة الباطنية القائمة على القول بالظاهر والباطن هادفة بذلك إلى إخفاء مقاصدها أى انها المعارضة المتمثلة فى سلاح الحركات السرية[١٩].

فالزيدية أكثر الفرق الثلاثة علانية وصراحة على حين كانت الاثنا عشرية اكثرها توجسا وارتيابا، كما كانت الاسماعيلية اكثرها غموضا والتواء، وهذه الامور متعلقة بالسياسة وان تزيت بزى الدين[٢٠].

وعلى الجانب الآخر انتشرت بعض المذاهب السنية فى اليمن، فقد انتشر المذهب المالكى والحنفى فى المائة الثالثة من الهجرة، ولم يقدر لمذهب ابى حنيفة ان ينتشر ويستمر فى اليمن بعد المائة الثالثة فقد حل مكانه مذهب الشافعى،وقد واجه هذا المذهب تحديا كبيرا من طائفة الاسماعيلية فى هذه الفترة[٢١].

وقد تغلغلت هذه المذاهب فى نفوس الناس كنتيجة طبيعية لتفاعل المجتمع نتيجة هذه الأحداث التى ادت فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى إلى وجود مذاهب متشعبة خاصة فى بلاد اليمن الأعلى[٢٢] كالحنفية والمالكية والشافعية والهادوية نسبة إلى الامام الهادى يحيى بن الحسين إضافة إلى مذهب السلف الذى كان يسود، وهم الذين لا ينتمون إلى أى إمام من أئمة المذاهب اما عن اليمن الاسفل[٢٣] فقد لزم أهله مذاهب أهل السنة[٢٤].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أدى تنوع المذاهب الإسلامية فى اليمن إلى تنوع الثقافات الدينية وظهور العديد من المؤلفات التى يناقش ويشرح فيها مؤلفوها مذاهبهم ويبرزون سماتها ويردون على المذاهب الاخرى، وهذه الاختلافات الشديدة فى المذاهب والاضطرابات والفتن بين الشيعة اسماعيلية وزيدية من جهة وبين الشيعة وأهل السنة من جهة أخرى ادت إلى عدم وجود وحدة سياسية للبلاد بالإضافة إلى أن طبيعة البلاد الجبلية ساعدت على تقسيم اليمن إلى مناطق متعددة منفصلة عن بعضها، مما جعل من الصعب خضوعها لحكومة مركزية موحدة، مما كان له أكبر الأثر فى التمهيد لقيام الدولة الاسماعيلية الأولى التى اسسها الداعيان ابن حوشب وعلى بن الفضل، لان أرض اليمن فى ذلك الوقت كانت ارضا خصبة لنشر مبادئ المذهب الاسماعيلى(٢٥).

ففى عهد الإمام محمد الحبيب أبى عبيد الله المهدى حانت الفرصة لاقامة دولة اسماعيلية فى بلاد اليمن، فأرسل ابن حوشب وعلى بن الفضل فى عام ٢٦٦هـ / ٨٧٩م إلى بلاد اليمن، وقد أمر ابن حوشب بلزوم العبادة والزهد ودعاء الناس للمهدى فسار ابن حوشب إلى اليمن «ونزل بعدن، بقرب قوم من الشيعة يعرفون ببنى موسى، واخذ فى بيع ما معه. واتاه بنو موسى، وقالوا له: فيم جئت؟ قال: للتجارة. قالوا لست بتاجر، وانما انت رسول المهدى، وقد بلغنا خبرك ونحن بنو موسى، ولعلك قد سمعت بنا، فانبسط ولا تحتشم، فانا اخوانك. فاظهر امره»(٢٦).

واصبح فى بلاد اليمن بعد ظهور ابن حوشب فى عام ٢٦٨هـ/ ٨٨١م والامام الهادى يحيى بن الحسين فى عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م أربع ولايات، حيث كان بنو زياد يقيمون فى زبيد(٢٧)، وكان بنو يعفر يقيمون فى صنعاء ثم دخلوا تحت سيادة بنى زياد، وتفصيل ذلك ان ابا عبيد الله المهدى الامام الفاطمى كان قد ارسل ابن حوشب وعلى بن الفضل لنشر الدعوة الاسماعيلية وتكوين الدولة فبلغا مكة فى ذى الحجة ٢٦٧ هـ/ ٨٨٠م، ثم إلى بلاد اليمن ونزلا ببلدة تسمى

غليفقة[٢٨] على البحر الاحمر، ثم اتجه ابن حوشب جنوبا حتى بلغ مدينة الجند[٢٩] الجبلية جنوبى صنعاء، وقصد ابن فضل يافع[٣٠] الجبلية القريبة من الجند، وقصد ابن حوشب عدن لاعة[٣١]، وكانت لاعة هى مركز نشر الدعوة الاسماعيلية فى اليمن، واستطاع ابن حوشب من خلالها ان يمد نفوذه وينشئ دولة موالية للامام عبيد الله المهدى رغم الجو السياسى المضطرب، وقد ظلت هذه الدولة قائمة حتى وفاة ابن حوشب فى عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، وقد عرفت فى التاريخ الإسلامى بالدولة الإسماعيلية الأولى.

اما على بن الفضل فتوجه من يافع إلى سلطان لحج[٣٢]، ثم إلى المذيخرة[٣٣] فهزم المناخى وجعل المذيخرة حاضرة ملكه وفتح البلاد واستفحل امره وقصد صنعاء فملكها فى عام ٢٩٩هـ/ ٩١١م وادعى النبوة، وقصد زبيد وبها ابو الحسن اسحق بن زياد وقويت شوكته فدعا إلى نفسه وترك الدعوة للمهدى، وخالف ابن حوشب الذى تحصن منه بمسور، وعاد إلى المذيخرة، ولم يزل يعلو امره حتى قتله الشريف الواصل من العراق[٣٤].

يتبين من خلال هذه الاحداث التى مرت بها الدولة الاسماعيلية الأولى مدى أمانة الداعى ابن حوشب فى مهمته التى كلف بها من قبل الامام محمد الحبيب، ثم الامام المهدى عبيد الله الخليفة الفاطمى، وكان له الاثر الاكبر فى بقاء الدعوة الاسماعيلية فى قلوب أهل اليمن لانه كان قدوة حسنة للذين اعتنقوا المذهب الاسماعيلى، فقد ظل على ولائه للفاطميين إلى آخر حياته، وكان من الممكن ان يسلك مسلك على بن الفضل ويلبى دعوته بالاستقلال عن الفاطميين، ولكنه ابى فضرب بذلك اروع الامثلة على الوفاء بالعهد والثبات على المبدأ.

وبموت ابن حوشب انتهت الدولة الاسماعيلية الأولى وانتقلت الدعوة من العلانية والقوة إلى السرية والضعف خوفا وتسترا، وظلت كامنة فى القلوب حتى تفرصة الملائمة للظهور، وتعاقب الدعاة الاسماعيليون على شئون [illegible] فمنهم حتى تاريخ قيام الداعى على بن محمد الصليحى مؤسس [illegible]

الاسماعيلية الثانية فى اليمن، وهى الدولة التى عرفت بالدولة الصليحية نسبة إليه الداعى عبد الله بن عباس الشاورى[٣٥] الذى استخلفه ابن حوشب وكتب ابن عباس إلى عبيد الله المهدى يسأله الولاية وعزل أولاد ابن حوشب، فولاه المهدى وبعث له بسبع رايات فنقم على ذلك أبو الحسن وتمكن من قتل ابن عباس[٣٦]. وولى أبو الحسن الأمر فولى ما كان أبوه يلى وتتبع من كان على مذهب أبيه يقتلهم فأباد القرامطة[٣٧]. وبقى منهم قوم يتكتمون منه وأقاموا ناموسهم برجل منهم، وكان يكاتب بنى عبيد، ثم قتل أبا الحسن وكان قد استخلف على مسور إبراهيم بن عبد الحميد السباعى[٣٨] وتتبع الاسماعيلية فبقى منهم قوم فى ناحية جبل مسور، فأقاموا منهم ابن الطفيل فقتله إبراهيم بن عبد الحميد، ثم أقاموا ابن رحيم وذلك فى ايام المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد، وكان ابن رحيم لا يستقر فى موضع واحد خوفا من المنتاب وهو يكاتب بنى عبيد، وذلك بعد خروج المعز من القيروان إلى مصر فلم يزل ابن رحيم كذلك حتى مات وإستخلف رجلا يقال له يوسف بن الأمشج يدعو إلى الخليفة الحاكم ويبايع له على وجه السر حتى مات[٣٩]، وإستخلف يوسف بن الأمشج على مذهبه سليمان بن عبد الله الزواحى[٤٠].

أقام سليمان يدعو إلى الخليفة الحاكم وإلى الخليفة الظاهر والخليفة المستنصر، وكان كثير المال عظيم الجاه وكان فى أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر من بنى عبيد، وكان يكرم الناس ويتلطف بهم فلم يزل كذلك حتى مات، وكلما هم به المسلمون من حمير وشبام وماحوله من القبائل دفعهم بالجميل وقال لهم: أنا رجل مسلم فكيف يحل لكم قتلى فينتهون عنه[٤١].

وإنتقلت الدعوة إلى على بن محمد الصليحى الذى كان كثير الخلطة والمعاشرة بالداعى سليمان بن عبد الله الزواحى وكان أطوع أهل مذهبه له، وعندما حضرت الزواحى الوفاة أوصاه بأهل مذهبه وأمرهم بطاعته وسلمه مالا كثيرا، ولم يمت الزواحى حتى غرس فى قلب الداعى على بن محمد الصليحى وسمعه مذهب الإسماعيلية[٤٢].

هوامش وتعليقات الفصل الأول

(١) سميت اليمن لتيامنهم اليها، قال ياقوت ان قولهم تيامن الناس فسموا اليمن، فيه نظر، لان الكعبة مربعة فلا يمين لها ولا يسار الا ان يريد بذلك من يستقبل الركن اليمانى، وقيل سميت الشام لاخذهم الشمال، وعرفت اليمن منذ القدم بالعربية السعيدة، وقد اشتق اسمها من اليمن وهو الرخاء والبركة، وسميت باسم يمن بن قحطان، وقيل سمى اليمن بيمن بن قيدار. مزيد من التفاصيل انظر:

ياقوت الحموى: معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٦م، جـ ٥، ص ٤٤٧، عمر رضا كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، دمشق، ص ص ٣١٣-٣١٥.

(٢) الطبرى (ابى جعفر محمد بن جرير): تاريخ الامم والملوك، القاهرة، ١٣٤٦هـ، جـ ٤، مج ١، ص ١٧٣٢.

(٣) همدان: اشهر قبائل اليمن، وهم ولد همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وتنحصر قبائلهم فى الفرعين الرئيسيين باليمن حاشد وبكيل ابنى جشم بن خير ان بن نون بن تبع بن زيد، وكانوا شيعة لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه وهو المنشد فيهم.

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ابن سعد: الطبقات الكبرى، القاهرة، ١٣٥٨هـ، جـ ٢، ص ص ١٠٤-١٠٥، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، فاس ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، جـ٢، ص ص ٢٩-٣٠.، د. مصطفى عبد الله شيحه: شواهد قبور اسلامية من جبانة صعدة باليمن، القاهرة، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م، جـ ١، ص ٢٠ هامش ٤.

(٤) الجرافى: المقتطف من تاريخ اليمن، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٣.

(٥) د. عصام الدين عبد الرءوف: اليمن فى ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول، دار الفكر العربى، ط ١، ١٩٨٣م، ص ص ٤-٥.

(٦) الاباضية: ظهر الاباضية فى حضرموت كقوة سياسية ذات شأن، وهم ينتسبون إلى عبد الله بن اباض بكسر الهمزة وقد تلفظ بفتحها فلذلك سموا أباضية، وهو المذهب الغالب فى بلاد عمان، وقد ظهر فى شمال افريقية فى اواسط القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى وانتشر كثيرا بين البربر.

سالم بن حمود السيابى: الحقيقة والمجاز فى تاريخ الاباضية باليمن والحجاز، سلطنة عمان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٣٥.

(٧) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢١ هامش ١.

(٨) الزيدية: هم اتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنه، ساقوا الامامة فى أولاد فاطمة رضى الله عنها ولم يجوزوا ثبوت الامامة فى غيرهم، الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمى عالم شجاع سخى خرج بالامامة ان يكون اماما سواء كان من اولاد الحسن أو من اولاد الحسين رضى الله عنهما، وتتلمذ زيد بن على لواصل بن عطاء، وكان مذهبه جواز امامة المفضول مع قيام الافضل فقال «كان على بن ابى طالب رضى الله عنه افضل الصحابة الا ان الخلافة فوضت إلى ابى بكر الصديق رضى الله عنه لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة».

الاسفراينى: التبصير فى الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٦، الشهر ستانى: الملل والنحل، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ص ١٥٤-١٥٧، حسين بن أحمد العرشى: بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وامام، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، ص ص ٣٣٧ - ٣٣٨.، د. أحمد محمود صبحى: الزيدية، الاسكندرية، ١٩٨٠م، جـ ١، مج ٢، ص ص ٥٠-٥٥.

(٩) بنو الرسى: هم بنو القاسم الرسى بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل الديباج بن ابراهيم الغمر بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ودارهم صنعاء، واول من قام بالامامة منهم يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى فى حياة ابيه وتلقب الهادى وملك صعدة وصنعاء ومامعهما.

القلقشندى: قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق ابراهيم الابيارى، القاهرة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ص ١٦٢ - ١٦٣.

(١٠) القلقشندى: قلائد الجمان، ص ١٦٣.، د. محمد رضا الدجيلى: الحياة الفكرية فى اليمن، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٤٩.

(١١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص ص ١٣ - ١٥.

(١٢) صنعاء: منسوبة إلى جودة الصنعة والنسبة اليها صنعانى، وهى قصبة اليمن. مزيد من التفاصيل انظر:

الهمدانى: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن على الأكوع، صنعاء، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ص ١٠٢ - ١٠٣.

(١٣) د. حسين الهمدانى: الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن، القاهرة، ١٩٥٥م. ص ٢٤.، محمد يحيى الحداد: تاريخ اليمن السياسى، دار وهدان، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، جـ٢.

(١٤) ابن حوشب: ولد بالكوفة ونشأ فى اسرة اشتهرت بالعلم، وخاصة الفقه والحديث، وكان يدين فى مستهل حياته بعقائد مذهب الامامية الاثنا عشرية كسائر افراد اسرته ثم تحول إلى المذهب الاسماعيلى على يد الامام محمد الحبيب ابى عبيد الله المهدى.

د. حسن ابراهيم حسن: اليمن البلاد السعيدة، القاهرة، ص ٦٥.، العرشى: بلوغ المرام، ص ص ٢٢ - ٢٣.

(١٥) الامامية: هم انصار جعفر الصادق والامام حسب معتقداتهم يكتسب حقه فى الامامة بطريق الوراثة عن الامام على بن ابى طالب باعتباره خليفة النبى ﷺ شرعا، ويعتبر الامام فوق ذلك وريث النبى عن فاطمة ويغلب فى اختياره ان يكون اكبر ابناء ابيه سنا، بيدان خروج فريق من هذه الطائفة على هذه القاعدة بعد موت جعفر الصادق ادى إلى انقسام الامامية إلى فرقتين الاثنا عشرية والاسماعيلية.

الشهرستانى: الملل، ص ص ١٦٢-١٦٩.، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، جـ ١، ص ص ٥٣-٥٤.، احسان الهى ظهير: الشيعة والسنة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٢٤.

(١٦) على بن الفضل: من ذرية جدن والاجدون من سبأ صهيب واصله من جيشان، وكان أول امره يعتنق الاثنا عشرية.

الحمادى اليمانى: كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة، تحقيق الشيخ محمد بن الحسن الكوثرى، مكتبة الخانجى بمصر، المثنى ببغداد، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص ص ٢٠١ - ٢٠٣.، العرشى: بلوغ، ص ص ٢٢ - ٢٣.

(١٧) د. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، الدينى، الثقافى، الاجتماعى، القاهرة، ١٩٧٣م، جـ٣، ص ١٩٣.، د. احمد محمود صبحى: الزيدية، ص ٥٠.

(١٨) الاسماعيلية: امتازت عن الموسوية وعن الاثنا عشرية بإثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر وهو ابنه الاكبر المنصوص عليه فى بد الامر، وقد ذكرنا اختلافاتهم فى موته حال ابيه فمنهم من قال انه مات وانما فائدة النص عليه انتقال الامامة منه إلى أولاده خاصة، ومنهم من قال انه لم يمت ولكنه اظهر موته تقيه عليه حتى لا يقصد بالقتل واشهر القابهم الباطنية ولهم القاب كثيرة، ويقولون ان الامامة انتقلت بعد الامام على إلى ابنه الحسن ثم إلى أخيه الحسين ثم على زين العابدين ثم إلى ابنه محمد الباقر ثم إلى ابنه جعفر الصادق ثم إلى ابنه محمد المكتوم ثم إلى ابنه جعفر الصادق ثم إلى ابنه محمد الحبيب ثم إلى ابنه عبيد الله المهدى أول خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب.

الشهرستانى: الملل، ص ص ١٩١ - ١٩٨.، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٠١.، د. احمد محمود صبحى: الزيدية، ص ٥٠.

(١٩) د. أحمد محمود صبحى: الزيدية، ص ص ٥٥ - ٥٦.

(٢٠) د. أحمد محمود صبحى: الزيدية، ص ٥٧.

(٢١) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، لبنان، ص ٧٩.، د. عصام الدين عبد الرءوف: اليمن، ص ٣٢٣.، د. ايمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن، الدار المصرية اللبنانية، ص ص ٥٨ - ٥٩.

(٢٢) اليمن الاعلى هو من المنحدرات الشرقية من سمارة جنوبا حتى منتهى اليمن شمالا.

الجندى: السلوك فى طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن على الاكوع، اليمن ١٩٨٣م، جـ ١، ص ٢٨.

اليمن الاسفل من قمة سمارة شمالا حتى منتهى اليمن جنوبا بما فى ذلك قطر تهامة.

الجندى: السلوك، جـ١، ص ٢٨، عمر رضا كحالة: جغرافية، ص ٣١٦.

(٢٤) الجندى: السلوك، جـ ١، ص ص ٢٨ - ٣١.

(٢٥) د. محمد عبد العال أحمد: الايوبيون فى اليمن، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٢٨.

(٢٦) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، جـ٦، ص ص ٥٨٢ - ٥٨٣.

(٢٧) زبيد: اسم واد به مدينة يقال الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادى، وهى مدينة عظيمة وليس باليمن بعد صنعاء اكبر منها ولا اغنى من اهلها واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه وهى برية لاشطية كثيرة العمارة ولا هلها حسن الاخلاق وجمال الصور.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، جـ ١٠، ص ١٣١.

(٢٨) غليفقة: ذكرها صفى الدين البغدادى غلافقة بالفتح وهى مرسى زبيد بينها وبين زبيد ١٥ ميلا.

صفى الدين البغدادى: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة، ١٩٥٥م، جـ ٣، ص ١٤٨٤.

(٢٩) الجند: يطلق على المدينة الاثرية وعلى نفس المخلاف نسبة إلى الجند بن شهر بطن المعافر، والمدينة قديمة ذات تاريخ طويل واحد أسواق العرب الشهيرة.

د. احمد فخرى: اليمن بين القديم والجديد، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٤٨.

(٣٠) يافع: تشمل بلاد المفلحى وآل هرهرة وآل عيذروس وآل النقيب، ويحدها شمالا وادى حمرة وجنوبا بلاد الفضلى وشرقا وادى مكيرس وغربا وادى ابين وموقعها بين الجبال ما بين ١٥٠٠، ٢٥٠٠م من سطح البحر ومعظم يافع جبلية، وقبيلتها من امنع قبائل الجنوب.

حسين الويسى: اليمن الكبرى، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٣.

(٣١) عدن لاعة: لاعة بالعين المهملة مدينة فى جبل صبر من نواحى اليمن وإلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة، وهى من المناطق المشهورة بالخصب وغزارة المياه، وفيها ظهرت الدعوة الاسماعيلية، اما عدن ابين فمخلاف باليمن منه عدن ويقال انه سمى بابين بن زهير.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١ ،جـ١، ص ٨٦. صفى الدين البغدادى: مراصد، جـ٣، ص ١١٩٤.

(٣٢) لحج: مخلاف باليمن ينسب إلى لحج بن وائل بن الغوث.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٥، جـ ١٧، ص ١٤.

(٣٣) المذيخرة: اسم قلعة حصينة فى رأس جبل صبر وفيها عين يصير منها نهر يسقى عدة قرى وهى قرب عدن، وتعتبر روضة ذات ينابيع غزيرة وزروع وفواكه وهى قصر الملوك المناخيين الحميريين وعاصمة ابن الفضل الجدنى. ابن حوقل: صورة الارض، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٤٣. صفى الدين البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ ٣، ص ١٢٤٩.

(٣٤) العرشى: بلوغ المرام، ص ص ٢٢ - ٢٣.

(٣٥) الحمادى اليمانى: كشف اسرار، ص ٢١٦.

(٣٦) الحمادى اليمانى: كشف أسرار، ص ٢١٧.

(٣٧) القرامطة: طائفة دينية ذات مبادئ دينية وسياسية وإجتماعية متطرفة ذاعت مبادؤها فى نهاية القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى واستمرت حتى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى وزعيمهم هو حمدان بن قرمط، بدأ تحركهم بسواد الكوفة عام ٢٧٨هـ وهددوا الخلافة الفاطمية فى مصر، انظر:

د. مصطفى شيحة: شواهد قبور، جـ١، ص ٢٨ حاشية ١.

ولم يفرق الحمادى اليمانى هنا بين القرامطة والإسماعيلية فأسمى الإسماعيلية قرامطة وهو الاسم المتداول فى بلاد اليمن.

(٣٨) إبراهيم بن عبد الحميد: كان يدين بمذهب الإسماعيلية وكان أبوه من كبار قواد ابن حوشب وأصله من قوم من حمير وخطب لأمير المؤمنين من بنى العباس وحكم بعده ابنه المنتاب بن إبراهيم أنظر:

الحمادى اليمانى: كشف اسرار، ص ٢١٨.

(٣٩) الحمادى اليمانى: كشف اسرار، ص ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٤٠) الزواحى: قرية من مخلاف حراز وإليها ينسب عامر بن عبد الله الزواحى وكان سليمان هذا من ضلع كوكبان من موضع يقال له الحفن وكان متعمقا بالمعارف وكثيرا ما كان يسكن شبام حمير، وتعتبر أسرة الزواحى من مؤسسى دولة الصليحى

وأقطابها ومنهم الفرسان والقادة والأمراء ولهم بقية حول شبام اقيان، انظر:

ياقوت الحموى: معجم البلدان، المجلد الثالث، جـ ١٠، ص ١٥٥.

عمارة اليمنى: تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن على الأكوع الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص ٩٥ - ٩٦ حاشية ١، ٢.

(٤١) الحادى اليمانى: كشف اسرار، ص ٢١٩.

(٤٢) الحمادى اليمانى: كشف اسرار، ص ٢١٩.

عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ٩٦ - ٩٧.

الدولة الفاطمية
فـــى
أفريقية وآثارها الإسلامية

ارتبطت الدعوة الاسماعيلية فى افريقية بالدعوة الاسماعيلية فى اليمن ارتباطا وثيقا فقد ارسل الامام عبيد الله المهدى فى عام ٢٧٨هـ/ ٨٩١م إلى اليمن ابا عبد الله الحسن بن احمد بن زكريا من اهل صنعاء والذى عرف بأبى عبد الله الشيعى[١]، فقد انس فيه المهدى الكفاية والفطنة ليتلقى اصول الدعوة عن الداعى ابن حوشب بعدن لاعة مركز الدعوة والدولة الإسماعيلية فى اليمن كما تقدم، وكان ابوه يعتنق اول الامر عقائد الاثنا عشرية[٢].

وقد عهد الداعى ابن حوشب إلى ابى عبد الله الشيعى القيام بالدعوة إلى هذا المذهب فى افريقية عندما علم بموت الحلوانى وابى سفيان داعيي الاسماعيلية فى افريقية، فخرج ابو عبد الله إلى مكة، والتقى هناك ببعض رؤساء كتامة واستمالهم إليه، ثم توجه إلى بلاد كتامة فى ربيع الأول من عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م ونزل على موسى بن حريث احد رؤساء كتامة، وسمى مكان منزله بفج الاخيار، وكان على أفريقية فى ذلك الوقت من الامراء الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠ - ٩٠٩ م) الأمير إبراهيم الثانى (٢٦١-٢٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٠٢م)[٣].

بدأ ابو عبد الله الشيعى مرحلة الكفاح المسلح منذ عام ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، وذلك عندما زحف على طبنة، وفى ذلك الوقت تولى زيادة الله الثالث آخر امراء الاغالبة (٢٩٠-٢٩٦هـ/ ٩٠٣-٩٠٩م)، وقد استطاع أبو عبد الله الانتصار على الحملة التى ارسلها زيادة الله بقيادة إبراهيم بن حبشى، وارسل الى الامام المهدى بسلمية من أرض حمص يخبره بالفتح ويطلب منه القدوم، واستمر ابو عبد الله فى انتصاراته حتى استولى على الاربس فى عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م ففر زيادة الله الثالث إلى مصر، ودخل ابو عبد الله مدينة رقادة حاضرة الاغالبة فسقطت دولة الاغالبة بسقوط القيروان فى نفس العام، وبذلك

توجت جهود الاسماعيلية بالنجاح وتمكنوا من تأسيس دولة لهم فى شمال أفريقية هى دولة العبيديين أو الدولة الفاطمية[٤]. اما فيما يتعلق بخروج المهدى من سلمية فقد اعتقد دعاته فى اليمن أن دولة المهدى ستظهر فى بلادهم، كذلك كان الحال بالنسبة لدعاته فى المغرب، وفى ذلك يذكر د. جمال الدين سرور[٥] ان المتتبع لرحلة المهدى من سلمية إلى مصر ثم إلى المغرب يتضح له انه لم يفكر فى الذهاب إلى اليمن، كما ان مناهضة على بن الفضل للدعوة الاسماعيلية فى اليمن لم تظهر الا بعد ان استقر الامر لعبيد الله المهدى، ويرى د. عصام الدين عبد الرءوف ان إعلان المهدى لخاصته ومواليه انه ذاهب إلى اليمن وغير وجهته من مصر إلى المغرب يتمشى مع ما جبل عليه الاسماعيليون من اظهار غير ما يبطنون، وحرص المهدى الا يتسرب الخبر إلى العباسيين[٦].

ويذكر د. حسين الهمدانى[٧] ان احتمال السبب الذى دفع الامام لتغيير رأيه سلوك ابن الفضل من خلال تقارير ابن حوشب عنه، ويرى د. محمد كامل حسين[٨] ان المهدى كان ذكيا موهوبا، كما كان سياسيا قديرا ادرك بثاقب رأيه ان بلاد اليمن بعيدة عن قلب العالم الإسلامى فمن الصعب ان تصلح مركز النشر الدعوة فى جميع البلاد، وكانت الظروف ممهدة فى اليمن اكثر منها فى افريقية وان هجرته إلى المغرب محفوفة باخطار جسيمة، ولكنه كان يتطلع إلى المستقبل اكثر مما يتطلع إلى حاضره يحدوه الامل فى النجاح اكثر من تفكيره فى الفشل فاختار بلاد المغرب لتكون مقرا لدولته، وهنا ارجح تحليل د. محمد كامل حسين لفكر المهدى وتفسير د. عصام الدين عبد الرءوف لتصريح المهدى بالذهاب إلى اليمن.

مدينة رقادة واعلان الدولة الفاطمية

تقدم ابو عبد الله الشيعى إلى سجلماسة عندما علم بالقبض على الامام عبيد الله المهدى وولده ابا القاسم من قبل اميرها اليسع بن مدرار، فاستخلف على افريقية اخاه ابا العباس، وابا زاكى تمام، وفى طريقه استولى على تاهرت حاضرة الرستميين وقضى على الدولة الرستمية، ثم تمكن من دخول سجلماسة واقام بها

مع المهدى اربعين يوما، ثم رحلوا نحو القيروان، فوصلوا إلى رقادة فى سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩-٩١٠م، قال ابن الاثير «ووصل إلى رقادة.. من سنة سبع وتسعين ومائتين، وزال ملك بنى الاغلب، وملك بنى مدرار الذين منهم اليسع.. بسجلماسة، وزال ملك بنى رستم من تاهرت.. وملك المهدى جميع ذلك فلما قرب من رقادة تلقاه اهلها، واهل القيروان، وابو عبد الله، ورؤساء كتامة مشاة بين يديه، وولده خلفه»(٩).

ونزل المهدى بقصر الصحن من قصور رقادة، بينما نزل ابنه ابو القاسم فى قصر ابى الفتح وبويع له فى رقادة البيعة العامة وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين، واستقام له الأمر، فضربت السكة باسمه، وقسم أعمال أفريقية ودون الدواوين، وجبى الأموال واستقرت له البلاد(١٠).

ومدينة رقادة انشأها ابراهيم بن احمد فى عام ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، وتقع على بعد اربعة اميال من مدينة القيروان وصفها البكرى وصفا رائعا فقال:

«وهى من القيروان على اربعة اميال، ودورها اربعة وعشرون الف ذراع (واربعون ذراعا)، واكثرها بساتين وليس بإفريقية اعدل هواء ولا أرق نسيما ولا اطيب تربة من مدينة رقادة.. والذى بنى مدينة رقادة واتخذها دارا ووطنا إبراهيم بن احمد وانتقل اليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا، وعمرت بالاسواق والحمامات والفنادق ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبنى الاغلب إلى ان هرب عنها زيادة الله من ابى عبد الله الشيعى. وسكنها عبيد الله إلى ان انتقل إلى المهدية سنة ثمان وثلاثمائة فلما انتقل عنها عبيد الله إلى المهدية دخلها الوهن وأنتقل عنها ساكنوها، ولم تزل تخرب شيئا بعد شىء إلى ان ولى معدبن اسماعيل، فخرب ما بقى منها وعفا اثرها وحرث منازلها ولم يبق منها غير بساتينها»(١١).

ومن هذا النص الهام يتضح ان مدينة رقادة مدينة اغلبية ازدهرت ازدهارا عظيما فى عصر الاغالبة منذ نشأتها حتى قيام الدولة الفاطمية، حيث اتخذها

الاغالبة حاضرة لافريقية وعملوا على ازدهار منشآتها الدينية والمدنية والحربية، وقد ظلت هذه المدينة على ازدهارها فى عهد الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى الذى امر يوم الجمعة بذكر اسمه فى الخطبة فى مسجدها الجامع عندما دخلها فى عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م.

ويذكر د. محمد محمد زيتون[١٢] انه قد شاهد فى رقادة بقايا قصر البحر، ذلك القصر الرائع البديع الذى وصفه عبيد الله المهدى بقوله «رأيت بافريقية شيئين لم ار مثلهما بالشرق: الخفير الذى بباب تونس يعنى الماجل والقصر الذى بمدينة رقادة المعروف بقصر البحر»[١٣]، ويضيف ايضا انه قد شاهد قصر الصحن، ويحدد موقعهما قرب الماجل الكبير الموجودة اثاره هناك.

مدينـة المهديـة :

آثر الخليفة عبيد الله المهدى بناء مدينة حصينة تقع على البحر بسبب الاحوال السياسية فى افريقية، حيث ادرك ان مدينة رقادة بوقوعها فى وسط سهل فسيح مع قيام الثورات لاتصلح لان تكون حاضرة وحصنا للفاطميين فى افريقية فأخذ يرتاد الاماكن البحرية مثل تونس وقرطاجنة حتى استقر على مكان وصفه البكرى بقوله «والبحر قد احاط بها من ثلاث جهاتها وانما يدخل اليها من الجانب الغربى ولها ربض كبير يعرف بزويلة فيه الاسواق والحمام ومساكن اهلها»[١٤].

فكانت مدينة المهدية، وشرع فى البناء فيها فى عام ٣٠١هـ/ ٩١٣م، وهى السنة التى ارتاد فيها الاماكن البحرية، وفرغ منها فى عام ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، ثم انتقل اليها فى عام ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، وقد هدف من وراء تشييدها ان تكون حصنا له ومركزا لعملياته الحربية البرية والبحرية من جهة ونقطة انطلاق لفتح مصر أو الاندلس من جهة اخرى، قال البكرى «وفى المهدية من المواجل العظام ثلاثمائة وستون غير ما يجرى اليها من القناة التى فيها، والماء الجارى بالمهدية جلبه عبيد الله من قرية منانش وهى على مقربة من المهدية فى اقداس ويصب فى صهريج داخل المهدية عند جامعها، ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب..

وهى مرفأ لسفن الإسكندرية والشام وصقلية والاندلس وغيرها ومرساها منقور فى حجر صلد يسع ثلاثين مركبا على طرفى المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد، فإذا اريد ادخال سفينة فيه ارسل حراس البرجين احد طرفى السلسلة حتى تدخل السفينة، ثم مدوها كما كانت بعد ذلك تحصينا لئلا تطرقها مراكب الروم وعرض المدخل إلى المهدية من القبلة إلى الجوف قد رغلوة وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وادخله فى المهدية فاتسع الموضع وفيه ستة عشر برجا ثمانية منها فى السور الأول وثمانية فى الزيادة (والجامع ودار البحر ودار المحاسبات فيما ردم من البحر وغير ذلك من المنازل)»[١٥].

جامع المهدية

واضافة لهذه الاستحكامات الحربية الرائعة التى امدنا بها البكرى والتى تتضح فى النص ذكر لنا مسجدها الجامع بما نصه «والجامع سبع بلاطات متقن البناء حسنه»[١٦]. (شكل «١»).

والواقع أنه من خلال المسقط الأفقى لجامع المهدية والذى نشره كريسويل (Creswell) يتضح أن تخطيطه الحالى جاء من مساحة مستطيلة تمتد رأسياً من الشمال إلى الجنوب قسمها المعمار إلي صحن مستطيل يمتد أفقياً من الشرق إلى الغرب وثلاثة أروقة فى الجهات الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية، حيث خلا المسجد فى الوقت الحالى من الظلة الشمالية الشرقية، وتعد ظلة القبلة أكبر هذه الظلات وأعمقها، وتفصيل ذلك أن المسجد يشتمل على واجهة عمومية فى الجهة الشمالية الغربية تشتمل بدورها على ثلاثة مداخل، وتتقدم هذه الواجهة زيادة حديثة تشتمل على مئذنة حديثة ومكان للوضوء يعد أيضا من الإضافات الحديثة كما يذكر كريسويل، أما الواجهة الشمالية الغربية بما تشتمل عليه من مدخل بارز ومدخلين على جانبيه وأيضاً على مئذنتين أحداهما فى حالة جيدة وهى التى بالزاوية الشمالية الغربية والأخرى وصلت إلينا منها بعض آثارها وهى التى بالزاوية الشمالية الشرقية من الأجزاء المعمارية التى ترجع إلى العصر الفاطمى.

أما فيما يتعلق بالمدخل البارز فقد جاء من تخطيط مستطيل ٨ر٥٥ X ٢ر٩٨م يرتفع بمقدار ٨ر٧٠م، وكان يشرف على الطريق السالك من خلال عقد حدوى دائرى، ويغطى ممر المدخل قبو برميلى، ويعد هذا المدخل كما يذكر كريسويل من أهم السمات المعمارية التى تميز جامع المهدية، إذ يعد الأول من نوعه فى العمارة الإسلامية، كما تكمن أهمية هذا المدخل فى تأثر معمار جامع الحاكم بأمر الله به، حيث يظهر لأول مرة فى مصر فى جامع الحاكم.

يتوصل من المدخل العمومى إلى الظلة الشمالية الغربية وهى من بلاطة واحدة قسمها المعمار إلى مساحات مستطيلة تغطيها أقبية متقاطعة، وتشرف هذه الظلة على الصحن من خلال ثلاثة عشر عقدا، وترتكز هذه العقود على دعامات، والعقود من النوع المدبب، وقد أوجد المعمار حجرة فى نهاية الظلة من الجهة الشرقية، أى أنها متصلة بالظلة الشمالية الشرقية، غير أنه مما يؤسف له أن هذه الظلة لم تصل إلينا، حيث اندثرت وبقيت فقط بعض المنازل خلف الجدار الشمالى الشرقى.

ونصل من خلال الظلة الشمالية الغربية إلى الصحن، الذى يشغل مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٩ ٠ر٤٩م ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٣١ر٣٤م، تشرف عليه ظلة من الجهة الجنوبية الغربية من بلاطة واحدة وهى تكاد تماثل الظلة الشمالية الغربية، وهى حديثة شأنها فى ذلك شأن الظلة الشمالية الغربية، كما تشرف عليه ظلة القبلة من الجهة الجنوبية الشرقية من خلال بائكة تتكون من خمسة عشر عقداً ترتكز على أعمدة ويقطع امتداد هذه البائكة من الجهة الجنوبية الغربية جدار بالظلة الجنوبية الغربية مما يدل على أنها حديثة وليست من أصل الانشاء، وقد جاءت ظلة القبلة بإتساع ٣٠م وبعمق ٢٣م قسمها المعمار إلى ثلاثة أقسام. جاء القسم الأوسط من تسع بلاطات تفصلها ثمانى بائكات وتمتد البلاطات والبائكات عمودية على جدار القبلة، وقد ميز المعمار البلاطة الوسطى العمودية على المحراب بأنها أكثر إتساعاً من بقية

البلاطات. ويذكر كريسويل أن واجهة ظلة القبلة تؤرخ بسنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥-١٩٠٦م، أما المحراب فيشتمل فى أعلاه على نقش كتابى مؤرخ بسنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥-١٩١٦م، وقد أمكن التعرف على المحراب القديم الذى يقع خلف المحراب الحديث من خلال جورج مارسيه. وتدل بقاياه على أنه كان من حنية نصف دائرية جاءت بإتساع ٢م وبعمق ١٠ر١م زخرفت بـ تسع حنايا تتميز بالاستطالة تنتهى بقمم من أشكال محارية، ويعد جدار القبلة بما يشتمل عليه من محراب من الأجزاء الفاطمية بالمسجد كما يذكر كريسويل (شكل ١٠).

كذلك أمدنا البكرى بوصف لبعض قصورها بما نصه «وقصر عبيد الله كبير سرى المبانى بابه غربى وقصر ابنه ابى القاسم بإزائه بابه شرقى بينهما رحبة فسيحة ودار الصناعة بشرقى قصر عبيد الله تسع اكثر من مائتى مركب، وفيها قبوان كبيران طويلان لا لات المراكب وعددها لئلا ينالها شمس ولامطر»(١٧). وهو الامر الذى يتضح فى ضوئه ان قصر الخليفة عبيد الله بالمهدية كان يقابل قصر ابنه ابى القاسم، تفصل بينهما رحبة فسيحة اى ان المعمار اوجدها بين القصرين، وهو التخطيط الذى وجد بعد ذلك بمصر فى بناء قصرين متقابلين على جانبى طريق يفصل بينهما، وذلك عندما شيد الخليفة الفاطمى العزيز بالله القصر الغربى الصغير لابنته ست الملك فى مقابل القصر الشرقى الكبير الذى شيده جوهر الصقلى للخليفة الفاطمى المعز لدين الله، ومن ثم عرف المكان بينهما «بين القصرين»، وعلى الرغم من ان هذا التخطيط فى مدينة المهدية ربما اثر على مثيله فى القاهرة المعزية الا انه وجد فى مصر قبل العصر الفاطمى كما يذكر د. فريد شافعى نقلا عن ابن دقماق.. (المكان المعروف ببين القصرين بالفسطاط) هو ما بين دار عمرو الصغرى والموضع المقابل لخوخة الاسطبل، وانما قيل لذلك بين القصرين، ويعنى احدهما قصر عبد الله بن عمرو بن العاص، وذلك انه بنى فى الدار الصغرى قصرا على تربيع الكعبة الأولى، والقصر الآخر منهما قصر عمر بن مروان بن الحكم»، ومن ثم يتضح ان عبارة «بين القصرين» كانت معروفة من قبل العصر الفاطمى بأكثر من ثلاثة قرون(١٨).

هذا وقد حدثنا البكرى عن سبب بناء المهدية ومراحل عمارتها وازدهارها ثم تدهورها بما نصه «وكان سبب بنيان عبيد الله للمهدية قيام (ابى عبد الله) وجماعة كتامة عليه وما حاولوه من خلعه وقتل اهل القيروان رجال كتامة. فكان ابتداؤه بالنظر فيها سنة ثلاثمائة وكمل سورها سنة خمس وانتقل اليها سنة ثمان فى شوال وكان لها ارباض كثيرة اهلة عامرة اقربها اليها ربض زويلة فيها الاسواق والحمامات، وربض الحمى كان مسكنا لا جناد افريقية من العرب والبربر.. ولم تزل دار ملك لهم إلى ان ولى الامر اسماعيل بن القاسم سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة فسار إلى القيروان محاربا لابى يزيد واتخذ مدينة صبرة واستوطنها بعده ابنه معد وخلت اكثر أرباض المهدية وتهدمت»[١٩].

وقد اورد التجانى فى رحلته عن مدينة المهدية ما نصه «وكان ابتداء بنائه لها لخمس خلت من ذى قعدة سنة ثلاث وثلاثمائة.. وكان اول ما ابتنى منها سورها الغربى الذى فيه ابوابها.. وامر بعمل باب الحديد للمدينة فجعل صفائح مصمته ثم اثبتت فيها المسامير.. وابتنى دار الصناعة وهى من عجائب الدنيا.. وانزل المهدى جنده وخاصته فيها»[٢٠].

مدينة زويلة :

يحدثنا التجانى عن ربض زويلة الذى تقدم ذكره او مدينة زويلة التى شيدها الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى لعامة الناس بقوله «وابتنى لعامة الناس المدينة الاخرى المسماة بزويلة وهى احدى المدينتين وبينهما قدر غلوة سهم وجعل الاسواق والفنادق فيها وادار بها خنادق متسعة تجتمع بها مياه الامطار، فكانت كالربض لمدينة المهدية»[٢١]، وهو الامر الذى يتضح فى ضوئه ان المهدية كانت بمثابة قلعة ومدينة للخاصة بينما شيدت زويلة كمدينة للعامة وهو الامر الذى يذكرنا بالقاهرة المعزية التى شيدت كقلعة ومدينة للخاصة يسكنها الخليفة الفاطمى وجنده وخاصته بينما تركت مدينة الفسطاط كمدينة للعامة، اى يسكنها عامة الناس كما كانت مدينة زويلة بالنسبة لافريقية الفاطمية، وتختلف مدينة الفسطاط عن مدينة زويلة فى انها ليست من إنشاء الدولة الفاطمية ولكنها من انشاء عمرو بن العاص فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م، انشأها لكى تكون حاضرة لمصر الإسلامية،

وفى العصر الفاطمى وجد الفاطميون هذه المدينة عامرة فتركوها لعامة الناس وشيدوا حصن القاهرة المعزية لهم.

طرابلس الغرب وبرقة وبداية النفوذ الفاطمى :

مد الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى نفوذه على الخط الساحلى بما فى ذلك مدينة طرابلس الغرب منذ عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، اما ولاية برقة فقد كانت تابعة لمصر فى العصر الإسلامى منذ بداية الفتح حتى عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م قال ابن الاثير فى حوادث عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م «وفيها ورد الخبر إلى بغداد ورسول من عامل برقة، وهى من عمل مصر»(٢٢)، ففى هذا العام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م استولى الفاطميون على برقة لتكون قاعدة انطلاق إلى مصر بدلا من ولاية طرابلس فاصبحت برقة منذ هذا التاريخ ولاية فاطمية(٢٣).

كان اهتمام الفاطميين بالاستيلاء على مصر راجعا إلى عدة عوامل منها تمتع مصر بموقع استراتيجى هام فى قلب العالم الإسلامى، فإذا كانت بلاد المغرب قد صلحت لابتداء الدولة الفاطمية باعتبارها من بلدان الاطراف فى العالم الإسلامى فإنها لم تكن تصلح بأى حال من الأحوال كمركز لتحقيق الطموحات الفاطمية فى منافسة العباسيين والاطاحة بهم ليحل الفاطميون محلهم فى زعامة العالم الإسلامى ويتقلدوا الخلافة التى يرى الفاطميون انفسهم احق بها من العباسيين، ويرى د. محمد البيلى ان اختيار بلاد المغرب دون غيرها من الاطراف الإسلامية لتشهد بداية الدولة الفاطمية كان مقصودا لسبب اساسى هو امكانية التوجه منها بسهولة إلى مصر وعلى ذلك فقد كانت افريقية لدى الفاطميين من مدخلا إلى مصر مثلما كانت خراسان لدى العباسيين مدخلا إلى العراق(٢٤). وجه المهدى أولى حملاته على مصر (٣٠١-٣٠٢هـ/ ٩١٤-٩١٥م) بقيادة حباسة بن يوسف الذى كان قائدا لحامية طرابلس فاستولى على سرت واجدابية، ثم دخل برقة وتوجه إلى الاسكندرية واستقبل القائم بن المهدى خارج الاسكندرية، وانقسم الجيش إلى جناحين احدهما ـ وهو الرئيسى ـ يقوده حباسة، والآخر تولى قيادته القائم وتوجه إلى الفيوم، غير ان المصريين

بقيادة تكين تمكنوا من صد الزحف الفاطمى، وبالتالى فشلت الحملة الفاطمية الأولى[٢٥].

بادر الخليفة المهدى فى عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م بالاستيلاء على برقة لتكون قاعدة انطلاق الجيوش الفاطمية إلى مصر بدلا من طرابلس فتم له ذلك على يد قائده ابو مدين بن فروخ اللهيصى، ثم اخرج ابنه القائم على رأس حملة فاطمية ثانية على مصر فى مستهل ذى القعدة ٣٠٦هـ/ ٩١٩م، وانطلقت هذه الحملة من برقة وعلى مقدمتها سليمان بن كافى الذى دخل الاسكندرية فى عام ٣٠٧هـ/ ٩٢٠م، وتوالت الامدادات العباسية على مصر ووصل ابو منصور تكين خلال الفترة التى انشغل فيها القائم بمكاتبة اهل مكة يدعوهم إلى طاعته، كما وصل الاسطول الفاطمى إلى الاسكندرية بقيادة سليمان الخادم الصقلى ويعقوب الكتامى لتدعيم الحملة الفاطمية، غير ان الاسطول العباسى تمكن من تحطيم الاسطول الفاطمى، وتحرج موقف القائم فى الاسكندرية، واكتملت الامدادات العباسية بوصول مؤنس الخادم فى عام ٣٠٨هـ/ ٩٢١م. فانسحب القائم وانتهت هذه الحملة فى عام ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م[٢٦].

اقام الخليفة المهدى بمدينته المهدية حتى توفى فى عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، قال التجانى «واقام المهدى ساكنا بمدينة المهدية مدة حياته ثم مات بها سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، فولى ابنه ابو القاسم القائم»[٢٧]، وقد شملت دولته افريقية والمغرب الاوسط والاقصى وطرابلس وبرقة وجزيرة صقلية.

تولى الخلافة بعد المهدى ابنه ابو القاسم محمد الذى تلقب بالقائم بأمر الله (٣٢٢-٣٣٤هـ/ ٩٣٤-٩٤٥م)، وعمل على استقرار بلاد المغرب فأرسل الجيوش اليها بقيادة ميسور الفتى، كما اعد اسطولا ضخما لغز وبلاد الروم، وقد تمكن من فتح جنوة ومربسردانية، وقد قامت ثورة عارمة ضد القائم تزعمها ابو يزيد مخلد بن كيداد الزناتى، وفى ذلك قال التجانى «واقبل يريد حصار المهدية.. وذلك سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة فعلم القائم بذلك فأمر بحفر خندق حول ارباض المهدية وزويلة، ووصل أبو يزيد فى جيوشه فاحاط بالمهدية..»[٢٨]. اما فيما يتعلق بمصر فلم يكد الخليفة القائم بأمر الله يتولى

الخلافة حتى اظهر اهتماما عظيما بإرسال الحملات اليها، ففى غضون عام واحد ارسل حملة بقيادة مولاه زيدان الخادم انطلقت من برقة ودخلت الاسكندرية، غير أنها هزمت فى عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٢م على يد والى مصر محمد بن طغج واخيه الحسن بن طغج، غير ان القائم ارسل حملة اخرى فى عام ٣٢٤هـ/ ٩٣٣م بقيادة يعيش الكتامى، الا انها فشلت بعد ان تصدى لها ايضا الحسن بن طغج وقتل قائدها، وتعد هذه الحملة نهاية للموجة الأولى الكبيرة من الحملات الفاطمية على مصر، وما لبث القائم ان انشغل عن ارسال حملات عسكرية جديدة إلى مصر باحوال بلاد المغرب المضطربة خاصة ثورة ابى يزيد مخلد[٢٩].

الخليفة المنصور ابو طاهر اسماعيل وتشييد مدينة صبرة (المنصورية)، ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م:

توفى القائم فى عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م وخلفه ابنه المنصور ابو طاهر اسماعيل (٣٣٤-٣٤١هـ/ ٩٤٥-٩٥٢م) قال التجانى «فولى بعده اسماعيل ملقب بالمنصور، فبادر بانفاذ جيش برى وجيش بحرى إلى ابى يزيد.. وخرج المنصور من المهدية فى طلبه.. إلى ان اخذه.. وذلك فى شهر المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.. ولم تم للمنصور امره ولم يبق له من ينازعه احب الانتقال من المهدية إلى مدينة صبرة وهى ملاصقة للقيروان، وقد كان بنى سورها وجعل فيها قصرا لنفسه فكان انتقاله اليها أول سنة سبع وذلك اصل تسمية صبرة بالمنصورية ولم تزل صبرة دار ملكهم إلى ان انتقلوا إلى مصر»[٣٠].

وقد وصف لنا البكرى مدينة صبرة بقوله «ومدينة صبرة متصلة بالقيروان، بناها اسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة واستوطنها وسماها المنصورية، وهى منزل الولاة إلى حين خرابها، ونقل اليها معد بن اسماعيل اسواق القيروان كلها وجميع الصناعات، ولها خمسة ابواب: الباب القبلى والباب الشرقى وباب زويلة وباب كتامة ـ وهو جوفى ـ وباب الفتوح ومنه كان يخرج بالجيوش ويذكر انه كان يدخل واحد ابوابها كل يوم ستة وعشرون الف درهم»[٣١].

وتقع هذه المدينة على بعد نصف ميل من القيروان، ويدل وصف البكرى لها على ازدهار احوالها التجارية ازدهارا عظيما، كما يدل على ازدهار احوالها العمرانية الدينية والمدنية والحربية، وكان الماء يجرى فى وسطها، كما كان سورها يتميز بسمكه، فقد جاء عرضه «اثنا عشر ذراعا»، وقد شاهد د. محمد محمد زيتون بقايا من مصنع البللور بها وبعض الزليج والادوات والاعمدة(٣٢).

وفيما يتعلق بالاستيلاء على مصر فلم يبد المنصور بن القائم بعد توليه الخلافة اهتماما كبيرا بالاستيلاء عليها، ويعزى ذلك إلى اهتمامه بتوطيد اركان الدولة الفاطمية بعد ثورة ابى يزيد مخلد بن كيداد، وضبط امور المغرب قبل التوجه إلى المشرق(٣٣).

الخليفة المعز لدين الله الفاطمي والاستيلاء علي مصر:

ولى الخليفة الفاطمى ابو تميم معد الملقب بالمعز لدين الله الخلافة الفاطمية خلال الفترة من ٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م، ولم يبد فى اول خلافته اهتماما كبيرا بالاستيلاء على مصر شأنه فى ذلك شأن الخليفة المنصور بن القائم لانشغاله بضبط امور المغرب قبل التوجه إلى المشرق فأمر قائده جوهر الصقلى ان يتجهز للخروج إلى مصر فخرج اولا إلى جهة المغرب لاصلاح اموره(٣٤).

وقد قام الخليفة المعز فى عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م بتجديد جامع القيروان. (شكل «٢»).

ارسل الخليفة المعز حملة استطلاعية إلى مصر فى عام ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م عن طريق الواحات تصدى لها كافور الاخشيدى، ثم امر المعز فى نفس العام بحفر الآبار وتشييد القصور (الحصون) فى الطريق المعتاد للحملات الفاطمية طرابلس، برقة، واخرج قائده جوهرا لضبط امور المغرب، ثم امره بالتوجه إلى مصر، خاصة بعد وفاة كافور الاخشيدى واضطراب الاحوال السياسية والاقتصادية فتم الاستيلاء على مصر فى عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٩م(٣٥).

الآثار الفاطمية بطرابلس الغرب وبرقة:

غادر الخليفة المعز لدين الله افريقية فى عام ٣٦١هـ/ ٩٧١م ومعه ثروته وتوابيت آبائه وترك على افريقية الامير بلكين بن زيرى الصنهاجى مؤسس الدولة الصنهاجية، وظلت افريقية تحت الحكم الفاطمى حتى خرج عليه المعز بن باديس فى عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، ويحدثنا ابن الاثير[٣٦] عن مسير المعز لدين الله إلى مصر ومروره بطرابلس وبرقة وهو الامر الذى يتضح فى ضوئه ان الفاطميين قد اهتموا اهتماما عظيما بالمنطقة الجغرافية الواقعة بين القيروان ورقادة من جهة، ومصر من جهة اخرى من منطلق انها تمثل بالنسبة لهم مفتاح مصر، خاصة منطقة برقة فعملوا على تدعيم نفوذهم فيها وتشييد عمائرها الدينية والمدنية والحربية وازدهار احوالها، وعلى الرغم من اندثار معظم هذه الآثار الفاطمية فإن ما ورد عنها فى كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى من جهة، وما عثر عليه من كتابات يحتفظ بها متحف آثار البيضاء ومتحف طلميثة من جهة اخرى يدل دلالة واضحة على ازدهارها فى العصر الفاطمى، فقد اورد لنا البكرى عند ذكره مدينة اجدابية مانصه «وبها جامع حسن البناء بناه ابو القاسم بن عبيد الله، له صومعة مثمنة بديعة العمل»[٣٧].

كما اورد لنا التجانى فى رحلته ما نصه «وبين القصبة وهذه المدرسة المتقدمة جامع طرابلس الاعظم الذى بناه بنو عبيد، وهو جامع متسع على اعمدة مرتفعة وسقفه حديث التجديد، وبه منار متسع مرتفع قائم من الارض على اعمدة مستديرا فلما تم نصفه كذلك سدس وكان بناؤه فى العام المكمل للمائة الثالثة على يد خليل بن اسحاق»[٣٨].

ومن الآثار الفاطمية التى عثر عليها فى اقليم برقة شاهد قبر طاهر بن على الذى عثر عليه فى منطقة تعرف بوادى الكوف تقع إلى الغرب من مدينة البيضاء، ثم نقل إلى متحف الآثار بالمدينة، وهو مؤرخ بسنة ٣٥٩هـ (٩٦٩م) اى يرجع إلى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله وقائده ونائبه على مصر جوهر الصقلى خلال الفترة من ١٧ شعبان سنة ٣٥٨هـ/ ٦ يونيو ٩٦٩م إلى ٧ رمضان سنة

٣٦٢هـ/ ١١ يونيو ٩٧٣م، حيث قدم المعز فى هذا التاريخ الاخير فدخل القاهرة المعزية ونزل القصر الكبير الشرقى ونزل جوهر دار الوزارة. (شكل «٣»).

كما عثر على نص كتابى يحتفظ به متحف طلميثة احدى مدن اقليم برقة (شكل «٤») اثناء تجديد مسجد الزاوية السنوسية بمدينة المرج (برقة قديما)، وقد نفذ على جزأين من عمود رخامى الأول نصه «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، اما الثانى فنصه «مولانا الامام المعز خليفة الله»، وهو الامر الذى يتضح فى ضوئه ان هذه الكتابات التى نفذت بالخط الكوفى معاصرة لكتابات الشاهد، غير انها تمثل مرحلة اكثر تطورا حيث نفذت بالخط الكوفى المورق بينما نفذت كتابات الشاهد بالخط الكوفى البسيط اما فيما يتعلق بكتابات الشاهد فقد جاءت من الخط الكوفى البسيط على لوح حجرى، رملى على شكل مستطيل، وقد نفذت الكتابة بهيئة غائرة ومتقنة من احد عشر سطرا، يحيط بها اطار بارز من نفس مادة الشاهد، ونص كتاباته:

١- بسم الله الرحمن الر

٢- حيم لا إله إلا الله و

٣- حده لا شريك له

٤- محمد عبده ور

٥- سوله نور السموا

٦- ت والارض نور

٧- قبر طاهر بن على تو

٨- فى فى شهر رمضان

٩- من سنة تسع وخمسون

١٠- وثلثمائة سنة

١١- رضى الله عنه.

هوامش وتعليقات الفصل الثانى

(١) لقب بالصنعانى وكان يعتنق أول الامر عقائد الاثنا عشرية، وكان يعرف بالمعلم لانه يقوم بتنظيم هذا المذهب قبل ان يعتنق مذهب الاسماعيلية، كما كان يطلق عليه اسم الصوفى لانه كان يلبس الاردية الخشنة ومرقعات الصوف، وقد ولى الحسبة فى بعض اعمال بغداد، واتصل بالامام محمد الحبيب.

د. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب، مصر، سورية، بلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٤٧.

(٢) د. حسن ابراهيم حسن: اليمن، ص ٦٨.

(٣) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص ص ٥٠٩-٥١٠.

(٤) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٥١٢-٥١٣.

(٥) د. جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب، ١٩٦٤م، ص ٦٦.

(٦) د. عصام الدين الفقى: اليمن، ص ١٣٤.

(٧) د. حسين الهمدانى: الصليحيون، ص ٤٨.

(٨) د. محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٩م، ص ص ٢٩-٣٠.

(٩) ابن الاثير: الكامل، جـ ٦، ص ٥٩٨.، د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٥١٣-٥١٤.

(١٠) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٥١٤-٥١٥.

(١١) البكرى: المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، جـ٢، ص ٦٧٩.

(١٢) د. محمد محمد زيتون: القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٩٩.

(١٣) البكرى: المسالك، جـ ٢، ص ٦٧٨.

(١٤) البكرى: المسالك، جـ ٢، ص ٦٨٢.

(١٥) البكرى: المسالك، جـ ٢، ص ص ٦٨٢-٦٨٣.

(١٦) البكرى: المسالك، جـ ٢، ص ٦٨٣.

(١٧) البكرى: المسالك، جـ ٢، ص ٦٨٣.

(١٨) د. فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية، عصر الولاة، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ص ٣٥٣-٣٥٧.

(١٩) البكرى: المسالك، جـ ٢، ص ص ٦٨٣-٦٨٤.

(٢٠) التجانى: رحلة التجانى (تونس - طرابلس ٧٠٦/ ٧٠٨هـ)، ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ص ص ٣٢٠-٣٢٤.

(٢١) التجانى: رحلة، ص ٣٢٤.

(٢٢) ابن الاثير: الكامل، جـ ٦، ص ٦٢٢.

(٢٣) د. محمد بركات البيلى: استيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى اواخر القرن الخامس عشر الميلادى «التاسع الهجرى»، ندوة عقدهااتحاد المؤرخين العرب فى القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م، القاهرة، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م، ص ص ١٠٠-١٠١.

(٢٤) د. محمد بركات: استيلاء الفاطميين على مصر، ص ١٠٠.

(٢٥) د. محمد بركات: استيلاء الفاطميين ص ص ١٠١-١٠٣.

(٢٦) د. محمد بركات: استيلاء الفاطميين ص ص ١٠٣-١٠٦.

(٢٧) التجانى: رحلة، ص ٣٢٤.

(٢٨) التجانى: رحلة، ص ص ٣٢٤-٣٢٥.، د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ١٤٢-١٤٣.

(٢٩) د. محمد بركات: استيلاء الفاطميين، ص ص ١٠٦-١٠٧.

(٣٠) التجانى: رحلة، ص ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٣١) البكرى: المسالك، جـ ٢، ص ص ٦٧٦-٦٧٧.

(٣٢) د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ٩٩-١٠٠.

(٣٣) د. محمد بركات: استيلاء، ص ١٠٨.

(٣٤) د. محمد بركات: استيلاء، ص ١٠٨.

(٣٥) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٥٤٨-٥٥٠.، د. محمد بركات: استيلاء، ص ص ١٠٨-١٠٩.

(٣٦) ابن الاثير: الكامل، جـ ٧، ص ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٣٧) البكرى: المسالك، جـ ٢، ص ٦٥١.

(٣٨) التجانى: رحلة، ص ٢٥٣.

قيام الدولة الصليحية فى اليمن

الداعى على بن محمد الصليحى (٤٣٩-٤٥٩هـ/١٠٤٧-١٠٦٦م)

فى مطلع القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى كانت بلاد اليمن يسودها عدم الإستقرار وكانت تنحدر نحو التدهور والتفكك فقد كانت السلطة موزعة بين الامراء والزعماء المتنافرين الذين لم يرتبطوا ببغداد إلا برباط متمثل فى إقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة العباسى[١].

لذلك كان مسرح الأحداث مهيئا لظهور شخصية قوية جديدة تلم الصف وتوحد البلاد، وتمثلت هذه الشخصية فى الداعى على بن محمد الصليحى الذى تمكن من إقامة الدولة الصليحية التى تميزت بمبادئها القويمة ثم بنتائجها التى أسفرت عن سقوط ممالك شتى لتسفر عن قيام دولة من أعظم الدول التى يحدثنا بها التاريخ اليمنى[٢] والداعى على بن محمد الصليحى من همدان من بنى يام من بطون حاشد[٣]، كان أبوه قاضيا على مذهب السنة وعدل عنه ابنه على بن محمد الصليحى[٤].

ويذكر المؤرخ الحمادى اليمانى[٥] الذى كان معاصرا للصليحى قوله «وكان الصليحى يرقب كل هذه الأحداث ويتحين الوقت الملائم لإظهار دعوته وإعلان دولته فتم له ذلك فى ليلة الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وطليعته تسعمائة رجل وخمسون رجلا»[٦]، ويعطينا الحمادى اليمانى فى هذا النص التاريخ الذى ثار فيه الداعى على بن محمد الصليحى والعدد الذى كان معه وقت إعلان ثورته، على إننى قد لاحظت إختلافا فى السنة التى ثار فيها الصليحى، وهذه الإختلافات تتضح فيما ذكره المؤرخ عمارة اليمنى الذى ذكر أن

الصليحى ثار فى عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م وكان معه يومئذ «ستون رجلا»[٧]، وأيضـ من تبع عمارة اليمنى من المؤرخين. ويرى د. حسن سليمان محمود أن عمـ اليمنى ربما كان يقصد سن الصليحى عندما ذكر فى سنة «تسع وعشرين» حيث مات الزواحى والصليحى قد بلغ الحلم، أى أنه لم يبلغ الرابعة عشرة ولما كان قد حج بالناس خمس عشرة سنة أخرى فيكون سنه حين أعلن أمره «تسعا وعشرين» سنة، ويرجح د. حسين الهمدانى[٨] رأى الحمادى اليمانى، إذ أنه كان معاصرا للصليحى، وكذلك المؤرخ القاضى محمد بن على الأكوع[٩].

على أننى أرجح أن الداعى على بن محمد الصليحى أعلن قيام الدولة الصليحية فى عام ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م وهو ماذكره الحمادى اليمانى وما إعتمدت عليه فى ترجيحى إضافة إلى ما ذكره الحمادى ماجاء فى تاريخ مدينة صنعاء للرازى حيث جاء ما نصه «وعندما يستقر الأمر للصليحيين ٤٣٩هـ / ١٠٤٥م يعم الأمن وتستقر الأحوال فتعمر بعض المساجد وتصلح أخرى وتقام المرافق فى صنعاء»[١٠].

كان ذلك فى نهاية حياة الرازى الذى توفى فى عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م وقد كان الحمادى اليمانى أيضا معاصرا للصليحى، يضاف إلى ذلك أنه دخل فى المذهب الإسماعيلى وأندس بينهم للتعرف على حقيقة مذهبهم كما يقول هو نفسه[١١].

ويذكر ابن سمرة فى مؤلفه عن طبقات فقهاء اليمن «أن أول قيام الصليحى فى شوال سنة تسع وثلاثين وأربعمائة»[١٢]، وابن سمرة كان معاصرا لعمارة اليمنى ولم يترك اليمن على عكس عمارة الذى ألف مفيده فى القاهرة فكان بعيدا عن مسرح الأحداث[١٣].

ويذكر الحمادى اليمانى عن الصليحى قوله «وكان الصليحى الملعون[١٤] شهما شجاعا مقداما ثم أن الصليحى الملعون أرسل إلى القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة متباينة، فوعدهم بالوصول إليه ليوم معلوم فلما وصلوا إليه طلع بهم مسار»[١٥].

وهذا النص يوضح ما كان عليه الداعى على بن محمد الصليحى من أخلاق حميدة ومدى التحامل الشديد عليه من قبل الحمادى اليمانى وأهل السنة عموما مما سيكون له أكبر الاثر على العمارة الدينية الصليحية.

أما عن الفترة السابقة على قيام الدولة الصليحية فقد أقام الصليحى على الحج بالناس دليلا على طريق السراة[١٦] والطائف عدة سنين لايحج بالناس أحد غيره[١٧]، مما أعطاه خبرة ودراية بأحوال العامة لتحقيق أهدافه ونشر مبادئه التى تنطوى على جمع الكلمة وتوحيد الصف تحت لوائه فى الوقت الملائم، وقد مهد له هذا إستجابة الكثير من سواد الناس خاصة وأن الصليحى كان شخصية سياسية ناجحة، وكان فى الوقت نفسه متعمقا فى النواحى الدينية السنية والشيعية وكان لا يظهر حقيقة مذهبه الإسماعيلى إلا لمن وثق به[١٨].

ومن المحتمل أن تكون هذه ربما البداية الحقيقية لنشأة الدولة الصليحية، إذ كان لتلك الشخصية العظيمة دورها السياسى المؤثر فى محاولة إرضاء أطراف قادة الأمر فى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت، فمن ناحية كان قد والى الخليفة العباسى، ومن ناحية أخرى كان على علاقة سرية بالخلافة الفاطمية فى مصر، إذ عثر على دينارين من الدنانير الصليحية باسم الأمير المظفر بن على والخليفة العباسى القادر بالله، الأول يحمل تاريخ ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م، والثانى يحمل تاريخ ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م[١٩]، كما عثر على دينار ضرب بصنعاء ويحمل العبارة الفاطمية «على ولى الله»[٢٠].

ومن ذلك يتضح أن الصليحى والى الخلافة العباسية فى بغداد، وأغلب الظن أنه أراد إستمالة العامة وكان يدين بمذهب أهل السنة، وفى نفس الوقت كان يتودد إلى الخليفة الفاطمى فى مصر ولكن بتكتم شديد لضرورة إقتضتها الظروف التى كانت قائمة فى بلاد اليمن، فأراد الصليحى من وراء ذلك خلق سياسة متوازنة واستمالة المزيد من المريدين والمتعلقين به من العامة وإرضاء الخلافة العباسية فى بغداد حتى يأتى الوقت الملائم لإظهار الدعوة جهرا، وذلك يدل على

مدى السياسة الحكيمة التى إنتهجها الصليحى فى مرحلة تأسيس الدعوة وتجميع أنصارها، أما التواريخ التى على الدنانير الصليحية حتى عام ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م، فقد كانت فى مرحلة الدعوة وبعد سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م أصبحت فى مرحلة الدولة.

تزوج الصليحى من أسماء بنت شهاب[٢١] إبنة عمه وهى أم الملك المكرم ولده وظل الصليحى يدعو لنفسه سرا وعلانية حتى أن الناس كانوا يقولون له بلغنا أنك ستملك اليمن وسيكون لك شأن ودولة، فيكره ذلك وينكره على قائله مع كونه أمر قد شاع وكثر فى أفواه الناس الخاصة والعامة[٢٢].

ورأى الصليحى بعين ذكية أن الوقت قد حان لإيجاد وحدة سياسية تجمع شمل الولايات التى أنهكتها المنافسات الداخلية والإختلافات المذهبية، وهذا هو الهدف الأول الذى كان يسعى إليه جاهدا، ويذكر القاضى محمد بن على الأكوع أنه قد تم له الإتصال بالقبائل على إختلاف نزعاتهم وتباعد أوطانهم وأنه التقى بالقبائل التى صحبته إلى مكة فى آخر حجة حجها فى عام ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م على طريق نجد العليا[٢٣].

وصحبته هذه القبائل إلى مكة وأدوا يمين الولاء والإخلاص والتفانى فى سبيل نصرة دعوته وتم الإعداد للثورة ثم فارقهم وبلغ منطقة حراز[٢٤] وظل يمهد الجو السياسى لصعود حصن مسار، وتم له ما أراد فى شهر جمادى الأخرة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م وكانت هذه الخطوة الأولى، ثم لما عرف إكتمال عناصر الثورة ورأى فى نفسه القوة لصد أى هجمات معادية أعلن الثورة مصحوبة بدعوة صريحة مدوية وذلك فى جمادى الأولى ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م[٢٥].

كان الصليحى يخاف من نجاح[٢٦] صاحب تهامة[٢٧]، وكان لابد من إصطدام الصليحى بأمراء اليمن نتيجة ثورته فى مسار وتطلعه إلى السيطرة على اليمن فسار إليه جعفر بن الإمام القاسم بن على العيانى بجيش عظيم وعضده رجل من

مغارب اليمن الأعلى يسمى جعفر بن عباس الشاورى شافعى المذهب. ووقعت الحرب فقتل جعفر بن عباس وتفرق الناس عن جعفر بن الإمام فعاد إلى بلده واستفحل أمر الصليحى[٢٨].

وبهذه الوقعة الهائلة تمت للصليحى السيطرة على الموقف الحربى بحراز سيطرة جعلت رؤساء حمير وهمدان يجتمعون فى بيت عدن بلدة من حضور[٢٩]، هذا وقد حضر الأمير جعفر بن قاسم العيانى وولده عبد الله والسلطان أبو حاشد بن الضحاك ملك صنعاء، وتم الإتفاق على إرسال حملة يقودها عبد الله بن جعفر العيانى لخبرته بتلك الجهات، وواصل الجيش زحفه وعلم الصليحى بخروج الحملة وإستطاع أن يبددها وينتصر عليها وأسر قائدها عبد الله بن جعفر، وقابله الصليحى بالصفح والحفاوة وأطلق سراحه بعد أن أستوثق منه بالعهود والمواثيق[٣٠]. وقد كشفت هذه المعركة عما يتمتع به من حنكة وإيمان وإعتزاز وثقة بالنفس.

إجتمع من جديد رؤساء حمير وهمدان وقرروا أن يقود هذه المرة الحملة الشريف جعفر بن قاسم العيانى أبو عبد الله نظرا لما يتمتع به من حكمة وخبرة، ولم يرقه الجميل الذى أسدى لولده فنهض بجيش يريد حصن مسار وواجه جيش الصليحى السريع الإنقضاض فانتصر الصليحى وأسر الشريف جعفر ووجد من لين جانب الصليحى وحسن معاملته وتسامحه، وأودعه الصليحى دار الضيافة وحمله العقود أن لا ينصب له حربا ثم أطلق سراحه[٣١].

وتوالت إنتصارات الصليحى وأقلقت عقول الساسة الذين فى مقدمتهم القائد نجاح ملك تهامة بحكم مجاورته لمنطقة حراز، هذا وقد أمد نجاح الرؤساء العرب والدويلات بالمعونة والمال فى حربهم مع الصليحى، ولكن الصليحى كان أسرع وأبرع من نجاح فخاطب وده مستكينا لقبول أوامره ونواهيه حتى يتسنى له التربع على عرش صنعاء فلن تتم وحدة اليمن مالم تكن صنعاء فى يده، فكانت هذه المعاهدة سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م بين الصليحى ونجاح التى تعتبر إنتصارا للصليحى أضفى عليه هيبة وجلالا[٣٢].

آمن الصليحى جانب نجاح فرأى أن يخرج من مسار وأن ينطلق، فقام بهجوم مفاجئ على حصن يناع المعروف بالحيمة الداخلية[٣٣] وبعد معركة عنيفة، دخل الحصن، وولى الملوك المنهزمين الأدبار[٣٤] وباغتهم الصليحى وصعد الجبل بسرعة فائقة وأجلاهم عنه، وأصبحت صنعاء منه قاب قوسين أو أدنى وبمرأى منه ومسمع وفى ذلك يذكر عمارة اليمنى «فتعاظمت الأحوال وإرتاع أهل اليمن»[٣٥].

اجتمع ذوو الرأى والتفكير ووجوه الناس إلى أبى حاشد بن أبى يحيى بن أبى حاشد بن الضحاك وهو الرأس والسلطان من حمير وهمدان وإجتمع به أبو الفتوح الخولانى وسلمة بن محمد الشهابى فى كبراء من رؤساء العشائر وقرروا مناهضته والوقوف فى وجهه وصده عن صنعاء وغيرها. وكان على مقدمة الجيش عبد الأكبر بن وهيب واستطاع الصليحى فى نهاية الأمر أن ينقض إنقضاضا قويا فأوقع بهم نهبا وسلبا وقتلا حتى بلغ عدد القتلى ألف نفس، كما قتل فى المعركة السلطان أبو حاشد واشتهرت هذه الوقعة بوقعة صوف فى ربيع الأول عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م[٣٦].

كذلك أصبحت صنعاء مفتوحة أمام القائد الصليحى ولكنه رأى أن لايدخل صنعاء إلا بعد التخلص من نجاح، ويذكر القاضى محمد بن على الأكوع نقلا عن سيرة ذى الشرفين وتاريخ اليمن لمؤلف مجهول وروضة الحجورى[٣٧] أن الصليحى بعد وقعة صوف عاد إلى بيت خولان ومنه إلى تهامة، ولم تشر المصادر الآنفة إلى أى حدث ما ولا كيف كان مصير القائد نجاح ولا أى شىء من أحوال تهامة خلال الفترة من ٤٤٤هـ - ٤٤٧هـ / ١٠٥٢-١٠٥٥م[٣٨].

وقد أمكننى إلقاء الضوء على هذه الفترة من تاريخ الدولة الصليحية عن طريق النظر إلى هذه الأقوال التى تقدم ذكرها إضافة إلى ماذكره د. محمد أبو الفرج العشى من أن الداعى على بن محمد الصليحى له دينار ضرب باسمه بزبيد عام ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) لم يذكر فيه اسم الخليفة الفاطمى، لكنه أشار إلى موالاته بقوله «سيف المعد» والمعد هذا هو اسم المستنصر بالله وهذا الدينار فى مجموعة

M. Gautier، وهو إما ضرب باسم الصليحى تكريما له وتعبيرا عن المحبة وحسن الجوار بينه وبين القائد نجاح بمناسبة توقيع المعاهدة التى أشار إليها القاضى محمد بن على الأكوع سابقا أو أن هذا الدينار يعنى أن الصليحى قد دخل تهامة وقضى على الملك نجاح وضرب السكة بإسمه وأننى أرجح أنه بمناسبة توقيع المعاهدة مع الملك نجاح تمهيدا للسيطرة على تهامة وهو الأمر الذى يتضح من خلال كتابات وردت على دينار آخر صليحى ضرب بزبيد سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م وهو غاية فى الأهمية لانه يحمل نصا صريحا بالقاب الصليحى واسمه وكذلك اسم المستنصر كاملا، مما يجعلنى ارجح دخول الصليحى تهامة فى هذا الوقت ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م اعتمادا على هذا الدينار، ويعضد هذا الرأى ماذكره الأكوع محمد بن على أن الصليحى بعد وقعة صوف عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م عاد إلى بيت خولان ومنه إلى تهامة، وقد يفسر هذا موت الملك نجاح فجأة بالسم من قبل الصليحى، ثم ان ضرب هذا الدينار بهذه الطريقة واختلافه فى نصوصه عن الدينار السابق يرجح ان الدينار السابق انما ضرب بمناسبة المعاهدة التى وقعت بين الصليحى ونجاح وأن هذا الدينار يمثل استيلاء الصليحى على زبيد فى عام ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م.

ويذكر د. محمد أبو الفرج أنه توجد دنانير صليحية فاطمية للصليحى والمستنصر مؤرخة بسنوات ٤٤٥هـ، ٤٤٧هـ، ٤٥١هـ ضرب زبيد، وقد اشار أحد الباحثين[٣٩] إلى الدينار الذى ضرب عام ٤٤٧هـ، وهذه الدنانير تدل على أن الصليحى استولى على تهامة فى عام ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م، هذا بالإضافة إلى ماذكره د. محمد أبو الفرج من ضرب دينار بزبيد ٤٤ [٤] باسم الخليفة العباسى القائم بأمر الله على بن المظفر والمؤيد نجاح نصر الدين[٤٠] مما يؤكد ما ذكرناه سالفا.

نهض الصليحى من تهامة إلى صنعاء عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م وتم له النصر على الشريف الفاضل وعندما عاد المنهزمون مرة أخرى استطاع الإنتصار عليهم فى عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م ولم يثبت مع الشريف الفاضل قاسم بن جعفر غير

خمسة أشخاص وعاد إليه الهاربون وإتخذوا من حصن الهرابة معقلا لهم وبعد حصار شديد من قبل الداعى الصليحى طلب الشريف أن يسلم نفسه على أمان وعهود لنفسه ولمن تبقى من أصحابه، وكان له ما أراد وآثر الصليحى الحكمة والتسامح[٤١]. وظل الشريف فى حفاوة الصليحى ورعايته إلى عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م حيث أطلق سراحه[٤٢].

أما عن المواجهة مع الأئمة الزيدية فقد تمثل هذا الأمر فى الإمام الزيدى المعاصر للداعى الصليحى وهو أبو الفتح الديلمى الناصر بن الحسين محمد قام بالديلم ثم رحل إلى بلاد اليمن[٤٣] ويذكر المؤرخ الكبسى الصنعانى «عند ظهور الصليحى تقاعد الناس عن طاعة الإمام أبى الفتح لقوة الصليحى وفى عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م قتله الصليحى»[٤٤].

حارب الصليحى أيضا فرقة الإباضية التى تنسب إلى عبد الله بن إباض[٤٥]، وفى نهاية عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م سيطر على بلاد حجة وحمير وخولان العالية وعنس ويحصب ورعين وبعد أن أذن له المستنصر سيطر على اليمن كله وفى ذلك يذكر المؤرخ اليمنى عمارة «طوى البلاد طيا وفتح الحصون والتهائم ولم تخرج سنة ٤٥٥هـ/ (١٠٦٣م) وما بقى عليه من اليمن سهل ولاوعر ولابر ولابحر إلا فتحه وذلك أمر لم يعهد مثله فى جاهلية ولا إسلام وإستقر الصليحى بعدها وأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم فأسكنهم معه وولى الحصون غيرهم واختط بصنعاء عدة قصور»[٤٦].

ولى الصليحى أعمال الحصون والجبال لقوم يثق بهم وأخذ الملوك والأكابر فى صحبته وأخذ معه زوجته أسماء بنت شهاب وعزم على التوجه إلى مكة وولى ابنه المكرم صنعاء واستخلفه وتوجه فى ألفى فارس فيهما من آل الصليحى مائة وستون، حتى اذا كان فى المهجم[٤٧] نزل فى ظاهرها بضيعة يقال لها أم الدهيم وبئر أم معبد وخيمت عساكره والملوك الذين معه من حوله مثل ابن حفن وابن

الكرندى وابن التبعى وغيرهم ولم يشعر الناس حتى قيل لهم قتل الصليحى وانكشف الخبر عن قطع رأس على بن محمد الصليحى وعبد الله بن محمد الصليحى وأحيط بالناس فلم ينج منهم أحد وانتقل إلى أبى سعيد الأحول بن نجاح ملك الصليحيين وذخائرهم(٤٨).

وقد إختلف المؤرخون فى وفاة الصليحى كما إختلفوا عند قيامه بالثورة. فقد ذكر المؤرخ عمارة ومن تبعه أن قتل الصليحى كان فى عام ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م(٤٩) وذكر ابن سمرة «أن وفاته فى عام ٤٥٩هـ فى السابع من ذى القعدة بيد سعيد الأحول بن نجاح وقتل أخو الصليحى عبد الله»(٥٠).

ويذكر القاضى محمد بن على الأكوع أن سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م هى السنة الصحيحة التى قتل فيها الصليحى وليس ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م ويضيف الأكوع لاشك أن قتل الصليحى كان عن مؤامرة دبرت من الملوك الذين فى صنعاء وامتدت إلى أبى سعيد الأحول وأخيه جياش بزبيد ويذكر يحيى بن الحسين قوله «أنه فى نهاية سنة ٤٥٨هـ تجهز الصليحى للمسير إلى مكة للحج وقيل بل كان قصده التوجه إلى مصر لزيارة العبيدى وتم قتل الصليحى وأخيه وأقامت اخرة أسماء تحت الأسر»(٥٢).

على أننى أرجح رأى القاضى محمد بن على الأكوع فيما يتعلق بالسنة التى قتل فيها الصليحى والمؤامرة التى دبرت لقتله، بل يمكننى أن أقرر مطمئنا وفاة الصليحى فى عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م، إعتمادا على سجل وارد من الخليفة المستنصر بالله إلى الملك المكرم يعزيه فى وفاة والده على بن محمد الصليحى ويقيمه خلفا له(٥٣).

مما سبق يتضح أن الصليحى كان من أعظم الشخصيات التى ظهرت فى تاريخ اليمن رغم كل الصعاب التى واجهته نتيجة الأحوال المتردية قبل مجيئه والعداء الشديد للمذهب الإسماعيلى فى اليمن سواء من أهل السنة أو من الزيديين. فقد

اعلن الثورة صراحة فى مسار واخذ يحقق الانتصارات العظيمة المتوالية حتى أصبح اليمن كله تحت حكمه وسيطرته، والحق أن الصليحى رغم أنه كان يدين بالمذهب الإسماعيلى فإنه لم يعمل على فرضه إجباريا فى اليمن بل ترك حرية العقيدة لأهل اليمن، ولم يجبر أحدا من أهل السنة ولا من الزيدية على دخول المذهب الإسماعيلى فقد كان متسامحا معهم إلى أقصى حد، ويرجع هذا إلى أن غايته كانت إصلاح اليمن، فقد غلبت عليه قوميته فى إصلاح أحوال أهل بلده، وأراد خدمة الإسلام والمسلمين، ويدل على ذلك مدحه من أعدائه قبل أنصاره، فنجده بمجرد سيطرته على اليمن يشرع فى إصلاحه فيعمر صنعاء بعد أن كانت قد خربت ويعمر فيها ما تشعث من المساجد، إذ كان مهتما إهتماما عظيما بجانب العمارة الدينية فى بلاد اليمن، وآثر إصلاح بلاد اليمن من كافة النواحى مما أضفى عليه هيبة ووقارا وإحتراما من أهل السنة، فقد غلبت عليه سياسته المتمثلة فى إصلاح حال المواطن اليمنى والعمل على إقامة العمائر والمرافق باختلاف أنواعها، وقد أدخل كثيرا من وجوه الإصلاح فى بلاد الحجاز وأحسن معاملة الناس ونشر العدل بينهم وأمن طريق الحج وكسا الكعبة بالديباج الأبيض وجلب الأقوات إلى بلاد الحجاز مما أكسبه محبة وإحتراما من المسلمين على كافة مذاهبهم(٥٤).

ومنذ أعلن الصليحى عن ولائه للمستنصر بالله الفاطمى صراحة ظل على العهد والولاء المذهبى فقط، ولكن من الناحية السياسية جعل اليمن بلدا مستقلا لاتحكم من عاصمة الفاطميين بل من صنعاء حاضرة الدولة الصليحية، وهذا دليل واضح على أن همه كان رفعة شأن بلاد اليمن وإزدهارها وإستقلالها موحدة، فقد غلبت عليه قوميته فأقام دولة من أعظم الدول التى حكمت اليمن ووحدته.

خلفاء الداعى على بن محمد الصليحى :

تعاقب على إمرة الدولة الصليحية بعد موت الداعى على بن محمد الصليحى

٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م ثلاثة كان آخرهم الملكة الحرة السيدة بنت أحمد. حتى كانت الدولة الصليحية قد بلغت فى عهدها أقصى درجات رفعتها وإزدهارها، وفى بداية عهدها وصلت الدولة الصليحية إلى أقصى درجات ضعفها وإنهيارها الذى كانت بوادره قد ظهرت فى بداية القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى.

وسنذكر فيما يلى نبذة تاريخية عن الأمراء الذين تولوا إمارة الدولة الصليحية بعد الداعى على بن محمد الصليحى لأن هؤلاء الأمراء يمثلون فترة إزدهار الدولة الصليحية وقوتها قبل أن يدب الضعف إليها، ومن ثم فإن عهودهم تعكس مظاهر الحضارة، وما يتبعها من تشييد وعمران نتيجة الإستقرار والرخاء الذى تميزت به تلك الفترة من تاريخ الدولة الصليحية وبخاصة فترة حكم الملكة الحرة السيدة بنت أحمد.

وهؤلاء الأمراء الذين كونوا مع الداعى على بن محمد الصليحى عصر القوة والإزدهار المكرم أحمد بن على الصليحى (٤٥٩-٤٧٨هـ/ ١٠٦٦-١٠٨٥م)، سبأ بن أحمد (٤٧٨-٤٩٢هـ/ ١٠٨٥- ١٠٩٨م) والملكة الحرة السيدة بنت أحمد (٤٧٨-٥٣٢هـ/ ١٠٨٥-١١٣٧م).

الملك المكرم أحمد بن على الصليحى (٤٥٩-٤٧٨هـ/١٠٦٦-١٠٨٥م):

شهدت بلاد اليمن بعد مقتل الداعى على بن محمد الصليحى حالة من الإضطراب، وكانت أقرب إلى العودة إلى التردى الذى وصلت إليه قبل قيام الداعى على بن محمد الصليحى بالثورة والإصلاح، لذلك كانت الحاجة ماسة إلى وجود شخصية قوية قادرة على القضاء على هذا الإضطراب وإعادة الإستقرار وإستكمال ما بدأه الداعى على بن محمد الصليحى وتمثلت هذه الشخصية فى الملك المكرم أحمد بن على الصليحى، الذى استخلفه أبوه فى حياته قبل مقتله على صنعاء فظل يحكم اليمن من صنعاء حاضرة الدولة الصليحية، وتمثلت الإضطرابات التى قابلته فى بداية توليه فى بعض قبائل حراز

التى أرادت القصد لمن فى حصن مسار من عسكر الصليحى وبلغ المكرم ذلك فأرسل طائفة من عسكره إلى مسار فوصلت القبائل إليهم واعتذروا مما كان قد هموا به، وأقام معسكرا فى مسار قدر ثمانية أيام، ثم رجعوا إلى صنعاء فلقيهم فى طريق الهان أهل تلك الجهة بالحرب فإنتصر عسكر المكرم(٥٥).

وكان على المكرم أن يخلص أمه من أسر سعيد الأحول فقد أعملت الحرة أسماء بنت شهاب الحيلة، وأرسلت كتابا لطيفا إلى ابنها الملك المكرم فى عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م(٥٦).

فلما وقف الملك المكرم على كتابها سار من صنعاء وصفاله من جيشه ألف وستمائة فارس وصفت الحبشة فى عشرين ألف رجل واستطاع المكرم أن ينتصر ويخلص أمه من الأسر وهرب الأحول بن نجاح ومن معه إلى دهلك(٥٧) وجزائرها(٥٨).

ويذكر عمارة اليمنى أنه «فى سنة ٤٨١هـ (١٠٨٨م) دبرت السيدة بنت أحمد قتل سعيد الأحول وكان لها ما أرادت»(٥٩) ولكن القاضى محمد بن على الأكوع يذكر نقلا عن الروضة أن الأحول فر بعد أن هزمه المكرم إلى الشعر(٦٠) فلحقه المكرم فقتله ويرى الأكوع فيما ذكره عمارة بشأن تدبير الحرة الملكة قتل سعيد الأحول أن المكرم لما إستخلص أمه كان هذا هو كل همه فى غزو زبيد وإنقاذ نسائهم من الأسر ونفض العار عنهم ثم رجع إلى صنعاء فأكبر الغنيمة هو عودته بوالدته وذلك نظرا لكثرة الخارجين عليه فاستغل الأحول هذا الجو القاتم على الملك المكرم فعاد إلى زبيد وأراد غزو صنعاء فحلت به كارثة تدبير الحرة قتله(٦٠).

غير أننى أظن أن الرأى الأول هو الارجح وهو أن سعيد الأحول قتل فى الشعر، لأن المؤرخ ابن سمرة ذكر فى طبقاته فى أثناء حديثه عن جياش «أن العرب قتلت أخاه فى الشعر وقبره هنالك بنجد قيظان»(٦١). ومعظم ماذكره ابن سمرة من تواريخ وأحداث خاصة بالدولة الصليحية يتسم بالدقة إلى حد كبير كما

تقدم. كما أن سعيد الأحول قتل على بن محمد الصليحى وعبد الله بن محمد الصليحى وخيرة رجال بنى الصليحى وأسر نسائهم ووضع الرأسين أمام هودج أسماء بنت شهاب فى اثناء عودته من المهجم وركزهما قبالة الطاقة التى أسكنها بزبيد فيها، وأقامت أسماء ثمانية شهور وقيل سنة كاملة فى الأسر. كل هذا لابد وأن يكون قد ترك فى نفس الملك المكرم وأمه أسماء بنت شهاب حقد عظيم ورغبة صميمة فى الأنتقام من سعيد الأحول وأهل بيته، لذلك فإننى أرى أن المكرم حين استطاع أن ينتصر على الحبشة وعلم بهروب الأحول تتبعه بقوة وأسرع خلفه بعد أن إطمأن على أمه وقتله فى الشعر.

وكان إنقاذ المكرم لأمه قد أعطاه دفعة قوية وإستمرارا للمسيرة الناجحة التى بدأها على بن محمد الصليحى رغم كل الصعاب التى أحاطت به، ويرجع هذا إلى أن أهل اليمن فى ذلك العهد لم يألفوا الخضوع لسلطان حكومة مركزية كحكومة الصليحى، الذى لم يستطع برغم مابذله من جهد أن يحول اليمنيين إلى الخضوع لسلطة حكومة مركزية، كما أن خضوع اليمن كله للصليحى لم يكن عن رغبة من أهله فوجدوا فى موت الصليحى فرصة سانحة للعودة إلى ما كانوا عليه من دويلات وإمارات وولايات مستقلة(٦٢).

وكان على المكرم أن يواجه كل هذا ويعمل على توحيد اليمن من جديد سيرا على سنة أبيه ويذكر عنه عمارة اليمنى «أنه كان شديد القوة عظيم الخلقة»(٦٣)، ودخل المكرم فى حروب مريرة مع الشريف الفاضل وأخيه ذى الشرفين صاحب سيرة ذى الشرفين وهو آخر من ولى الأمر فى أولاد القاسم العيانى(٦٤).

تزوج الملك المكرم السيدة بنت أحمد فى أيام أبيه، وبعد انتصاره على الحبشة بعد تخليص أمه من الأسر أصابه «مرض الفالج» ففوض جميع أعمال المملكة إلى زوجته السيدة بنت أحمد، وانتقلت من صنعاء إلى ذى جبلة حين طال القتال بينهم وبين الأشراف آل القاسم بن على العيانى(٦٥).

وقد كان تنازل الملك المكرم عن سلطانه لزوجته إنما بسبب المرض الذى أعجزه عن مباشرة شئون الحكم وأمور الدولة، وليس كما ذكر المؤرخون ليعكف على اللهو والشراب، فالثابت من تاريخ المكرم أنه قضى فترة حكمه فى حروب متصلة لإستعادة ملك أبيه ووحدة اليمن وقضى بقية حياته فى حصن التعكر بعيدا عن السياسة والحكم(٦٦).

أما عن وفاة الملك المكرم فقد اختلف المؤرخون فيها فقد ذكر عمارة اليمنى «وفى سنة أربع وثمانين وأربعمائة مات المكرم وأسند الوصية فى الدعوة إلى الأمير الأجل الأوحد المظفر عمدة الخلافة أبى حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحى»(٦٧).

وأيضا ابن الديبع(٦٨) ويحيى بن الحسين(٦٩) وذكر ابن سمرة فى طبقاته «وكان موت الملك المكرم فى حصن أشيح(٧٠)، وقيل أنه مات ببيت بوس(٧١) من أعمال صنعاء سنة ثمانين وأربعمائة وقيل سنة تسع وسبعين، وكانت ولايته وإمارته إحدى وعشرين سنة»(٧٢) غير أننى قد لاحظت عند قراءة ودراسة السجلات المستنصرية سجلا هاما من المستنصر بالله الخليفة الفاطمى إلى عبد المستنصر أبى الحسن على بن الملك المكرم يذكر فيه «أن الدعوة المستنصرية الهادية ثبتها الله بالأعمال اليمنية ويعزيه ويعزى نفسه عن أبيه الملك المكرم وينصبه منصب أبيه وكتب هذا السجل فى غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأربعمائة»(٧٣) وهذا السجل يؤكد موت الملك المكرم فى عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وأقرب التواريخ إلى هذا التاريخ هو ما ذكره ابن سمرة فى طبقاته وسوف أتناول هذا السجل بالدراسة عند التعرض للعلاقات الصليحية الفاطمية.

والواقع أن الملك المكرم قد تولى فى ظل ظروف صعبة للغاية خاصة بعد مقتل الداعى على بن محمد الصليحى مع خيرة رجال الدولة الصليحية وثارت عليه القبائل رغبة فى العودة إلى الدويلات المستقلة لأنهم لم يألفوا الوحدة، ولكن المكرم استطاع بعد حروب طويلة مريرة أن يعيد سيطرته على اليمن ويخلص أمه

من الأسر، ويعيد الدولة الصليحية إلى سابق مجدها أيام أبيه متحب بالصفات القويمة واستمر الملك المكرم على سنة أبيه فى اصلاح أحوال اليمن. ولكن إصابته بالمرض أجبرته على الراحة ففوض أموره إلى زوجته السيدة بنت أحمد.

الملكة الحرة السيدة بنت أحمد (٤٧٨ - ٥٣٢هـ/١٠٨٥-١١٣٧م):

شهدت بلاد اليمن فى عصر الملكة الحرة السيدة بنت أحمد أقصى درجات رفعتها وإزدهارها ويعكس لنا عصرها مظاهر الحضارة وما يتبعها من تشييد وعمران نتيجة الاستقرار والرخاء، إذ أنها كانت من أعظم الشخصيات التى حكمت بلاد اليمن والتى يحدثنا عنها التاريخ اليمنى فى العصر الإسلامى.

لقد وصفت الملكة الحرة السيدة بنت أحمد بصفات كثيرة وعديدة منها على سبيل المثال مأذكره المؤرخ عمارة اليمنى بقوله «كانت الملكة الحرة بيضاء حمراء مديدة القامة معتدلة البدن كاملة المحاسن جهورية الصوت قارئة كاتبة تحفظ الأشعار والأخبار والتواريخ وما أحسن ما كانت تلحق بين سطور الكتابة من اللفظ والمعنى»(٧٤) ويضيف عمارة اليمنى «وسمعت غير واحد من شيوخ ذى جبلة يقول إن الصليحى كان يخصها من الأكرام فى حال صغرها بما لا يماثلها فيه أحد، ويقول لأسماء زوجته أكرميها فهى والله كافلة ذرارينا حافظة هذا الأمر على من بقى منا»(٧٥).

على أن المؤرخين قد اختلفوا فى اسمها، فيذكر القاضى اسماعيل بن على الأكوع أنه قد وقع بعض المؤرخين فى الخطأ حينما سموها أروى وأن اسمها سيدة والألف واللام فى السيدة للتحلية مثل الحسن والحسين، وتوجد من بيت الصليحى إمرأة اسمها أروى وهى أروى بنت شمس المعالى على بن عبد الله الصليحى تزوج بها المنصور بن المفضل بن أبى البركات، فالتبس على المؤرخين المتأخرين فسموها الملكة أروى.

ويذكر القاضى إسماعيل الأكوع أن اسم أروى قد شاع منذ أن أصدر الدكتور حسين الهمدانى كتابه الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن[٧٦]، والواقع أن الحمادى اليمانى ذكر اسمها السيدة بنت أحمد[٧٧]، وكذلك ابن سمرة[٧٨] وعمر بن يوسف بن رسول (الملك الأشرف)[٧٩] وذكر العبدلى قوله «مآثر السيدة بنت أحمد مشهورة فى اليمن واسمها سيدة بنت أحمد»[٨٠].

لذلك أرجح رأى القاضى اسماعيل الأكوع، أن اسمها السيدة بنت أحمد لا أروى بنت أحمد، وتزوجها الملك المكرم فى أيام أبيه الصليحى فولدت له أربعة أولاد محمدا وعليا وفاطمة وأم همدان[٨١]، وفوضها الملك المكرم فى أمور البلاد وكان أول ما عملته أن إرتادت ذى جبلة من مخلاف[٨٢] جعفر واتخذتها حاضرة للدولة الصليحية[٨٣]، واختيار جبلة يدل على مبلغ ذكاء السيدة بنت أحمد وخبرتها لأن معظم من تولى اليمن كله أو الجزء الأكبر منه وكان غالب إقامته فى صنعاء وطالت مدته عن العشرين عاما فأكثر فأن نهايته القتل ومنهم على سبيل المثال الأمير الكبير محمد بن يعفر بن عبد الرحمن الحوالى، ومنهم الملك الكامل على بن محمد الصليحى المتوفى ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م[٨٤]، إلى جانب أن صنعاء ثارت فيها بعض القبائل على الملك المكرم وسوف أتناول هذا الموضوع بالتحليل عند الحديث عن حواضر الدولة الصليحية، صنعاء وجبلة والتعكر وإب.

انتقل المكرم أحمد وزوجته إلى جبلة واستخلف على صنعاء عمران بن الفضل اليامى الهمدانى، وبعد وفاة المكرم كانت أولى المشاكل التى قابلت السيدة بنت أحمد أن المكرم أسند الوصية فى الدعوة إلى سبأ بن أحمد ويذكر د. حسن سليمان محمود أن إدريس عماد الدين نقلا عن السجلات المستنصرية انفرد برأى آخر ـ وهو الأصح ـ أن المكرم عندما توفى كتمت الحرة الملكة الأمر إلى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله بإقامة ولدها المكرم الأصغر عبد المستنصر على بن المكرم[٨٥].

أراد الداعى سبأ بن أحمد خطبتها وكان جوادا وشاعرا وكان مقر عزه حصن أشيح، فرفضت السيدة بنت أحمد فسار يريد حربها بجبلة فجمعت هى جنودا أعظم من جنوده ونشبت الحرب بينهما أياما واحتكما إلى المستنصر، وكتب المستنصر بالله إلى الحرة الملكة يأمرها بالزواج من سبأ بن أحمد ووافقت نزولا على رغبة المستنصر بالله، ورأى سبأ من عالى همتها وشرف أفعالها ما حقر معه نفسه وندم على خطبتها وأرسل إلى الحرة أن تأذن له فى الدخول إلى دار العز ليتوهم الناس أنه دخل بها ليلة واحدة ثم إرتحل صبيحتها، وقوم يقولون: بعثت إليه جاريتها وكانت تشبهها حتى إذا طلع الفجر وصلى أمر بضرب الطبول وسار فلم يجتمعا بعدها[٨٦].

وكانت حصون بنى المظفر مشرفة على زبيد وأقرب إلى تهامة من سائر الجبال وكانت الحرب بينهما سجالا يتبادلون ملك تهامة إلى أن كانت وقعة الكظائم التى دبرت بإحكام من قبل جياش بن نجاح والوزير خلف بن أبى الطاهر ضد سبأ بن أحمد بن المظفر وكان العرب فى هذه المعركة ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل وهلك معظمهم وهرب سبأ فى تلك الليلة فلم تعد العرب تهامة بعدها[٨٧].

وتوفى الأمير سبأ بن أحمد عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م، وبموته خرجت صنعاء وأعمالها من بنى الصليحى ولم يبق لهم فيها أمر وإستولى عليها السلطان حاتم بن الغشم، وأقامت السيدة بنت أحمد المفضل بن أبى البركات بن الوليد الحميرى[٨٨] للدفاع عن مملكتها والقيام بأمر دولتها وكان عاملا على التعكر ويذكر عمارة اليمنى «والمفضل يتصرف عن أوامرها ويدخل إليها مع خواص وزرائها، وهو رجل الدولة ومدبرها والحرة لا تقطع أمرا إلا به فعظم بذلك شأنه وعلت كلمته وغزا تهامة مرارا وهبط إلى عدن مرارا ولم يبق فى اليمن من يساويه ولا من يساميه»[٨٩].

وعظم شأن المفضل وله فى أعمال دولة الملكة مواطن حميدة منها أنه حارب

الداعى سبأ بن أحمد حين خطب الحرة الملكة واسترجع لها نصف خراج عدن من آل زريع بمائة ألف دينار كل سنة[٩٠]، وقال يوما للملكة الحرة وهى فى التعكر: انظرى إلى ما كان فى هذا الحصن فاتركيه لى فلا طاعة لك على فيه فقالت له: الحصن حصنك وأنت رجل البيت ولا حرج عليك منى فخجل منها وأطرق ونزلت إلى جبلة فكان يترضاها فى طلوع الحصن كعادتها فلا تفعل وهى فى ذلك تواصل بره[٩١].

ولما تعقدت الأمور على الملكة الحرة بعد موت المفضل أرسلت إلى الخلافة الفاطمية تطلب منها مستشارا ليساعدها فى تدبير شئون دولتها فأرسلت الخلافة الفاطمية متمثلة فى الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م الأمير على بن نجيب الدولة بصحبة عشرون فارسا مختارة منتقاة إلى بلاد اليمن[٩٢].

وصل ابن نجيب الدولة إلى جزيرة دهلك ولقيه بها محمد بن أبى العرب فكشف لإبن نجيب الدولة أسرار اليمن وأحوال الناس، فاعتقد أهل اليمن أن ابن نجيب الدولة يعلم الغيب وقررت الملكة إقامته بجبلة ثم غزا أهل وادى ميتم[٩٣] وغزا مدينة زبيد فأمنت البلاد ورخصت الأسعار وعز جانب الحرة وإنقمع أهل اليمن عن الطمع فى أطراف بلادها[٩٤].

وتوفيت الحرة الملكة فى شعبان سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م فى جبلة وقبرها فى مسجدها وهو الجامع الكبير ثم ولى بعدها على بن عبد الله بن محمد الصليحى دون السنة ومات سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م وبعده زوجته أسماء بنت محمد الصليحى استقامت مدة قليلة وانضم إليها السلطان كحيل واسمه عبد الله بن محمد ثم خرج اليمن من أيدى بنى الصليحى إلى الأمير منصور بن المفضل[٩٥].

وفى سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ابتاع الداعى محمد بن سبأ من الأمير منصور بن المفضل جميع المعاقل التى كانت لبنى الصليحى وهى ثمانية وعشرون حصنا ومدائن مدينة جبلة[٩٦].

وبذلك تكون السيادة قد إنتقلت من بيت الصليحى إلى بنى زريع الذين تقلدوا الدعوة للخليفة الفاطمى مع وجود بعض جيوب من بقايا رجال الصليحيين فى حصون متفرقة(٩٧).

وبعد يتضح مما سبق أن الملكة الحرة إستمرت تنهج سياسة الصليحى والمكرم فى تحمل مسئولية إستمرار الدولة الصليحية وإقامة الدعوة الفاطمية ونجحت فى ذلك إلى حد كبير ففى عهدها قويت العلاقات بين الخلافة الفاطمية فى مصر والدولة الصليحية فى اليمن وكان لها مآثر عظيمة خلال فترة حكمها الطويل حتى وفاتها عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م ومن مآثرها الباقية المسجد الجامع ومشهدها بذى جبلة ولها علاوة على ذلك أعمال جليلة وآثار باقية إلى جانب العمارة الدينية سوف أتناولها عند التعرض لمنشآت الدولة الصليحية فى بلاد اليمن.

هوامش وتعليقات الفصل الثالث

(١) د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى سيدة ملوك اليمن، دار الثناء للطباعة والنشر، ص ص ٦-٧.

(٢) القاضى عبد الله بن عبد الوهاب الشماعى: اليمن الانسان والحضارة، دار الهنا للطباعة، ص ١١٣.

(٣) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ ٣، ص ص ٢٩-٣٠.

(٤) العرشى: بلوغ المرام، ص ص ٢٤-٢٥.

عبد الرحمن بن على الديبع: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى، القاهرة ص ٤٣.

الأمراء الصليحيون: هم ولد على بن يوسف بن عبد الجبار بن الحجاج الصليحى، وهم آل خيران من حجور، وحجور قبيلة من همدان من أفخازهم حاشد مسكنهم مغارب حوث وشظب ومايواليهم من التهائم من السهلية إلى حرض انظر:

عمر بن يوسف بن رسول: طرفة الأصحاب فى معرفة الإنساب، تحقيق ك. و. سترستين، دار الكلمة، صنعاء، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ١١٧.

(٥) الحمادى اليمانى: هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمانى من فقهاء السنة باليمن فى أواسط المائة الخامسة، وتمكن من الأندساس بين الصليحيين فعرف امرهم ودرس ظاهرهم وباطنهم، ثم ألف هذا الكتاب وهو كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ولكنه لم يدرك آخر أيام الصليحى.

انظر: الحمادى اليمانى: كشف أسرار الباطنية، ص ١٩١.

(٦) الحمادى اليمانى: كشف اسرار، ص ٢١٩.

(٧) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١٠٣.

(٨) د. حسين الهمدانى: الصليحيون، ص ص ٧٣-٧٤ هامش ٣.

(٩) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٠١ هامش ٢.

(١٠) أحمد بن عبد الله الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق عبد الله العمرى، صنعاء، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٢٩.

(١١) الحمادى اليمانى: كشف اسرار، ص ٢١٩.

(١٢) عمر بن سمرة الجعدى: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد - القاهرة ١٩٥٧م - ص ٨٧.

(١٣) د. حسن إبراهيم حسن: الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة ١٩٣٢م، ص ١٧٤.

(١٤) هذه الصفة من الصفات التى نعت بها الصليحى من قبل الحمادى.
الحمادى اليمانى: كشف أسرار، ص ٢١٩.

(١٥) مسار: أعلى قمة فى جبل حراز ليس فى اليمن ما يماثله سوى التعكر والسمدان وحب ومنه ثار الصليحى بالدعوة المستنصرية. عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ٩٤-١٠١، حاشية ٤.

(١٦) السراة: جبل السراة الذى يصل ما بين أقصى اليمن والشام فإنه ليس بجبل واحد بل هى جبال متصلة على نسق واحد من أقصى اليمن إلى الشام فى عرض أربعة أيام فى جميع طول السراة والسروات ثلاثة سراة بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء وأفصح الناس أهل السروات، انظر: ياقوت الحموى: المشترك وضعا المفترق صقعا، ص ٤٣.

عمر رضا كحالة: جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ص ٩-١١.

(١٧) عمارة اليمنى: المفيد، ص ٩٧.

زيد بن عنان: تاريخ حضارة اليمن القديم، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ص ١٢.

(١٨) د. حسين الهمدانى: الصليحيون، ص ٦١.

(١٩) د. محمد أبو الفرج العشى: المسكوكات فى الحضارة العربية الإسلامية من الأسرة الصليحية، (الآثار الإسلامية فى الوطن العربى)، المؤتمر التاسع للآثار فى البلاد العربية، (صنعاء - ١٩٨٠م)، ص ٢١١.

(٢٠) هذا الدينار للداعى على بن محمد الصليحى، وهو إسماعيلى لكنه يذكر إسم الخليفة الفاطمى وهو محفوظ فى متحف قطر الوطنى. انظر: د. محمد أبو الفرج: المسكوكات، ص ٢١١.

(٢١) أسماء بنت شهاب: هى أم الملك المكرم وزوجة الصليحى وإبنة عمه كانت من الكرم والسؤدد والجوايز الجزيلة للشعراء والصلات الواسعة فى سبيل المرءوة والخير بحيث يمدح أولادها وإخوتها بمفاخرها وفيها يقول شاعر زوجها عمرو بن يحيى الهيثمى قلت:

إذا عظمـــوا لبلقيـــس عرشـــا دست أسماء من ذرى النجم أعظم

انظر : عمارة اليمنى: المفيد، ص ٩٨.

الزركلى: الأعلام، الطبعة الثانية، جـ ١ ص ٢٩٩.

(٢٢) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢٣) نجد العليا: قيل نجد هو الأرض العريضة التى أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام ونجد اليمن وهو يتصل بنجد الحجاز من جنوبيه فجنوبى نجد الحجاز إلى شمالى نجد اليمن.

انظر : صفى الدين البغدادى: مراصد الإطلاع، جـ ٣ ص ص ١٣٥٨ - ١٣٥٩.

(٢٤) حراز: مخلاف باليمن قرب زبيد سمى باسم بطن من حمير وهو حراز ويكنى أبا مرثد بن عوف ويقال لقريتهم حرازة وبها تعمل الأطباق الحرازية وحراز صقع واسع غربى صنعاء مركزه مناخة فى رأس جبل حراز.

انظر : ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ٦، المجلد ٢، ص ٣٤.

الحجرى: مجموع بلدان اليمن، جـ ٢، ص ص ٢٥٢-٢٥٥.

هانز هوليفرتز: اليمن من الباب الخلفى، تعريب خيرى حماد، الطبعة الثانية. ١٩٦٦م، ص ٢٠٦.

عبد الله بن أحمد الثور: اليمن دراسة موجزة للمحافظات، القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢٥) عمارة اليمن: المفيد، ص ص ١٠١-١٠٣.

(٢٦) نجاح: هو مملوك حبشى لمرجان ناظر قصر آخر بنى زياد وكان مقر دولته زبيد ولم يزل نجاح ملكا حتى مات وقد أجمعت التواريخ على أن موته ٤٥٢هـ وهو ما سأناقشه عند التعرض لإستيلاء الصليحى على اليمن، وترك نجاح من الأولاد عدة فملك منهم سعيد الأحول وجياش.

انظر : د. أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـ١، القاهرة ١٩٧٢م.

(٢٧) تهامة: تهامة تساير البحر منها مكة وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها وهو من التهم وهو شدة الحر وركود الريح ويقال سميت بذلك لتغير هوائها، وهى قطعة من اليمن ذات جبال مشتبكة أولها مشرف على بحر القلزم مما يلى غربيها وشرقيها بناحية صعدة وجرش ونجران وشماليها حدود مكة وجنوبيها من صنعاء تقطعه القوافل ليلا تجنبا لحرارته الشديدة ويدخل فى اسم تهامة عدن وأبين ولحج وما إلى ذلك من البلاد الواقعة جنوب اليمن، انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ٥، ص ص ٦٣-٦٤.

ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٣.

عمر رضا كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب ص ١٣.

(٢٨) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٦٨م، جـ ١، ص ٤٩.

(٢٩) حضور: بالفتح ثم الضم وسكون الواو بلدة باليمن من أعمال زبيد.

انظر : صفى الدين البغدادى: مراصد الإطلاع، جـ ١، ص ٤١٠.

(٣٠) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

(٣١) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

(٣٢) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

(٣٣) الحيمة الداخلية: الحيمة الداخلية والخارجية بالقرب من صنعاء على بعد ٤٠ كيلو مترا، ويحدهما شمالا وادى سردد وقضاء الطويلة وجنوبا آنس ووادى تهام وشرقا بنى مطر وغربا حراز ومركز الحيمة الداخلية العر ومركز الحيمة الخارجية مفحق وهى من المناطق الجبلية ومن أشهر جبال الحيمة جبل العر والأحبوب وردمان.

انظر : الويسى: اليمن الكبرى، ص ص ٧٩ - ٨٠.

(٣٤) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١ - ١١٦.

(٣٥) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

(٣٦) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

وقعة صوف: صوف بفتح الصاد وسكون الواو ثم فاء أسفل وادى قرية يازل الواقعة على قارعة طريق صنعاء ـ الحديدة.

انظر : عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

الكبسى الصنعانى: اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية، ص ٣١.

(٣٧) يذكر القاضى محمد بن على الأكوع عن سيرة ذى الشرفين أن مؤلفها معاصر لأحداث فترة الصليحى وإن كان سلط لسانه بالشتائم واللعنات على الملك الصليحى رغم أنه لم يستطع أن يخفى الحقيقة.

وعن تاريخ اليمن لمؤلف مجهول فهو يرجع إلى القرن الخامس الهجرى ليمنى مجهول اسم المؤلف كما سقطت منه أوراق هى من الأهمية بمكان أفقدتنا منها فترات لها قيمتها العلمية والتاريخية وكذلك روضة الحجورى.

انظر : عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

(٣٨) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

(٣٩) د. سهام محمد المهدى: دينارفاطمى نادر ضرب فى زبيد ٤٤٧هـ، مجلة كلية الآداب (المؤرخ المصرى)، العدد الثانى، (يوليو، ١٩٨٨م)، ص ٦٣.

(٤٠) د. محمد أبو الفرج: المسكوكات فى الحضارة العربية، ص ص ٢١١-٢١٢.

(٤١) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ص ص ٢٥١-٢٥٢.

الكبسى الصنعانى: اللطائف السنية، ص ٣٢.

(٤٢) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٠١-١١٦.

ذكر الكبسى أن الصليحى أطلق سراح الشريف الفاضل عام ٤٤٩هـ.

انظر: الكبسى: اللطائف السنية، ص ٣٢.

(٤٣) د. أحمد محمود صبحى: الزيدية، ص ٧٤٧.

الإمام أبو الفتح الديلمى: هو الإمام الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن زيد بن الحسن السبط.

انظر: د. أحمد محمود صبحى: الزيدية، ص ٧٤٧.

(٤٤) الكبسى الصنعانى: اللطائف السنية، ص ٣١.

(٤٥) سالم بن حمود: الحقيقة والمجاز، ص ص ١٤٢-١٤٤.

(٤٦) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١١٩.

(٤٧) المهجم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن وأكثر أهلها خولان من أعلاها وشماليها وأسفلها لعك وكانت مدينة عامرة من أمهات مدن الجزء الشمالى من تهامة بل عاصمته.

انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ١٧، مجـ ٥، ص ٢٢٩.

صفى الدين البغدادى: مراصد الإطلاع، جـ ٣، ص ١٣٣٧.

(٤٨) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٢٦-١٢٨.

(٤٩) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٢٦-١٢٨.

(٥٠) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص ص ٨٧-٨٨.

(٥١) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٢٦-١٢٧.

(٥٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ص ٢٥٦-٢٥٨.

(٥٣) د. عبد المنعم ماجد السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤٠، ص ص ١٣٧-١٤٠.

(٥٤) د. حسن إبراهيم حسن: اليمن البلاد السعيدة، ص ٧٧.

محمود كامل: اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية، بيروت، ١٩٦٨، ص ص ١٦٨، ١٦٩.

(٥٥) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٥٦) عمارة اليمني: المفيد، ص ١٢٨.

(٥٧) دهلك: اسم أعجمي معرب ويقال له دهيك وهي جزيرة بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها وهي مشهورة على ألسنة التجار طولها نحو ٨٠ ميلا وبينها وبين بر اليمن نحو ٣٠ ميلا وهي للحبشة المسلمين.

انظر : ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٢، ص ٤٩٢.

(٥٨) عمارة اليمني: المفيد، ص ص ١٢٨-١٣٣.

(٥٩) عمارة اليمني: المفيد، ص ص ١٤٢-١٤٥.

(٦٠) الشعر: بفتح الشين وكسر العين المهملة ثم راء مهملة مخلاف مشهور من ناحية النادرة والثياب الشعرية منسوبة إليه.

انظر : الحجري: مجموع بلدان اليمن، جـ ٣، ص ٤٥٤.

(٦٠) عمارة اليمني: المفيد، ص ١٤٤ حاشية ٢.

(٦١) ابن سمرة: طبقات فقهاء، ص ١٠٤.

(٦٢) د. حسن إبراهيم حسن: اليمن ص ٧٩.

(٦٣) عمارة اليمني: المفيد، ص ص ١٢٠-١٢١.

(٦٤) الكبسي الصنعاني: اللطائف السنية، ص ص ٣٧-٣٨.

الجرافي: المقتطف، ص ٨٠.

(٦٥) العرشى: بلوغ المرام، ص ص ٢٥-٢٦.

(٦٦) د. عصام الدين عبد الرءوف: اليمن، ص ١٥٨.

(٦٧) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٤٦.

(٦٨) ابن الديبع: بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشى، صنعاء، ١٩٧٩م، ص ص ٤٨-٤٩.

(٦٩) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ص ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٧٠) اشيح: حصن منيع عال جدا فى جبال اليمن فى بنى سويد، ويعرف الآن عند أهل آنس بحصن ظفار وهو خراب، وآنس بوزن فاعل بلد واسع فى الجنوب الغربى من صنعاء.

انظر : ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ٢، ص ٢٠٢.

الحجرى: مجموع بلدان جـ ١، ص ص ٢٦-٢٧.

(٧١) بيت بوس: نسبة إلى السقيل ذى بواس بن شرحبيل وهو قرية وحصن عامر وواد فيه بعض الفواكه ويقرب فى الغرب الجنوبى من صنعاء.

الهمدانى: صفة الجزيرة، ص ١٥٦ حاشية ٣.

٧٢) ابن سمرة: طبقات فقهاء، ص ١٢٣.

د. محمد أمين صالح: العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية مجـ ٢٦، ١٩٧٩م، ص ٨١ حاشية ٣.

(٧٣) د. عبد المنعم ماجد: السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤، ص ص ٥٨-٦٢.

(٧٤) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٣٧.

د. أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٥٠.

(٧٥) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٣٨-١٤٣.

(٧٦) الحجرى: مجموع بلدان، جـ ٣، ص ٤٨٢.

الزركلى: الأعلام، جـ ١، ص ٢٧٩.

اسماعيل بن على الأكوع: امرأة تتولى الحكم فى اليمن: مجلة الفيصل العدد ٨٨ (شوال ١٤٠٤هـ/ يوليو ١٩٨٤م) الرياض، ص ٥٩.

(٧٧) الحمادى اليمانى: كشف أسرار، ص ٢٢٠.

(٧٨) ابن سمرة: طبقات فقهاء، ص ١٢٣.

(٧٩) عمر بن يوسف بن رسول: طرفة الأصحاب، ص ١١٩.

(٨٠) أحمد فضل بن على العبدلى: هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن، ص ٥٤.

(٨١) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٣٧-١٣٨.

(٨٢) مخلاف: المخلاف وحدة إدارية أشبه بالكورة ويشمل بلدانا عديدة من حيث السعة و عدد البلاد التى تتبعه ويطلق هذا المصطلح فى بلاد اليمن بالنسبة للمدن الكبيرة ومازال يستخدم هذا المصطلح بالنسبة لبعض البلدان اليمنية.

انظر: د. مصطفى عبد الله شيحة: شواهد قبور، جـ ١، ص ١٩ حاشية ٣.

(٨٣) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٣٨-١٤١.

(٨٤) محمد بن على الأكوع: اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ص ٤٢٩-٤٣٠.

(٨٥) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٤٢-١٤٥.

د. حسن سليمان محمود. الملكة أروى، ص ص ٢٢-٢٣.

(٨٦) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٥٠-١٥٣.

(٨٧) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ص ٢٧٩.

الكبسى: اللطائف السنية، ص ص ٤٠-٤١.

أحمد السعيد سليمان: معجم الأسر الحاكمة، جـ ١، ص ١٩٩.

(٨٨) المفضل بن أبى البركات: لما إختط المكرم دار العز بجبلة وانتقل عن صنعاء والتعكر يومئذ فى يدى أبن عمه أسعد بن عبد الله بن محمد الصليحى ساءت علاقة أسعد

فنقله المكرم من مجاورته وعن التعكر وعوضه عنه حصون ريمة وأعمالها وجعل ـ البركات بن الوليد الحميرى واليا للتعكر والمفضل يومئذ يتوصف للملك المكرم بحيث وهو من صغار الدار الذين يدخلون على الحرة الملكة فى رسائل المكرم، ولما مات أبو البركات جعلت الحرة ولاية التعكر إلى ابنه المفضل بن أبى البركات.

انظر : عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٥٤-١٥٥.

(٨٩) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٥٤-١٥٥.

يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ص ٢٧٩.

(٩٠) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٥٦.

(٩١) الوصابى: تاريخ وصاب، ص ٤٣.

(٩٢) د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٤٩-٥٠.

محمود كامل: اليمن شماله وجنوبه ص ١٧١.

(٩٣) وادى ميتم: يذكر عنه محمد بن على الأكوع وادى ميتم من الأودية العظام ومن أخصب أراضى اليمن كثير القرى غنى بالمنسوجات.

انظر : عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٦٣ حاشية ٧.

(٩٤) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٦٣-١٦٤.

(٩٥) ابن سمرة: طبقات فقهاء، ص ص ١٢٣ـ١٢٤.

(٩٦) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٨٧.

(٩٧) د.. محمد أمين صالح: دولة الخوارج فى اليمن (بنو مهدى فى زبيد)، (٥٥٤هـ ـ ٥٦٩هـ)، (المجلة التاريخية المصرية ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مج ٢٥ ـ ١٩٧٨م)، ص ص ١٣٤ـ١٣٥.

علاقة الدولة الصليحية بالخلافة الفاطمية فى مصر

شهد القرن الخامس والسادس الهجريين/ الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين علاقات ودية وطيبة وقوية بين الدولة الصليحية فى اليمن والخلافة الفاطمية فى مصر وانعكس هذا إيجابيا على كافة النواحى فى بلاد اليمن فقد اعتبر الصليحيون أنفسهم نوابا للخليفة الفاطمى فى مصر وإستمرت هذه العلاقات الودية حتى نهاية الربع الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى مما كان له أعظم الأثر فى إزدهار أحوال اليمن وإستقراره كما انعكس هذا بطبيعة الحال على العمارة بوجه عام والعمارة الدينية بوجه خاص، وتمدنا السجلات المستنصرية بكل ما يتعلق بالنواحى والعلاقات السياسية والدينية بين اليمن ومصر تقريبا، وتبين مدى ما أولاه الخليفة المستنصر وإبنه الخليفة المستعلى لأسرة الصليحيين من ثقة مطلقة.

وقد إعتمدت إعتماد كبيرا على هذه السجلات فى تحقيق بعض الأحداث الهامة فى عصر الدولة الصليحية، وكذلك فى دراسة العلاقات الصليحية الفاطمية ومدى إنعكاس هذه العلاقات على العمارة الدينية فى اليمن ويذكر د. عبد المنعم ماجد عن هذه السجلات أن وقائعها وحوادثها تتفق وماهو موجود فى مصادر أخرى تاريخية أصلية وهى تبرز الحوادث المهمة التى كان القطران مسرحا لها فى عهد المستنصر بالله الخليفة الفاطمى وابنه المستعلى بالله أثناء فترة أربع وأربعين عاما من عام ٤٤٥هـ حتى عام ٤٨٩هـ (١٠٥٣م ـ ١٠٦٩م)[١] وقد استخدمت السفارات الرسمية المتبادلة بين القطرين مصر واليمن الطريق البحرى طريق عدن ـ عيذاب أو القصير ثم قوص فالفسطاط حاملة الرسائل والهدايا كما استخدمه التجار من مختلف الجهات[٢].

الصليحي - المستنصر بالله

بعد انتهاء الدولة الإسماعيلية الأولى التى أقامها الداعيان ابن حوشب وعلى بن الفضل عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م إنتقلت الدعوة الإسماعيلية[٣] من مرحلة العلانية إلى مرحلة الكتمان حتى تأتى الفرصة الملائمة لجعلها فى مرحلة الظهور واستمر الدعاة فى اليمن يتكتمون الدعوة سرا إلى أن وصلت إلى الداعى على بن محمد الصليحى، وعلى الرغم من أن الصليحى كان أبوه شافعى المذهب إلا أنه إعتنق الدعوة الإسماعيلية وقام داعيا لها فى اليمن وقد نهج الصليحى سياسة جديدة فى الدعوة فظل يتكتم أمره إلا على أهل مذهبه الذين يثق فيهم ثقة شديدة وكان لقربه من العامة وحجه بهم خمسة عشر عاما إلى جانب تفقهه فى الدين وسيرته ماجعل الناس يميلون إليه واستطاع فى نهاية الأمر إعلان ثورته وكان ذلك ليلة الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة ٤٣٩ (١٠٤٧م) وطليعته «تسعمائة رجل وخمسون رجلا» كما يذكر الحمادى اليمانى المؤرخ ويضيف أيضا المؤرخ الحمادى اليمانى «فلما استقر الصليحى بالجبل كتب إلى صاحب مصر وهو معد. المستنصر من بنى عبيد ووجه إليه بهدايا سبعين سيفا مقابضها عقيق وإثنى عشر سكينا نصبها عقيق وأرسل إليه معد المستنصر برايات وألقاب وعقد له الولاية وكان سفيره خاله أحمد المظفر وأحمد بن محمد الذى انهدم عليه الدار بعدن وهو أبو زوجة المكرم المسماة السيدة بنت أحمد»[٤].

ويؤكد هذه السفارة ما ذكره الرحالة ناصر خسرو «وقد رأيت فى مصر سيفا أحضر للسلطان من اليمن مقبضه قطعة واحدة من العقيق[٥] الأحمر[٦]» وقد كان لهذه السفارة أكبر الأثر فى نفس الصليحى فاستمد من تأييد الخليفة المستنصر قوة معنوية هائلة جعلته وأنصاره يحققون أروع الإنتصارات فلم يصل إلى الصليحى من المستنصر بالله أى مدد مادى لتدعيم ثورته بل كان دعما معنويا إمتزج بقوة إقدام وشجاعة الصليحى وإصراره واستماتة أنصاره لإظهار دعوته وإقامة دولته ويذكر المؤرخ عمارة اليمنى فى ذلك «فطوى البلاد طيا وفتح الحصو ن والتهائم

ولم تخرج سنة خمس وخمسين وخمسمائة وما بقى عليه من اليمن سهل ولا وعر ولا بر ولا بحر إلا فتحه وذلك أمر لم يعهد مثله فى جاهلية ولا إسلام»[٧].

وانتشرت الدعوة المستنصرية على منابر بلاد اليمن وأقيمت الخطبة للخليفة المستنصر بالله وزالت الدعوة للخليفة العباسى فى هذه البلاد.

ومن هدايا الداعى على بن محمد الصليحى إلى المستنصر ما نقله من تنيس الدر وكيل فجاء سبع وبيات ثم وجد كثير من الأعدال ممنوعة عقدا من بين ما أهداه الصليحى للخليفة المستنصر»[٨].

وكانت العلاقة بين المستنصر بالله والصليحى طيبة للغاية، فقد كان الصليحى دائم الشكر لإمامه مخلصا فى طاعته ناصرا لدولته ومتمتعا برعايته وعنايته مما اضفى عليه مظهر القوة والإجلال، فقد حكم الصليحى اليمن نائبا عن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله[٩]، وقد منح الخليفة المستنصر الألقاب للصليحى تشجيعا له وإعترافا بفضله فى إعلاء الدعوة الإسماعيلية وإخلاصه للدولة الفاطمية[١٠].

وقد حث الفاطميون ولاتهم من الصليحيين على التدخل فى شئون الحجاز فقد كان الفاطميون يتمسكون بشدة بأن يخطب للإمام وآبائه فى الحرمين المعظمين مكة والمدينة، والسجلات التى وجهت إلى ملوك الصليحيين تبين الأهمية الكبرى للأماكن المقدسة عند الفاطميين وقد استقامت أحوال الحرم الشريف على يد على بن محمد الصليحى من ناحية الأمن والعمارة[١١].

ويدلنا على تلك العلاقات الطيبة الودية تتابع الصلات المتبادلة بين الخليفة المستنصر والداعى على بن محمد الصليحى فمثلا فى عام ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م أرسل المستنصر إلى الصليحى سجلا يهنأه فيه بعيد الفطر المبارك ويأمره بنشره فى البوادى والحواضر[١٢].

وفى عام ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م أرسل المستنصر إليه يبشره بأن الله قد وهبه ولدا، وأمره بنشر هذه البشرة فى بلاده[١٣].

وفى عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م أرسل إليه سجلا يتضمن إنتصاراته وأمره بنشرها على المنابر[١٤] وفى عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م أرسل سجلا إلى الصليحى يتضمن إجابة المستنصر لكل ما يطلبه الصليحى ويزيد فى ألقابه عمدة الخلافة[١٥].

وفى عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م أيضا أرسل سجلا إلى الصليحى إكراما وإجلالا له بتعيين الأمير عبد المستنصر محمد بن الأمير على بن محمد الصليحى خليفة وخلفا له[١٦]. وفى عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م أرسل المستنصر بالله إلى الصليحى يعلمه بأن الله زاده ولدا ذكرا أسماه المحسن وكناه أبا الفضل[١٧].

ثم سجل آخر من المستنصر يعلم فيه الصليحى بأنه رزق مولودا ذكرا كناه أبا محمد وسماه الحسن[١٨] وكان المستنصر حريصا على إرضاء الصليحى وتدعيمه دينيا ومعنويا ويشد من أزره ويطلق يده فى كل مايراه الصليحى مجديا فى أمور الدعوة والدعاة فقد كانت للصليحى مكانة عظيمة فى نفس المستنصر[١٩].

وتدل هذه السجلات على ما كان يتمتع به الصليحى من مكانة خاصة لدى المستنصر بالله الفاطمى لأن الصليحى ضرب أروع الأمثلة فى الولاء والإخلاص للدولة الفاطمية والدعوة الإسماعيلية وقدم خدمات جليلة فقد وطد أقدام الفاطميين فى بلاد الحجاز وأعاد الخطبة للخليفة الفاطمى على منابرها وعلى الرغم من استقلاله بحكم اليمن فإنه كان مرتبطا من حيث المذهب بالدولة الفاطمية حريصا على استمرار العلاقات الطيبة وعلى طاعة الإمام الفاطمى وإعلاء الدعوة الفاطمية متحليا بكل الصفات الحميدة ودون أن يمارس أى ضغط على أهل اليمن لإعتناق مذهبه فقد كان هدفه الأول هو وحدة اليمن ثم إصلاح أحواله من كافة الجوانب وإعلاء شأن الإسلام، ثم نشر الدعوة الإسماعيلية، ورغم تحامل أهل السنة عليه فإنهم لم ينكروا هذه الصفات الحميدة.

وقد إهتم المستنصر إهتماما عظيما بالدعوة والدعاة فى اليمن وبصفة خاصة كان إهتمامه بالدولة الصليحية القوية وتقديره لأمرائها على إخلاصهم ووفائهم وإعلائهم الدعوة الفاطمية فى اليمن فمنحهم الألقاب بكثرة وحمد لهم جميل

أفعالهم وكان يقف على كل كبيرة وصغيرة فى دولتهم فأولى الصليحى ثقة مضت وبلغت هذه الثقة حق تعيين الدعاة للدولة الفاطمية فى خارج اليمن[٢٠].

المكرم أحمد بن علي – المستنصر بالله

لم تفتر علاقة الفاطميين بالصليحيين بوفاة الداعى على بن محمد الصليحى بل توثقت فى عهد ابنه المكرم أحمد، فأرسل المستنصر إلى المكرم عام ٤٦٠هـ ١٠٦٧م سجلا يعزيه فى وفاة والده وأخيه معددا له صفات والده العظيمة ويقيمه خلفا لوالده وقد نفذ من المستنصر إليه تقليد الدعوة والدولة فى هذا السجل[٢١].

ويدل هذا السجل أبلغ دلالة على الوفاء والعلاقة الطيبة التى كانت بين الصليحى والمستنصر وأثر هذه العلاقة بعد وفاة الصليحى على أبنه الملك المكرم كما يؤكد السجل وفاة الداعى على بن محمد الصليحى فى أواخر سنة ٤٥٩هـ ١٠٦٦م.

وكان المستنصر دائما يذكر الملك المكرم مرتبطا بوالده ومآثره العظيمة فأرسل إليه سجلا فى سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) يتضمن هذا المعنى ويزيد فى رسمه أمير الأمراء على أيدى رسل المكرم قاضى قضاة اليمن لمك بن مالك وعبد الله بن على ومحمد بن حسن وحسن بن على وعبد الله بن عمر وأبو البركات بن أبى العشيرة[٢٢].

ويدل هذا السجل على مدى حرص المستنصر على أن يظهر المكرم أمام رعاياه ورسله من كبار رجال دولته بمظهر القوة والتأييد من الدولة الفاطمية حتى يضفى عليه إجلالا ووقارا بين أهل اليمن عامة وأهل دعوته خاصة.

وكان المكرم دائما يرسل إلى المستنصر بما يجرى فى اليمن عارضا عليه الأنباء السارة التى كان يسعد بها المستنصر[٢٣].

وفى سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م أرسل المستنصر سجلا يدعو فيه للمكرم بالنصر والظفر وهذا السجل جواب رسالة من المكرم يخبر فيها المستنصر بالوقائع العظيمة التى خاضها بعد وفاة الصليحى والده[٢٤].

وأرسل المستنصر بالله سجلا عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م جواب رسالة أرسلها المكرم على يد إبراهيم بن حسن العامرى ومحمد بن تميم الكتامى للإطمئنان عليه لجهاده فى الحروب وتنقله للقاء الثائرين على الدعوة والدولة فيشكره ويشكر من شد أزره مثل عامر بن سليمان الزواحى وأحمد بن المظفر ويتضمن هذا السجل أيضا ما جرى فى مصر على لسان المستنصر من أمر الخوارج واستطاعة أمير الجيوش أبا النجم بدر المستنصرى من أن يعيد الدولة بهجة بهية[٢٥].

وأرسل المكرم إلى المستنصر يخبره بإنتصاراته ويطلب تعيين بعض دعاة الدعوة فأرسل له المستنصر سجلا سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م يطلق يده فى تعيين من يراه مناسبا ويخبره أن يرتب لنواحى عمان الخالية من الدعوة[٢٦].

وهذا السجل إنما يدل على المكانة العظيمة التى بلغها الملك المكرم لدى الخلافة الفاطمية وتبوأه ما كان أبوه يتبوأه من منزلة لدى الخليفة المستنصر فأصبح المسيطر على الدولة الإسماعيلية فى اليمن والدعوة الإسماعيلية فى خارج اليمن ففى عهده صارت عمان والإحساء والبحرين والهند والسند تحت النفوذ الروحى للدولة الصليحية[٢٧].

وإلى جانب هذه السجلات التى تعبر عن المودة المتبادلة كانت هناك سجلات شديدة اللهجة من المستنصر فقد أرسل سجلا سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م يخبر فيه الملك المكرم أنه عالم بأحواله ومشاهد لكل أفعاله ويخبره بالقوم الذين هربوا إليه وكان الواجب أن يقبض عليهم وهم الركابى المعروف بعبد الله وإبراهيم غلام العامرى والحصيرى وولده وشاعر كان مع صبح الخارجى[٢٨].

وأرسل المكرم سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م للمستنصر، وسنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م بمناسبة عيد الأضحى ثم عيد الفطر المبارك[٢٩]، وتدل هذه السجلات المتبادلة بين الملك المكرم والخليفة الفاطمى المستنصر بالله على استمرار التبعية من قبل الدولة الصليحية للخلافة الفاطمية كما كانت على عهد الداعى على بن محمد الصليحى فقد بلغت الدولة الصليحية فى عهد المكرم أقصى إتساعها وسار على سنة والده

فى إتمام البناء وتأمين الرخاء وعضده المستنصر بالله ومنحه الألقاب العظيمة إكراما له وإعترافا بفضله ووفاء لوالده.

الملكة الحرة السيدة بنت أحمد - المستنصر بالله

بلغت العلاقات الصليحية الفاطمية أوج إزدهارها فى عصر الملكة الحرة السيدة بنت[٣٠] أحمد وسوف أقسم هذه العلاقات إلى مرحلتين المرحلة الأولى فى حياة الملك المكرم والمرحلة الثانية بعد وفاته وتفويضها من قبل الخلافة الفاطمية فى مصر بأمور الدعوة والدولة.

أما عن المرحلة الأولى من علاقتها بالمستنصر بالله فقد أرسل إليها المستنصر سجلا سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م يعلمها بتفضيلها على من عاصرها من النساء ويسوق إليها وإلى ولدها من الألقاب والتشريفات صحبة رسلها قاضى قضاة اليمن لملك بن مالك وعبد الله بن على ومحمد بن حسن وحسين بن على وعبد الله بن عمر وأبو البركات بن أبى العشيرة حتى يجعلها أمام رسلها ورعاياها من القوة والإجلال[٣١].

والحقيقة أن هذا السجل يوضح مدى حرص الملكة الحرة على الإتصال بالمستنصر بالله ومدى المكانة التى كانت تتمتع بها لديه لأن السجل كتب فى بداية حكم الملك المكرم زوجها مما يؤكد أن السيدة بنت أحمد كانت لها من الشخصية القوية والدراية السياسية ماجعلها توثق علاقاتها بالمستنصر حتى تظهر على ساحة الحكم والسياسة.

ولم تكتف السيدة الحرة بمراسلة المستنصر بل أرسلت إلى السيدة الملكة والدة الإمام المستنصر، فأرسلت لها السيدة الملكة فى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م تعلمها بوصول كتابها الصادر من اليمن بما تضمن من سلامتها وتعلقها بموالاة مولاها معد أبى تميم الإمام المستنصر حتى إستوثقت لها الأمور وأطاعها من الناس الجمهور فأقامت للسياسة عمادها وسلمت إليها الكافة قيادها[٣٢].

وهذا السجل غاية فى الأهمية لأنه يوضح النمو السياسى للملكة السيدة بنت أحمد وتسييرها أمور الدولة الصليحية بوعى وإقتدار مما إنعكس إيجابيا على العامة

والخاصة وقد ارتبطت الملكة الحرة السيدة بنت أحمد بعلاقات قوية ومتينة بالمستنصر وأهل بيته مما سيكون له أثره الإيجابى على كل ما تطلبه السيدة بنت أحمد، ويدل هذا على دهائها وبعد نظرها ونجاح تخطيطها من أجل بقاء الدعوة والدولة فى بيتها.

وكتب إليها المستنصر سجلا سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م يخبرها بتأييد أمير الجيوش لما هى متكفلة به فى تلك البلاد ومعبرا لها عن سعادته بذلك(٣٣)، وكتب إليها سجلا آخر عام ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م يأمرها بالقبض على القوم الذين سبق ذكرهم(٣٤) وهذا السجل يشتمل على أمرين من المستنصر الأول منه إلى الملك المكرم والثانى إلى الملكة الحرة السيدة بنت أحمد وفى هذا إيضاح كاف على أن الملكة الحرة فى ذلك الوقت كانت هى صاحبة الأمر والنهى فى البلاد والقائمة الفعلية بالدولة الصليحية والدعوة المستنصرية فى بلاد اليمن وخارجها مع وجود الملك المكرم.

وفى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م أرسل المستنصر إلى المكرم بنبأ عيد الفطر المبارك(٣٥). ثم أرسلت السيدة أخت الإمام المستنصر سجلا جواب رد كتاب الملك الأجل الأوحد المنصور العادل المكرم تعبر فيه عن سرورها وإبتهاجها بكتاب الملك المكرم وتخبره باستقرار الأحوال وحسن سياسة أمير الجيوش وكان ذلك سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م(٣٦)، ثم أرسل المستنصر سجلا آخر فى نفس العام إلى المكرم بنبأ عيد الأضحى(٣٧)، ثم أرسل المستنصر بالله سجلا آخر فى نفس العام أيضا إلى عبد المستنصر أبى الحسن على بن الملك المكرم يذكر له فيه أن الدعوة المستنصرية الهادية ثبتها الله بالأعمال اليمنية ويعزيه ويعزى نفسه عن أبيه الملك المكرم وينصبه منصب الملك المكرم أبيه(٣٨) وهذا السجل يؤكد السنة التى مات فيها الملك المكرم والتى اختلف فيها المؤرخون فوفاته كانت سنة ٤٧٨هـ ١٠٨٥م.

وتبدأ المرحلة الثانية من علاقتها بالمستنصر بعد وفاة الملك المكرم وتولية إبنها عبد المستنصر فقد جاهدت السيدة بنت أحمد فى قيام الدعوة المستنصرية فى حياة

الملك المكرم وبعد وفاته وقد آلم رحيله المستنصر فرأى أن يبقى الدعوة فى نصابه وكتب بذلك سجلا فى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م[٣٩]، وأرسل المستنصر سجلا إلى الحرة وولدها بتقليد الأجل المكرم ولدها الدعوة والأحكام والمظالم فى سائر أعمال اليمن وقد وصل منها رسول وسؤال فى جعل ولدها محل والده الملك المكرم[٤٠] وهذا السجل يؤكد أن السيدة بنت أحمد قد أرسلت رسولا إلي المستنصر تسأله تعيين ولدها، وأرسل المستنصر فى عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م إلى ولدها بتقليده وإصدار سجلاته إليه علي يد مؤتمن الدولة أبى الحسن جوهر المستنصرى[٤١] وهذا السجل يعد تأكيدا للسجل السابق.

وأرسل المستنصر فى سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م سجلا إلى أبى الحسن أحمد ولد الحرة يكرر الأمر بالقبض على الذين جاهروا بمعصية أمير المؤمنين وهربوا إلى اليمن[٤٢]، ثم ارسل سجلا آخر فى عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م بنبأعيد الفطر المبارك[٤٣].

وفى سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م أرسلت السيدة بنت أحمد سجلا إلى المستنصر تشكره على شموله ولدها من الإصطناع وبقاء الأمر فى أهله ومستحقه[٤٤]. ويبدو من تسلسل الأحداث حدوث مشكلة واجهت السيدة بنت أحمد وإبنها الطفل الملك على بن المكرم تمثلت فى الخلاف بين الصليحيين والزواجيين وكانوا هؤلاء سداة الدولة ولحمتها مما دعا الملكة الحرة أن تعرض الأمر على الخليفة المستنصر[٤٥]، وأرسل الخليفة المستنصر سجلا إلى الملكة الحرة فى نفس العام يتضمن «أن أمير المؤمنين يندبك فى المهمات الدينية والمصالح حتى صلحت بتدبيرك تلك الأمور وإنتظمت الدعوة وأما ما كان شجر بين السلطانين الأجلين أبى حمير سبأ وأبى الربيع سليمان الزواحى فقد عرف أمير المؤمنين ما تكررت به مكاتباتك مع نعيم الشاعر الهلالى ثم مع سعد الله ورفيقه الشيرازى وشافه رسولك أبو النصر بما كان من المنافرة والمشاجرة وما أفضت فيه على السلطان أبى حمير سبأ من الثناء والتزكية والإطراء وحسن الطاعة ولين القيادة فى الموافقة والمبايعة وقد شكر له أمير المؤمنين ما طالعت به من هذه الأوصاف الحميدة» وورد

فى السجل أيضا: «ويندبك ويفوض إليك ويرتضى سداد رأيك لفصل هذه القضية وإعادة الأمر فيها إلى الصورة المرضية بحسم ما شجر بينهما وأما ما حمته من قرابين فوصل جميعه من يد الشيخ أبى نصر»(٤٦).

ويؤكد هذا السجل العلاقة الوطيدة بين الملكة الحرة وإمامها المستنصر بالله ووضعه فيها الثقة الكاملة والحرية المطلقة فى كل ما تراه، ثم اتبع المستنصر تدعيما للحرة سجلا آخر رأيت أن أكتبه كاملا لأهميته البالغة وهذا السجل كتب فى عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م إلى كافة السلاطين الصليحيين والزواحيين والمشايخ الحجازيين وشرائف المؤمنين يرسم لهم ما يلتزمون به واشتمل عليه هذا السجل ما فيه صلاح الدين والدنيا ويحرم عليهم مخالفة مضمونه وفيه شكر لهم المستنصر نصرتهم ومواقفهم فى حماية الدعوة ويأمرهم بالجرى على هذه السنة وحثهم على الأئتلاف وإيضاح عواقب المقاطعة والإختلاف ويذكر لهم أيضًا «قد كان لكم فى داعيكم الأجل الأوحد أمير الأمراء أبى الحسن على بن محمد الصليحى أسوة فى مسعاه وكانت مقاماته شهيرة فى إظهار الدعوة الهادية باليمن ولم تعرفوا إلا به فإنه الذى أبرزكم إلى الرجود بالنفر اليسير والعدد القليل على سلاطين اليمن الذين شادوا القصور والمعاقل وسادوا العشائر والقبائل ودانت لكم العرب مع شدتها وقوة بأسها وأصبحتم عليها عالين ثم كان ولده الملك المكرم الذى أوسعكم حلما وكرما ورأفة وتحننا ومواساة وكان يعتقد شيخكم أبا وكهلكم أخا ويافعكم ولدا برا لطفا بكم وعطفا عليكم وموصلا للثناء عليكم بحضرة أمير المؤمنين إلى أن وافاه الله وهو محمود الخلال مفقود المثال مسدود الأقوال والأفعال وأمير المؤمنين راض عنه متألم لفقده مراع لخلفه من بعده فأى فضيلة أوفى من هذه الفضيلة وبحكم ذلك فهو يفرض عليكم بطاعة داعيكم عبد المستنصر وطاعة الحرة الملكة التى إستكفاها أمير المؤمنين فى تدبير أمره فإنه لم يؤهلها لهذه الرتبة إلا بعد أن خبر سدادها وإجتهادها وأنها مأمونه على ماتدبر فيه مرضية لما ندبها له فأقامها مقام من يقول فيسمع ويأمر وينهى فلا يراجع وحرم عليكم كافة السلاطين المقدمين والمؤمنين مخالفتها والرد لأمرها والقعود عن

مناصرتها ومع هذا فلم تزل مطالعات هذه الحرة الملكة لدى أمير المؤمنين من إحماد مساعيكم وأعلمكم أمير المؤمنين جميل رأيه فى هذه الحرة الملكة التقية الذكية المباركة وولديها الذين هما الخلف عن السلف الصالح من دعاته واعلموا أحسن الله توفيكم أن داعيكم وإن كان صغير السن فأن له من لطيف ملاحظة أمير المؤمنين ومتواصل رعايته ومن تكفل أمير الجيوش السيد الأجل أمير الجيوش وساعدوا داعيكم والحرة وإدأبوا فى إزالة الضغائن الحادثة بين سلاطينكم وكونوا على حسمها أعوانا فإن قلوبكم إذا إجتمعت على التصافى والإخلاص هابكم أضدادكم وعلت كلمتكم»(٤٧).

والواقع أن هذا السجل يمثل أهمية بالغة تكشف عن مدى العلاقة الوطيدة بين الخليفة المستنصر والملكة السيدة بنت أحمد ويعد من أهم السجلات المستنصرية الصادرة إلى اليمن فهو يدعو كافة الصليحيين والزواحيين إلى الألفة وعدم التنافر حرصا على سلامة الدولة والدعوة ويذكر لهم مآثر الصليحى وولده الملك المكرم وما كان لهما من فضل فى نشر الدعوة وظهور الدولة ورسوخها ويؤكد أيضا السلطة المطلقة التى أعطاها المستنصر بالله للملكة الحرة ويدل السجل أيضا على مدى دراية المستنصر بنفوس أهل اليمن وكيفية التأثير فيهم ومعالجته للأمور الحادثة فى اليمن.

ثم أرسل المستنصر سجلا آخر فى سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م يذكر فيه «قد عرف أمير المؤمنين ما طالعت به من احماد من قبلك من قبائل المؤمنين أهل الدعوة من الصليحيين والزواحيين المخلصين فيما عقده لولدك عبد المستنصر وقلده من الدعوة باليمن وعرض بحضرة أمير المؤمنين الأمير الأجل عضد الدولة والشيخ أبو نصر رسولك ماكان من طاعتهم من ذلك إعترافا بما لداعى أمير المؤمنين الملك الأجل أبى الحسن على بن محمد الصليحى ولولده الملك الأجل المكرم فمن أطاعكما فقد أطاع أمير المؤمنين ومن عصا فقد عصى أمير المؤمنين»(٤٨).

وهذا السجل يبين سرعة رد الفعل من قبل أهل اليمن فاطاعوا مأمر به المستنصر بالله الفاطمى، وورد سجل إلى الحرة الملكة من قبل الملكة ابنة الإمام

الظاهر وأخت الإمام المستنصر بالله جاء فيه «عرض بحضرتنا كتابك من جهة الشيخ أبى نصر سلامة بن الحسن رسولك الذى أعربت فيه عن موالاتك وقد عرفنا جدك وإجتهادك فى قيام منار الدعوة وقد صدرت السجلات مضمنه تجديد تقليد ولدك الدعوة وخرجت الأوامر إلى السلاطين فى سائر الأعمال اليمنية بطاعتكما والإنقياد لحكمكما وأنكم تتوارثون هذه الدعوة ولدا عن ولد باقيا بعد ذاهب ويجب أن تثقى بهذه الجملة»(٤٩).

وهذا السجل يدل على خوف الملكة الحرة أن تخرج الدعوة من بيتها وعلى دوام مراسلاتها إلى المستنصر وأهل بيته لبقاء هذا الأمر طرفها.

وأرسل إليها المستنصر سجلا فى سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م يحمد لها فيه تفقدها أحوال الدعاة والدعوة فى الأطراف والنواحى فى الهند وعمان وعلى يقظتها وأجابها فيما إختارته من الدعاة وطلب منها أن تواصل تفقد تلك الأعمال(٥٠)، وأرسل المستنصر سجلا إلى أبى الحسن أحمد يعزيه فى وفاة أخيه ويأسف أشد الأسف على موت صنوه عبد الإمام محمد وكذلك عرف وفاة محمد بن على بن مالك الصليحى وذلك فى سنة ٤٨١هـ(١٠٨٨م)(٥١).

وهذا السجل يفيد موت أحد ولدى الملكة الحرة محمد بن أحمد المكرم الإبن الأصغر ثم وفاة الملك على بن أحمد المكرم بعده بقليل فعاد السلطان سبأ من جديد يطالب فى حقه فى أمور الدولة ولم تمكنه من ذلك الملكة الحرة فإتخذ السلطان سبأ سبيلا آخر لإقناعها بحقه بأن يطلب يدها للزواج ورفضت الملكة ولكنها وافقت نزولا على رغبة المستنصر بالله(٥٢).

ولم تمكن الملكة السلطان سبأ من السيطرة على شئون بلاد اليمن بل إستأثرت بالسلطة دونه وظلت موالية للمستنصر وآل بيته ومع ذلك استمر سبأ بن أحمد فى خدمة الملكة بصدق(٥٣).

الملكة الحرة السيدة بنت أحمد - المستعلى بالله

أرسلت إليها والدة الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين بن الإمام المستنصر تعلمها

أن المستنصر كان يشير بالنص إلى ولده الإمام المستعلى وعقد له البيعة وكان أول داخل فيها الأمراء إخوة أمير المؤمنين ومن جملتهم نزار الأخ الأكبر سنا ثم كان ان هرب نزار ومضى إلى الإسكندرية وكان ذلك فى عام ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م[٥٤]. وأرسل لها أيضا الخليفة المستعلى سجلا بهذا المعنى فى نفس العام[٥٥].

الملكة الحرة السيدة بنت أحمد - الآمر بأحكام الله

تنتهى السجلات المستنصرية عند بداية فترة حكم الإمام المستعلى بالله وإستمرت العلاقات الطيبة بين الملكة الحرة والمستعلى بالله حتى وفاته فى سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م وتولى بدلا منه الخليفة الآمر بأحكام الله فى اليوم التاسع من شهر صفر عام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م ومن رسائل الخليفة الآمر إلى الحرة الملكة أنه رزق مولودا ذكيا الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م وإنتظمت به الدولة الزاهرة الفاطمية وسماه الطيب وكناه أبو القاسم[٥٦].

وقد كانت السيدة الحرة على إتصال وثيق بالخليفة الامر وقد تبودلت بينهما الكتب والرسل وقد أظهرت ولائها لهذا الخليفة فإعترفت بإمامته كما إعترفت بإمامة ابيه المستعلى وأقامت الدعوة لهما مما ساعد على إحتفاظ الفاطميين بسيادتهم على بلاد اليمن[٥٧].

وكتبت السيدة الحرة إلى الخليفة الآمر وأرسلت إليه هدية من الجواهر النفيسة بلغت قيمتها أربعين ألف دينار وأعربت عن ولائها له وأكدت له رضاء الشعب اليمنى على ابن نجيب الدولة[٥٨].

الملكة الحرة السيدة بنت أحمد - الحافظ لدين الله

بعد أن إنتقل الأمر عن الآمر وولى الخليفة الحافظ فكان أول سجل وصل منه إلى الملكة الحرة من ولى عهد المسلمين وفى السنة الثانية من أمير المؤمنين فأقامت الحرة الملكة الداعى الأجل إبراهيم بن الحسين الحامدى وقالت: حسب بنى الصليحى ماعلموه من أمر مولانا الطيب وإنتقلت دعوة الحافظ الخليفة الفاطمى إلى آل الزريع[٥٩].

ويتضح من الدراسة التاريخية أن اليمن وبلاد المغرب ومصر كانت تربطها علاقات سياسية ودينية منذ أواخر القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى يؤكد ذلك أن أبا عبد الله الشيعى وهو رجل من أهل صنعاء تلقى أصول الدعوة فى اليمن على يد ابن حوشب ثم توجه إلى أفريقية وأقام دولة عبيد الله المهدى إضافة إلى أنه أرسل من قبل داعيى المهدى فى بلاد اليمن وهما ابن حوشب وعلى بن الفضل مما يدل على الدور الكبير الذى اسهمت به بلاد اليمن فى قيام الدولة الفاطمية فى المغرب ووفود أهل اليمن على بلاد المغرب هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ذكر أن المهدى عبيد الله فكر فى إقامة دولته فى اليمن ثم عاد وقصد بلاد المغرب مما يدل على قوة العلاقات السياسية والدينية بين اليمن والمغرب وقد ظلت هذه العلاقات قائمة بعد إنتقال الدعوة الإسماعيلية فى اليمن من مرحلة الدولة والعلانية إلى مرحلة الدعوة والإستتار واستمرت هذه العلاقات بعد دخول الفاطميين مصر.

لذلك فإنه من المرجح وجود علاقة قوية بين العمارة الدينية فى اليمن والمغرب وهذه العلاقة إما مباشرة عن طريق العلاقات التى استمرت والتى تقدم ذكرها أو غير مباشرة عن طريق الفاطميين فى مصر يدل على ذلك وجود المهندس الحسين بن محمد بن الحسين بن حى تلميذ المهندس الكرمانى من أهل قرطبة أحد الراسخين فى علم الهندسة وكان رحل إلى المشرق وإنتهى إلى حران من بلاد الجزيرة ثم رجع إلى الأندلس وتوفى ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م وكان تلميذه ابن حى من أهل قرطبة خرج من الأندلس ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م ولحق بمصر ثم باليمن وتوفى باليمن بعد إنصرافه من بغداد عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م(٦٠).

ويتضح من ذلك إنتقال مشاهدات رحلة المهندس الكرمانى إلى تلميذه ابن حى ثم رحلة ابن حى إلى مصر أيام الدولة الفاطمية ثم إلى اليمن أيام الدولة الصليحية وتعكس بذلك هذه الرحلة تأثيرات مغربية أندلسية وفاطمية فى مصر على العمارة اليمنية والمرجح أن هذه التأثيرات استمرت بأسس وضعها هذا المهندس.

ويؤكد التأثير المغربى على المشرق كثرة وفود الرحالة المغاربة إلى المشرق الإسلامى طلبا للعلم أو لأداء فريضة الحج أو للتجارة[٦١] ومن علماء المغرب والأندلس فى المشرق على بن يقظان السبتى وقد ورد إلى البلاد المصرية عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م ومضى منها إلى اليمن[٦٢].

ومن ذلك يتضح مدى خصب هذه الفترة فى التأثيرات المتبادلة من خلال الرحلة بين المغرب والمشرق الإسلامى هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان هذه العلاقات الطيبة بين اليمن ومصر فى عهد الخلافة الفاطميه فى مصر والدولة الصليحية فى اليمن إنعكست على الحياة فى البلدين وبوجه خاص فى اليمن فقد ازدهرت اليمن إزدهارا فى كل جوانب الحياة وبوجه خاص فى الإهتمام بالحياة العمرانية وإزدهار العمارة الدينية وكان لابد أن تؤثر هذه العلاقات القوية الطيبة من خلال السفارات المتبادلة المتوالية والتى لم تنقطع منذ إعلان الداعى على بن محمد الصليحى قيام دولته على العمارة الدينية بالدولة الصليحية فقد حكم الصليحى اليمن كله نائبا عن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى وكذلك الملك المكرم والسلطان سبأ بن أحمد وأخيرا الملكة الحرة السيدة بنت أحمد وكان من الطبيعى أن تتأثر الدولة الصليحية بالدولة الفاطمية وهو ما سأحاول توضيحه من خلال العمارة الدينية فى هذه الفترة والتى تتمثل فى المسجد الجامع بذى جبلة الذى أقامته الملكة الحرة السيدة بنت أحمد ومشهدها بالركن الشمالى الغربى من الجامع.

ويدعم هذا التأثير الفاطمى المعمارى على العمارة اليمنية الصليحية بوجه عام والعمارة الدينية بوجه خاص ما ذكره ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار، «ولاتزال ملوك اليمن تستجلب من مصر والشام طوائف من أرباب الصناعات والبضائع ببضائعهم على إختلافها لقلة وجودهم باليمن قال أقضى القضاة أبو الربيع سليمان بن الصدر سليمان وصاحب هذه المملكة أبدا يرغب فى الغرباء ويحسن تلقيهم غاية الإحسان ويستخدمهم بما يناسب كلا منهم ويتفقدهم فى كل وقت بما يأخذ به قلوبهم ويوطنهم عنده»[٦٣].

ويدل هذا النص على وجود طوائف من أرباب الصناعات من مصر فى اليمن إلى جانب العلاقات التجارية البحرية بين الموانئ اليمنية والموانئ المصرية[٦٤]، مما يؤكد طبيعة تلك العلاقات القوية والطيبة على إمتداد قرن من الزمان من ٤٣٩ - ٥٣٢هـ/ ١٠٤٧-١١٣٧م والنفوذ المطلق الذى كانت تتمتع به الخلافة الفاطمية فى مصر، وحرص الصليحيين على طاعة أئمتهم وإرسال الهدايا الثمينة إليهم وهذا كله يشجع الصناع على الإنتقال إلى بلاد اليمن سواء من قبل الخلافة الفاطمية فى مصر لكى يسود طرازهم فى اليمن أى بطريقة رسمية أو من قبل أنفسهم أو بناء على رغبة اليمنيين أنفسهم وفى كل الحالات سيجدون من الإهتمام والرعاية ما يشعرهم أنهم فى بلدهم فى ظل السياسة القائمة فى ذلك الوقت.

هوامش وتعليقات الفصل الرابع

(١) السجلات المستنصرية: تحقيق د. عبد المنعم ماجد، ص ١٨.

(٢) د. محمد أمين صالح: العلاقة بين الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية، ص ٧٨.

(٣) يذكر د. محمد كامل حسين عن الدعوة الإسماعيلية أن الفاطميين جعلوا عقيدتهم تقوم على العمل والعلم أى ما يعرف بالظاهر والباطن فالظاهر عندهم هو القيام بأداء جميع فرائض الدين الإسلامى وبجانب ذلك أوجدوا العبادة العلمية أو الباطنية وهى تقوم على أساس أن لكل عمل وكل قول تأويلا خاصا لا يعرفه إلا أئمتهم وعلمائهم وهذا ما يفرقهم عن أخوانهم المسلمين وربما تبعد الهوة لغلو الفاطميين فى تأويلاتهم وجعل الفاطميون مراتب الدعاة من المراتب الروحية التى تقام عليها دعوتهم وعلى كل من يعتنق مذهبهم أن يعترف بهؤلاء الدعاة ويجب طاعتهم طاعة عمياء وتصديق كل ما يقولون والأقتداء بما يفعلون، وكانت دعوة الإسماعيلية منظمة قسموها منذ نشأتهم إلى سبع درجات ثم أصبحت تسعا فى أيام الفاطميين.

انظر: المقريزى: الخطط، جـ ٢ المجلد الثانى، ص ص ٢٢٥-٢٣٣.

د. محمد كامل حسين: طائفة الدروز تاريخها وعقائدها القاهرة ١٩٦٢م، ص ص ٨٧-٨٨.

(٤) الحمادى اليمانى: كشف أسرار، ص ص ٢١٩-٢٢٠.

(٥) العقيق: يصنع بصنعاء وهو حجارة تقطع من الجبل وتسوى على النار فى بواتق محاطة بالرمل ثم تعرض وسط الرمل لحرارة الشمس وبعد هذا يصقلونها بعجلة.

انظر: ناصر خسرو: سفر نامة، تحقيق يحيى الخشاب القاهرة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، ص ٧٩.

(٦) ناصر خسرو: سفر نامة، ص ٧٩.

عمر رضا كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب، ص ص ٢٠-٢٣.

(٧) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١١٩.

ابن المجاور: تأريخ المستبصر، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٣٧.

(٨) المقريزى: اتعاظ الحنفا، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد، ص ص ٢٨١-٢٨٦.

(٩) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٣، ص ص ٣٤-٣٧.

(١٠) من ألقاب الصليحى: كان السجل المرسل من المستنصر بالله إلى الصليحى يكتب على النحو التالى.

من عبد الله ووليه: معد أبو تميم، الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ابن الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين، إلى الأمير الأجل، أمير الأمراء، شرف المعالى، تاج الدولة، سيف الإمام، المظفر فى الدين، نظام المؤمنين، على بن محمد الصليحى نصره الله وأظفره ويذكر د. حسين الهمدانى أن الفاطميين نظروا إلى الصليحيين على أنهم كبار رجال دولتهم فمنحوهم هذه الألقاب الرنانة التى كانت تقابل بالأرتياح من قبل الصليحيين. انظر: د. حسين الهمدانى: الصليحيون، ص ٣١٥.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ص ٧٤-٧٥.

(١١) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٣، ص ٣٧.

سجل رقم ٤، ص ص ٣٨-٤٢.

سجل رقم ٤، ص ص ٣٨-٤٢.

سجل رقم ٧، ص ص ٤٧-٥٠.

سجل رقم ٦٢، ص ٢٠٣.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٧٧.

(١٢) السجلات المستنصرية: سجل رقم ١٣، ص ص ٥٧-٥٨.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن ص ٧٤.

(١٣) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٦، ص ص ٤٥-٤٧.

(١٤) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٥، ص ص ٤٢-٤٥.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٧٨.

(١٥) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤، ص ٤٢.

(١٦) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٢، ص ص ٣٢-٣٤.

(١٧) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٨، ص ص ٥١-٥٢.

(١٨) السجلات المستنصرية: سجل رقم ١١، ص ص ٥٤-٥٥.

(١٩) السجلات المستنصرية: سجل رقم ١٢، ص ص ٥٥-٦٠.

وقد كتب هذا السجل فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من رجب سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م وقد جاء فى السجل على لسان المستنصر من عموم الأمن والبركة على قوم الصليحى مما يؤكد استقرار الأوضاع فى اليمن بعد ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م وهى السنة التى نزل فيها الصليحى من تهامة إلى صنعاء.

(٢٠) السجلات المستنصرية، ص ١٨.

(٢١) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤٠، ص ص ١٣٧-١٤٠.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٧٨.

يذكر د. عبد المنعم ماجد أن المستنصر ربما قصد بأخى المكرم هنا محمد الإبن الأكبر للصليحى وخليفته فى الدعوة.

انظر: سجل رقم ٤٠ من السجلات المستنصرية، ص ١٣٨ حاشية ١.

د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٤، ص ٢٠٣.

(٢٢) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤٢، ص ص ١٤٣-١٤٥.

(٢٣) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٦١، ص ص ٢٠٠-٢٠٢.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٧٨.

(٢٤) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٦٢، ص ص ١٩٦-٢٠٠.

(٢٥) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٦٥، ص ص ١٨١-١٨٥.

(٢٦) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٥٨، ص ص ١٩٠-١٩٣.

(٢٧) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤١، ص ص ١٤٠-١٤٢.

سجل رقم ٥٤، ص ص ١٧٦-١٧٩.

سجل رقم ٦٣، ص ص ٢٠٣-٢٠٦.

د. حسين الهمدانى: الصليحيون، ص ٢٣٢.

(٢٨) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٣٩، ص ص ١٣٤-١٣٧.

(٢٩) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٣٠، ص ص ٩٨-١٠٠.

سجل رقم ٣١، ص ص ١٠٠-١٠٢.

(٣٠) تمتعت السيدة بنت أحمد بمكانة عظيمة لدى المستنصر بالله الخليفة فلقبها بألقاب كثيرة ومن ألقابها: الحرة، الملكة، السيدة، السديدة، المخلصة المكينة، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، ولية أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه الميامين، أدام الله تمكينها ونعمتها وأحسن توفيقها ومعونتها.

بهذه الألقاب كان يفتتح المستنصر بالله سجلاته إليها تعظيما من شأنها وإجلالا لها.

انظر: السجلات المستنصرية: سجل رقم ٥٠، ص ص ١٦٧-١٦٩.

(٣١) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٥٥، ص ص ١٨٠-١٨١.

(٣٢) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٥١، ص ص ١٦٩-١٧٠.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٨٤.

(٣٣) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤٤، ص ص ١٥٢-١٥٤.

د. عصام الدين عبد الرءوف: اليمن، ص ١٦٩.

(٣٤) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٢٠، ص ص ٧٦-٧٨.

(٣٥) السجلات المستنصرية: سجل رقم ١٩، ص ص ٧٤-٧٦.

(٣٦) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٢٨، ص ص ٩٦-٩٧.

(٣٧) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٢٧، ص ص ٩٤-٩٦.

(٣٨) عبد المستنصر أبى الحسن على: قابلت الملكة الحرة مشكلة، فقبل وفاة الملك المكرم أسند الوصية فى الدعوة إلى أبى حمير سبأ بن أحمد هذا ما ذكره المؤرخ عمارة اليمنى فى مفيده ولكن هذا السجل الذى كان ردا على سجل صادر من اليمن من السيدة بنت أحمد تطلب فيه من المستنصر تعيين عبد المستنصر أبى الحسن على ولدها مكان أبيه الملك المكرم وهذا السجل يؤكد ماذكره د. حسن سليمان محمود نقلا عن إدريس عماد الدين فى عيون الأخبار جـ ٧ أن الملكة الحرة عندما توفى الملك المكرم كتمت الأمر إلى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله بإقامة ولدها المكرم الأصغر عبد المستنصر كما أمر المستنصر بأن ترسل المراسلات إلى على بن المكرم وكلفه بالقيام بالدعوة.

انظر : د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٢٢-٢٣.

وأرجح هذا الرأى لأنه كما سبق أن ذكرت فإن الملكة الحرة كانت حريصة فى أيام حكم الملك المكرم وبالتحديد ٤٦١هـ/١٠٦٨م على كسب ثقة المستنصر بالله ووالدته لأن هدفها الأول كان الحفاظ على ملك الدولة وبقاء الدعوة فى بيتها لذلك ليس غريبا أن ترسل إلى المستنصر بالله بذلك فيجيبها وهذا ما حرص عليه المستنصر أيضا.

السجلات المستنصرية: سجل رقم ١٤، ص ص ٥٨-٦٢.

د. حسين إبراهيم حسن: اليمن، ص ٨٣.

د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ٢٥.

(٣٩) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤٨، ص ص ١٦١-١٦٥.

(٤٠) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤٦، ص ص ١٥٦-١٥٩.

د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٢٥-٢٦.

(٤١) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٢٦، ص ص ٩٠-٩٣.

(٤٢) السجلات المستنصرية: سجل رقم ١٦، ص ص ٦٦-٦٩.

(٤٣) السجلات المستنصرية: سجل رقم ١٨، ص ص ٧١-٧٣.

(٤٤) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤٥، ص ص ١٥٤-١٥٦.

(٤٥) د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٣٠-٣١.

النزاع بين الصليحيين والزواحيين: رفض المستنصر تولية السلطان أبى حمير سبأ بن أحمد الصليحى وولى على بن المكرم لأنه يعلم أن الحرة الملكة من القوة والكفاية بحيث يمكن الأعتماد عليها على الرغم من أن السلطان سبأ كانت تؤهله لهذا المنصب سنه وشخصيته الممتازة وغيرته على الدولة والعمل على رفع شأنها ومواقفه الحميدة فى عهد الملك المكرم ولكن مؤازرة المستنصر لولد الحرة جعل السلطان سبأ يتخلى عن المطالبة بحقه وجعلته الحرة نائبا عن ولدها، وقامت مشكلة النزاع بين أبى حمير سبأ وأبى الربيع عامر أثر تولية عبد المستنصر رئاسة الدعوة.

انظر : د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٢٥-٢٦.

د. جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى، ص ٨٤.

(٤٦) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٣٦، ص ص ١١٨-١٢٢.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٨٣.

د. جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى، ص ٨٤.

د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٣٠-٣١.

(٤٧) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٣٨، ص ص ١٢٨-١٣٤.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٨٣.

د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٣٠-٣١.

د. أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب، ص ١٥١.

(٤٨) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤٦، ص ص ١٦٥-١٦٧.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٨٣.

د. عصام الدين عبد الرءوف: اليمن، ص ١٧٢.

(٤٩) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٥٢، ص ص ١٧١-١٧٣.

(٥٠) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٥٠، ص ص ١٦٧-١٦٩.

د. عصام الدين عبد الرءوف: اليمن، ص ١٧٢.

د. أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب، ص ص ١٥٠-١٥١.

(٥١) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٢٤، ص ص ٨٦-٨٧.

(٥٢) د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٣٢-٣٦.

د. جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى، ص ٨٨.

(٥٣) د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٣٦-٣٨.

(٥٤) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٣٥، ص ص ١٠٩-١١٨.

د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٨٤.

(٥٥) السجلات المستنصرية: سجل رقم ٤٣، ص ص ١٤٥-١٥٢.

هذا السجل هو آخر السجلات التى وردت فى كتاب السجلات المستنصرية تاريخا وليس ترتيبا لأن عدد السجلات ٦٥ سجلا والسجلات غير مرتبة وقمت بترتيبها فجاء سجل رقم ٤٣ هو آخر سجل لأنه كتب فى الثامن من صفر سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م انظر السجلات، ص ١٨.

(٥٦) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٥٧) د. جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى، ص ٩٧.

(٥٨) د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ص ٨٦-٨٧.

د. جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى، ص ٩٧.

(٥٩) د. محمد أمين صالح: العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية ـ مج ٢٦ ـ ١٩٧٩م.

(٦٠) أحمد تيمور باشا: المهندسون فى العصر الإسلامى، القاهرة، ص ص ٣٣-٣٤.

(٦١) د. إبتسام مرعى: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامى، دار المعارف، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٣٨٦.

(٦٢) د. ابتسام مرعى: العلاقات، ص ٣٦٣.

(٦٣) ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الامصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ص ٥١.

القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٣٦.

وترجع قيمة المعلومات التى أوردها ابن فضل الله العمرى فى موسوعته عن اليمن إلى أنها وصف مباشر لليمن اعتمد فيه على رواة ثقاة أقاموا لفترة فى اليمن وهم المقدسى المعروف بابن غانم المتوفى بدمشق ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م والذى دخل اليمن ثم تاج الدين عبد الباقى اليمنى الذى ذكرناه سابقا فالعمرى لم يدخل اليمن.

(٦٤) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحرى، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٩٠.

د. محمد أمين صالح: العلاقة بين الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية، ص ٧٨.

آثار الدولة الصليحية المندثرة
فـــى
اليـمـــــن

صنعاء حاضرة الدولة الصليحية :

شهدت بلاد اليمن خلال عصر الدولة الصليحية (٤٣٩-٥٣٢هـ/ ١٠٤٧م-١١٣٧م) نهضة حضارية عظيمة، إذ إهتم الصليحيون إهتماما عظيما بالتعمير والبناء فشيدوا العمائر المدنية والدينية والحربية وإنعكس ذلك على بلاد اليمن بوجه عام والمدن اليمنية الهامة بوجه خاص لاسيما تلك العمائر التى سكنها الصليحيون.

لقد إهتم الصليحيون بتعمير وإنشاء المدن اليمنية بما شملته هذه المدن من مرافق من خلال سياسة كانت ترمى إلى إصلاح اليمن عامة، وهى السياسة التى بدأها الداعى على بن محمد الصليحى عند سيطرته على اليمن كله سهله ووعره بره وبحره، فلم يشأ الداعى على بن محمد الصليحى إنشاء مدينة جديدة تكون حاضرة لدولته ولكنه إتخذ صنعاء حاضرة له، وقد كان إختياره صنعاء فى ذلك الوقت إنما ينم عن معرفته بأحوال اليمن وإدراكه التام لأهميتها الخاصة بين المدن اليمنية والتى يصفها الهمدانى بقوله:

«صنعاء هى أم اليمن وقطبها لأنها فى الوسط منها»[١].

ويذكر عنها الرحالة إبن حوقل «ليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر مرافق وأهلا من صنعاء وفيها كانت ديار ملوك اليمن»[٢].

كما يذكر عنها أيضا ابن فضل الله العمرى «صنعاء دار الملك وهى قاعدة ملك اليمن فى قديم الزمان وأوقاتها كلها مناسبة الإعتدال لذيذة الهواء كثيرة الفواكه وهى تشبه ببعلبك فى الشام لتمامها الحسن وحسنها التمام»[٣].

وإنطلاقا من هذه الأهمية العظمية لصنعاء إتخذها الداعى على بن محمد الصليحى حاضرة لدولته فقد أدرك أن هدفه الأكبر المتمثل فى وحدة بلاد اليمن لن يتم إلا بسيطرته على صنعاء.

ويذكر المؤرخ يحيى بن الحسين عن صنعاء أيام قيام الداعى على بن محمد الصليحى «وكان على صنعاء أيام الصليحى إبن أبى حاشد والتقيا فى وقعة صوف فإقتتلوا قتالا شديدا وكانت الدائرة على صاحب، صنعاء ثم سار الصليحى إلى صنعاء فملكها»(٤).

ويذكر عنها أيضا «بعد أن إستقر ملكه لليمن جميعه إتخذ صنعاء ثم سار الصليحى فعمر فيها عدة قصور وجمع ملوك اليمن الذين زال ملكهم على يديه فأسكنهم صنعاء»(٥).

ويدل هذا على مدى إصرار الصليحى على السيطرة على صنعاء وإختياره إياها عاصمة لدولته واستقراره فيها مما كان له أكبر الأثر فى إزدياد نفوذه فى بلاد اليمن نظرا لأهميتها كأهم مدينة فى اليمن ولموقعها الجغرافى الفريد(٦).

أما عن الحالة التى كانت عليها صنعاء قبل مجيئ الداعى على بن محمد الصليحى فقد كانت المدينة فى حالة سيئة تماما وهذا ما يفهم من النص الذى أورده المؤرخ الرازى المتوفى عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م، إذ يذكر: «وقد خربت صنعاء وعادت وهى اليوم خراب وأرجو أن الله تعالى يعمرها بالصالحين من عباده»(٧).

ويعكس لنا هذا النص ما كانت عليه صنعاء من خراب نتيجة الأحوال السياسية المتردية التى كانت عليها بلاد اليمن قبل قيام الداعى على بن محمد الصليحى وقد أثرت هذه الأحوال المتردية سلبيا على العمارة الدينية بوجه خاص والمرافق على إختلاف أنواعها فأهملت المساجد إهمالا شديدا وخربت المرافق ومن هنا كان إهتمام الدولة الصليحية موجها للعناية بمدينة صنعاء، فعندما إستقر

الأمر للصليحيين (٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) شرع قادة هذه الدولة فى توطيد الأمن لتحقيق الإستقرار وبالتالى البدء فى حركة عمران كبيرة شملت العناية بالمساجد من ترميم وإصلاح وتجديد وإقامة للمرافق[٨].

والواقع أن ما كتبه المؤرخ الكبير الرازى فى القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى ذو أهمية بالغة، إذ إنه عاصر فترة ما قبل الداعى على بن محمد الصليحى، وكان على دراية كبيرة بأحوال وأمور صنعاء.

هذا وقد ظل الداعى على بن محمد الصليحى يحكم اليمن من صنعاء عشرين عاما وإنتهت حياته بمقتله فى مدينة المهجم عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م[٩].

ولا شك أن مدينة صنعاء التى أولاها قادة الدولة الصليحية أهمية وعناية خاصة تشغل مكانة هامة فى التاريخ اليمنى وكذلك بين المدن اليمنية الكبرى، فهى كما يذكر بعض المؤرخين إحدى جنان الأرض عند كافة الناس تقع فى السفح الغربى من جبل نقم عند ملتقى ثلاث قبائل هى بنو الحارث من الشمال وسنحان من الجنوب وبنو مطر من الغرب وكانت مقسمة إلى أحياء وتعرف بالدروب، وتعرف أحياء صنعاء الآن بأسماء المساجد الواقعة فيها[١٠].

ولاشك أن الصليحيين قد أولوا هذه المدينة عناية فائقة على اعتبار أنها كانت مقر الحكم للدولة الصليحية الجديدة، خاصة وإن صنعاء قبل الصليحيين قد تعاقب عليها عدة دويلات من خلال منازعات طاحنة كما تقدم. فكان لابد قدر الإمكان من العناية بها خاصة وإن النص الذى ورد فى تاريخ صنعاء للرازى والذى أشرت إليه يفهم منه تلك الحالة السيئة التى كانت عليها آثار هذه المدينة قبل عصر الدولة الصليحية.

غير أن المصادر التاريخية تصمت تماما عن ذكر تفصيلات لحركة الإصلاح العمرانى لآثار مدينة صنعاء فى عصر الدولة الصليحية بإستثناء ما أورده الوصابى فى تاريخه[١١]، وابن المجاور[١٢] فى تاريخه عن تعمير الصليحى على بن محمد للعديد من المساجد داخل وخارج مدينة صنعاء.

مدينة جبلة حاضرة الدولة الصليحية الثانية : (شكل «٥») (لوحة «١»)

كما إهتم الصليحيون بتعمير المدن إهتموا أيضا بإنشائها، ومن أعظم المدن التى شيدها الصليحيون مدينة جبلة التى تغنى بوصفها ورقة هواها وعزوبة مائها وكرم أخلاق أهلها الشعراء والأدباء وأكثروا من ذلك[١٣]، فقد ذكر عنها ياقوت الحموى «جبلة مدينة باليمن تحت جبل صبر وتسمى ذات النهرين وهى من أحسن مدن اليمن وأنزهها وأطيبها»[١٤].

ويصفها إبن سعيد بقوله «جبلة بين صنعاء وبين عدن وهى على نهرين ينزل أحدهما من جبل المذيخرة العالى الذى فى شمال صنعاء ويمر على غربها وجنوبيها ثم يمر على جبلة ويمتزج مع النهر الآخر ويصبان فى شرقى أبين»[١٥].

ويقول عنها إبن بطوطة «وهى مدينة ذات نخل وفواكة وأنهار»[١٦].

ويذكر القاضى المؤرخ محمد بن على الأكوع نقلا عن الشاعر عبد الله بن يعلى عن جبلة.

ما مصر ما بغداد ما طبرية　　بمدينة قد حفها نهران

خدد لها شام وحب مشرق　　والتعكر العالى المنيف يمانى[١٧]

ويضيف القاضى محمد بن على الأكوع «يقال لها ذو جبلة نسمة السحر وشقيقة القمر ربة الحسن والأحسان والعلم والعرفان وقصر عز الملكة بلقيس الصغرى السيدة بنت أحمد الصليحى المقرونة بعظمتها وما خلفته من آثار ومبرات حسان ومسجدها الجامع أحد مفاخرها»[١٨].

ويذكر عنها الحجرى فى مجموع بلدانه «وهى فى الجنوب الغربى من إب على مسافة ساعة ونصف ساعة ولذى جبلة أعمال هى عزلة الوقش وعزلة الأسلاف وعزلة وراف وعزلة الربادى وعزلة المكتب وعزلة أنامر العليا وعزلة أنامر السفلى وعزلة الثوابى وعزلة النقيلين وعزلة المعشار وعزلة الأصابع وعزلة الشراعى وعزلة الشهلى وعزلة جبل رعويين وكل عزلة مما ذكر تشتمل جملة قرى ومزارع[١٩]».

لقد كان إنشاء مدينة جبلة بمثابة ضرورة قصوى للصليحيين خاصة بعد مقتل الداعى على بن محمد الصليحى وفى ذلك يذكر المؤرخ عمارة اليمنى «إرتادت السيدة بنت أحمد ذى جبلة من مخلاف جعفر بعد أن إرتحلت من صنعاء فى جيش جرار وتركت المكرم فى صنعاء وقالت له بعد أن حشرت نزعيه من مخلاف جعفر فى ركابها أرسل يامولانا على أهل صنعاء فليحتشدوا وليحضروا إلى هذا الميدان فلم يقع طرفه إلا على بروق السيوف وعلى العكس تماما أهل ذى جبلة عندما إحتشدوا»(٢٠).

وهذه الأخلاق السامية والسمات الفاضلة لأهل جبلة لاتزال، فهم أهل مكارم يؤثرون الهدوء على إثارة القلاقل، وبلادهم أشبه بالمدن العامرة وليسوا كما يزعم البعض بقرة حلوب فإن لهم خرجات وثورات مأثورة(٢١).

ولهذا فضلت السيدة بنت أحمد العيش مع أهل ذى جبلة على العيش مع أهل صنعاء، أما عن سبب تسمية هذه المدينة بجبلة فإنه طبقا لما يذكره المؤرخ عمارة اليمنى أن رجلا يهوديا كان يبيع الفخار فى الموضع الذى بنيت فيه دار العز الأولى التى شيدها عبد الله بن محمد الصليحى أخو الداعى على بن محمد الصليحى وبه سميت المدينة وأول من إختط ذى جبلة عبد الله بن محمد الصليحى المقتول بيد سعيد الأحول بن نجاح مع أخيه الداعى على بن محمد الصليحى وكان أخوه قد ولاه حصن التعكر الذى يطل على ذى جبلة(٢٢).

ويضيف المؤرخ عمارة اليمنى «وذى جبلة فى سفح حصن التعكر بين نهرين جاريين فى الصيف والشتاء وإختطها عبد الله بن محمد الصليحى سنة ٤٥٨هـ»(٢٣)، وعبد الله بن الصليحى هو أول من جعلها دار ملك(٢٤).

واختط بها عبد الله بن محمد الصليحى دار العز الأولى فى الموضع الذى كان يسكنه اليهودى ويعمل فيه الفخار(٢٥).

وجبلة من الحصون المنيعة كذلك فالموقع أكثر أمنا وتأمينا إذ إن المدينة مرتفعة جدا، فهى تشرف على ما حول الجبل فى بطون الوديان أو قيعان الأحواض ولا يتهيب من سيطرة أو عدوان فإذا بنى سور حول العمران فإنه يضيف اليه

مزيد من الأمن والأمان وكانت من النمو والإزدهار خصوصا على عهد الصليحيين(٢٦).

ويوضح ذلك سبب إختيار السيدة بنت أحمد لهذه المدينة لكى تكون عاصمة وحاضرة للدولة الصليحية فى اليمن بدلا من صنعاء ويدل ذلك على مدى دراية السيدة بنت أحمد بأحوال اليمن كله فأدركت أن صنعاء كانت محط أنظار كل ثائر يريد السيطرة على اليمن لأنها فى القلب من حيث الموقع فقد كانت هدف الداعى على بن محمد الصليحى بعد نزوله من مسار لأنه أدرك أنه لا سيطرة على اليمن كله إلا بالسيطرة على صنعاء، وبعد أن دان له ملك صنعاء إتخذها حاضرة لدولته وأسكن معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم وتمت مؤامرة قتله على ايديهم بالإضافة إلى الحياة العسكرية الشديدة والإضطرابات التى سادت صنعاء بعد مقتل الداعى على بن محمد الصليحى إلى جانب القتال الذى طال أمده بين الصليحيين وبين الأشراف آل القاسم بن على العيانى(٢٧).

هذا بالإضافة إلى مرض الملك المكرم أحمد بن على زوجها فآثرت السيدة بنت أحمد الإنتقال من صنعاء إلى ذى جبلة.

كذلك كان لطبيعة هذه المدينة الخاصة المتميزة من حيث الموقع والمناخ والتضاريس ووفرة المياة العذبة وغير ذلك مما يتوافر فى تخطيط المدن مما أهلها لتكون بحق عاصمة جديدة للدولة الصليحية بحيث تنطلق المدينة الجديدة بكل مرافقها إلى توفير وسائل الإعاشة الكاملة بداخلها(٢٨).

ولاشك أن توافر العوامل السابقة فى مدينة جبلة كان له أهميته فى الحفاظ على الدولة الصليحية بما وفرته لها هذه المدينة من أمن وأمان طبيعى ومادى فى منأى عن الثورات والفتن والمؤامرات التى سادت صنعاء بعد مقتل الداعى على بن محمد الصليحى وآثر الملك المكرم أحمد بن على الإنتقال إلى جبلة بعد دراسة كل الظروف المحيطة به وبدولته وإقتناعه التام بما كانت تهدف اليه السيدة بنت أحمد.

إختط الملك المكرم أحمد بن على الصليحى بذى جبلة دار العز الثانية وكانحائطا يشتمل على بستان وأشجار كثيرة وهو مطل على النهرين وعلى الدار الأولى، وأمرت السيدة بنت أحمد ببناء الدار الأولى وهى دار العز الأولى التى شيدها عبد الله بن محمد الصليحى مسجدا جامعا وأنشأت به فى الركن الشمالى الغربى قبرها(٢٩). (لوحة «٢»).

إستمرت مدينة جبلة فى النمو خلال السنوات المتعاقبة منذ تأسيس هذه المدينة حتى أن المؤرخ عمارة اليمنى يذكر «ولازالت مدينة جبلة الجميلة عامرة آهلة بالسكان والعلم والعرفان بفضل ماخلفته السيدة بنت أحمد من أوقاف جليلة وأموال ومآثر خالدة تدر بالخيرات»(٣٠).

وقد جعلت السيدة بنت أحمد إقامتها فى الصيف بحصن التعكر المطل على جبلة(٣١).

ويذكر المؤرخ الوصابى «وقد شهدت مدينة ذى جبلة زواج السيدة بنت أحمد فعندما أجابت الملكة رسول المستنصر إلى زواج سبأ بن أحمد سافر سبأ بأمم عظيمة وأقام بجبلة شهرا كاملا وشهدت أيضا المدينة رحيل سبأ بن أحمد وندمه على خطبة السيدة بنت أحمد»(٣٢).

وشهدت مدينة جبلة أيضا إزدهار الحياة العلمية والدينية والثقافية من علماء ورجال دين اسهموا بدور أساسى فى إثراء الحياة الثقافية فى عصر الدولة الصليحية وبعده فى مدينة جبلة فيذكر المؤرخ الجندى فى كتابه السلوك إنه فى أيام المفضل بن أبى البركات كان قاضى الجند القاضى أبو بكر الجندى ثم صار قاضى القضاة من الجند إلى صنعاء ثم لما صارت البلاد لمحمد بن سبأ أبقاه وضم إليه الجؤة وعدن وأبين ولحج وإستخلف ولده»(٣٣).

ولما توفيت السيدة بنت أحمد وصار التعكر وصبر وحب والأجناد وبلاد الحصون إلى منصور بن المفضل بن أبى البركات كان دار ملكه جبلة وله محبة لهذا القاضى فسأله أن ينتقل من الجند إليه ويسكن جبلة ولم يقبل منه عذرا فى ذلك وإنتقل القاضى أبو بكر من الجند موافقا للسلطان منصور بن المفضل وأقام

معه بجبلة شهرا وكتب الفقيه أبو الفتوح بن عبد الحميد الفائشى شعرا يعاتبه فيه على ذلك(٣٤).

ولقرب مدينة جبلة من إب الشهيرة فقد شهدت هذه المدينة الأخرى أهمية فى عصر الدولة الصليحية. (شكل ٦).

وإب كما يذكر عنها المؤرخ الحجرى فى مجموع بلدانه «إب وجبلة مروج غاية فى الجمال والإبداع وهى أرض خضراء شبه العروس العذراء بالسندس الأخضر مفروشة جنات معروشات وغير معروشة ووجه الأفق طلق ولم يكن بين السماء والأرض فرق وعلى شاطئ الوادى مجتمع أهل مدينة إب وجبلة»(٣٥).

ومدينة إب من أشهر مدن اليمن وهى حاضرة اللواء المسمى بإسمها يحيط بها سور محكم البناء وتقع على مقربة من تعز وهى جنوبى غربى صنعاء فى رأس ربوة متصلة بمساقط الجبال وهى من أحسن مدن اليمن وتقع مدينة جبلة حاضرة الصليحيين فى الجهة الجنوبية الغربية منها وتحيطها مناطق زراعية وتسقط عليها أمطار غزيرة ومن أعمال إب مدينة جبلة(٣٦).

ويذكر الحجرى «كانت إب من قرى ذى جبلة أما اليوم فقد صارت ذى جبلة من أعمال إب وفى إب مركز القضاء الذى يشمل مخلاف الشوافى ومخلاف بعدان وناحية جبلة وناحية المخادر وناحية حبيش، وإب من أجمل مدن اليمن ذات أرض خصبة وهواء معتدل ترتفع عن سطح البحر نحو ألفى متر تقريبا، وتقع إب فى رأس ربوة متصلة بمساقط جبال بعدان من غربى بعدان ويتصل بإب من غربها مخلاف الشوافى ومن جهة الجنوب ناحية ذى جبلة ومن جهة الشمال ناحية المخادر وفى إب جامع ومساجد كثيرة وحمام وفيها عين جارية تأتى من جبال بعدان تعرف بالمشنة لها ساقية توصلها إلى إب وإلى مساجدها وحول إب عيون جارية وقد صارت إب فى العصر الحاضر مركز لواء(٣٧).

حصن التعكر :

يعد حصن التعكر من أهم القلاع الصليحية فى اليمن نظرا لأنه كان بمثابة مقر لذخائر بنى الصليحى ودار إقامة للسيدة بنت أحمد وبالتالى فإنه كان عامرا بالقصور والمنشآت العامة، يذكره ياقوت الحموى بقوله «تعكر بضم الكاف وراء قلعة حصينة عظيمة مكينة باليمن من مخلاف جعفر مطلة على ذى جبلة ليس باليمن قلعة أحصن منها فيما بلغنى»(٣٨).

ويذكر القاضى محمد بن على الأكوع ما نصه «يقال له التعكر وحصن التعكر هو بفتح التاء المثناة من فوق وسكون العين المهملة وفتح الكاف آخره راء ولا يعرف اليمنيون غير هذا الضبط وهو حصن عظيم الشأن ومن أقدم معاقل اليمن وأحصنها والتعكر اليوم من قبل أربعمائة سنة خراب وأطلال»(٣٩).

ويصفه المؤرخ عمارة اليمنى «إتخذته السيدة بنت أحمد دار إقامة فتطلع إليه من ذى جبلة فى أيام الصيف وإذا برد الوقت سكنت بذى جبلة»(٤٠).

ويدل ذلك على أن حصن التعكر كان له أهمية بالغة فى عصر الدولة الصليحية بصفة عامة والملكة الحرة السيدة بنت أحمد بصفة خاصة هذه الأهمية التى تجعله لايقل أهمية عن حاضرة الدولة الصليحية الثانية وهى مدينة ذى جبلة، وإنطلاقا من هذه الأهمية البالغة لهذا الحصن جعله الداعى على بن محمد الصليحى تحت حكم السلطان عبد الله بن محمد الصليحى مؤسس مدينة ذى جبلة مما يدل على أهمية هذا الحصن للداعى على بن محمد الصليحى(٤١).

وبعد مقتل الداعى على بن محمد الصليحى أحاطت الصعاب بالملك المكرم أحمد بن على فى أول عهده وكاد يقضى على الدولة الصليحية لترسخ

أعدائها بها وأخذ بعض الولاة ينقضون عهودهم حتى كاد نفوذ الصليحيين يتلاشى من كافة أرجاء بلاد اليمن ولم يبق فى أيديهم إلا التعكر وكان العبيد قد حاصروه(٤٢).

وعندما إستقرت الأمور للمكرم أحمد بن على كان التعكر يومئذ فى أيدى إبن عمه أسعد بن عبد الله بن محمد الصليحى ولما ساءت عشرة أسعد بن عبد الله ونقله الملك المكرم أحمد بن على عن مجاورته رعن التعكر جعل أبا البركات بن الوليد الحميرى واليا للتعكر وأعماله(٤٣).

ولما مات أبو البركات جعلت الحرة الملكة ولاية التعكر إلى المفضل إبنه(٤٤)، ولما كان هذا الحصن مهدما حاليا تماما وفى حالة خراب تام، فإنه إعتمادا على النصوص التاريخية كان يضم عدة وحدات صغيرة خاصة بالإقامة، اكتسبت أهميتها من إقامة أمراء الدولة الصليحية بها فكانت أشبه بقصور ملكية صغيرة بسيطة محاطة بأبراج وممرات للمراقبة.

وقد كان الحصن مستودعا لذخائر الصليحيين التى صارت إليهم من ملوك اليمن لحصانته ومناعته وثقة من يولونه عليه، ثم إنه بالإضافة إلى ذلك كان دار إقامة للسيدة بنت أحمد فى الصيف والخريف وبالتالى فقد نال الإهتمام الذى نالته مدينة جبلة أعظم مدن الدولة الصليحية.

العمائر المدنية والحربية والدينية

كذلك شهدت بلاد اليمن عامة فى عصر الدولة الصليحية عناية خاصة بالعمائر المدنية والعسكرية، ففى مجال العمائر المدنية كان إهتمامهم واضحا بإنشاء عدة قصور فى مناطق مختلفة من بلاد اليمن وقد إندثرت هذه القصور وبصفة خاصة فى مدينة صنعاء حاليا ولم يبق لها أثر حتى أن المؤرخ عمارة اليمنى يذكر عن ذلك فى نص هام قوله «وحدثنى محمد بن بشارة من أهل صنعاء سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وذكر أن عمره قد ناهز الثمانين قال إن جميع من بنى دارا بصنعاء يبنى بأنقاض قصور الصليحى ومافنى طوبه وأحجاره وأخشابه»(٤٥).

وهذا النص الذى ذكره المؤرخ عمارة اليمنى يؤكد الإزدهار العمرانى الذى كانت عليه بلاد اليمن فى ذلك الوقت ويمدنا أيضا بأن الصليحيين إستخدموا الحجارة فى قصورهم وقد أشار إلى هذه القصور الزاهرة المؤرخ اليمنى إبن الديبع فذكر «شيد الصليحى بصنعاء عاصمة ملكه عدة قصور»(٤٦).

ومن هذه القصور العظيمة التى بناها الصليحى تلك القصور التى أسكن فيها ملوك اليمن تحت لواء واحد(٤٧) وإستمر إهتمام الملك المكرم أحمد بالتعمير فأقام بذى جبلة دار العز الثانية وكان حائطا يشتمل على بستان وأشجار كثيرة وهو مطل على النهرين وعلى دار العز الأولى التى شيدها عبد الله بن محمد الصليحى وبلغ هذا الإهتمام أوج إزدهاره فى عهد الملكة الحرة السيدة بنت أحمد فشاعت القصور فى التعكر وذى جبلة وكان عصرها يمثل قمة إزدهار عصر الدولة الصليحية العمرانى(٤٨).

ومن المنشآت المدنية الهامة أيضا ما إهتم به الصليحيون من عمارة الطرقات والسقايات بداية من عهد الداعى على بن محمد الصليحى ومرورا بإبنه الملك المكرم أحمد بن على والملكة الحرة السيدة بنت أحمد.

وتعد عمارة الطرقات الباقية آثارها إلى الآن فى مدينة جبلة حيث المدينة مبلطة بالحجر الصغير من أعمال السيدة بنت أحمد العظيمة فى بلاد اليمن، وكذا ما أجرته من العمل الكبير وهو عمارة العقود المتواصلة عقدا فى إثر عقد من جبل المشنة إلى المدينة للشرب وللجامع، وكان ذلك العمل آية فى القدرة على الأعمال الجبارة والبناء(٤٩).

ومن الآثار الباقية أيضا فى الجند من عهد الملكة الحرة السيدة بنت أحمد ساقية الماء، وهذه العمارة من أعمال المفضل بن أبى البركات وزير الملكة الحرة السيدة بنت أحمد ففتح لها فى بطون الجبال على عرض قدره عشرة أمتار وأجراه بعمل جبار متقن حتى أخرجه إلى ظاهر المسمى قاع الجندية وأجراه إلى المسجد فى ساقية فسيحة على عرض متر ولم تزل إلى الآن(٥٠).

وتدل هذه الأبنية من عمارة طرقات ومنشآت مائية تتمثل فى نقل المياه من مسافات بعيدة على قناطر معقودة على الإزدهار العمرانى الذى وصلت إليه بلاد اليمن فى عصر الدولة الصليحة وبوجه خاص فى عصر السيدة بنت أحمد فقد حرصت من خلال هذه المنشآت المائية على عمارة مدينة جبلة فبعضها كان يحمل الماء إلى الجامع وبعضها كان يحمل الماء لكافة المرافق وهو الأمر الذى تعرضنا له عند إختيار ذى جبلة حاضرة للدولة الصليحية.

أما عن العمارة الحربية فى عصر الدولة الصليحية فى بلاد اليمن فإنه يمكن القول أن العمارة الحربية قد اسهمت بدور هام فى عصر الدولة الصليحية فقد بدأ الأمراء الصليحيون عهدهم ببناء أنواع مختلفة من العمائر الحربية فبنوا الحصون والربط والقلاع ويعتبر الداعى على بن محمد الصليحى من أهم المنشئين العظام لتلك العمائر الحربية فقد كانت إنعكاسا للحالة السياسية التى مرت بها الدولة الصليحية فى بداية قيامها.

كما قاموا بإصلاح بعض التحصينات وقد ساعدهم على ذلك طبيعة البلاد الجبلية وحصانتها الطبيعية فقد عمر الداعى على بن محمد الصليحى حصن مسار وبناه وحصنه[٥١]، وذلك وقت قيامه بإعلان دولته فى عام ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م مما كان له أثرا كبيرا فى إنتصاراته المتوالية التى غطت وروعت اليمن كله.

وبعد نزول الصليحى من مسار وسيطرته على صنعاء حاضرة دولته ومقر ملكه رأى أن تحصينها ضرورة وفق ما ذكره المؤرخ إبن المجاور فى تاريخه المعروف بتأريخ المستبصر فأدارها بسور بالحجر والجص وركب عليه سبعة أبواب باب غمدان ينفذ إلى اليمن وباب دمشق ينفذ إلى مكة وباب الشيخة ينفذ إلى حلة الشيخة وباب خندق الأعلى يدخل منه السيل وباب خندق الأسفل يخرج السيل يسقى الأرض وباب النصر ينفذ إلى جبل نقم وبراش. وباب شرعة ينفذ إلى بستان السر[٥٢]. ويضيف إبن المجاور مانصه «أراد الصليحى أن يبنى من زبيد إلى مكة فى كل مرحلة من المراحل رباطا يذكر بعد موته ولازال يبنى إلى أن وصل المهجم»[٥٣].

ويؤكد ما سبق ذكره من اهتمام الصليحى العظيم بالعمائر الحربية ماذكره المؤرخ الوصابى، فقد ذكر ما نصه «أعلم أن الملك على بن محمد الصليحى إستولى على جميع اليمن ووصاب[٥٤]، وهو الذى أمر بعمارة حصن نعمان[٥٥] ودرجه وحصن عتمة[٥٦] أيضا»[٥٧].

ويؤكد نص الوصابى ماذكره المؤرخ إبن المجاور من تعمير وإنشاء الداعى على بن محمد الصليحى وتحصينه للبلاد اليمنية التى نزلها لتأمين دولته.

العمائر الدينية المندثرة :

تبوأ الصليحيون مكانا مرموقا بتشييدهم وإصلاحهم للعديد من المساجد فى اليمن، وتدل عمائر الصليحيين المندثرة من خلال اقوال المؤرخين وعمائرهم الباقية الدينية على مدى النهضة الحضارية والتطور الذى حققته بلاد اليمن فى القرنين الخامس والسادس للهجرة الحادى عشر والثانى عشر للميلاد.

وقد بقيت للصليحيين بعض هذه العمائر المتمثلة فى المساجد التى تتيح لنا تحديد خصائصها المعمارية والفنية. ومن هذه المساجد التى سأتناولها بالبحث والدراسة جامع السيدة بنت أحمد فى مدينة جبلة ومشهدها الملحق به.

إهتم الداعى على بن محمد الصليحى بالعمارة الدينية إهتماما يمكن القول معه أنها كانت محور إهتمامه الأول من خلال أقوال المؤرخين وقد جاء فى تاريخ مدينة صنعاء للرازى وعندما يستقر الأمر للصليحيين ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م، يوطد الأمن وتستقر الأحوال فتعمر بعض المساجد وتصلح أخرى وتقام المرافق فى صنعاء»[٥٨]، ويدل ذلك على أن العمارة الدينية ممثلة فى المساجد أهملت إهمالا شديدا قبل عصر الدولة الصليحية وأصابها الخراب فلما إستقر الأمر للداعى على بن محمد الصليحى وتمكن من السيطرة على اليمن كله وطد الأمن وإستقرت الأحوال السياسية، وانعكس ذلك إيجابيا على المساجد فأولاها الداعى على بن محمد الصليحى إهتمامه ورعايته فقام بتعمير المساجد التى هجرت [illegible]

المساجد التى خربت وهو أمر طبيعى تقتضيه هيبة الحاكم بالأسراع فى تعمير ما كان قد تشعث من المساجد الهامة فى اليمن.

ومما يؤكد إهتمام الداعى الصليحى بالعمارة الدينية ما أورده المؤرخ ابن المجاور «أراد الصليحى أن يبنى من زبيد إلى مكة فى كل مرحلة من المراحل مسجدا يذكر بعد موته ولازال يبنى إلى أن وصل المهجم»(٥٩).

ويدل هذا النص على عظمة وثراء عصر الداعى على بن محمد الصليحى فى تشييد المساجد ويمدنا نص المؤرخ إبن المجاور أن الداعى على بن محمد الصليحى إلى جانب تعميره مساجد صنعاء وإصلاحها، وهى مساجد كانت قائمة قبل قيامه بالثورة نجد أنه قام بتشييد مساجد خارج مدينة صنعاء ولكن الذى يؤسف له أن المؤرخ إبن المجاور لم يشر إلى إسم أو تحديد المساجد التى ذكرها.

ويذكر الوصابى أيضا «أن الملك على بن محمد الصليحى استولى على جميع اليمن ووصاب وغيره من سنة أربع وأربعين وأربعمائه إلى سنة سبع وخمسين وأربعمائه وعمر جامع قرية قرضة فى بنى شعيب ومسجد ذى حمد فى حدود ٤٥٧هـ»(٦٠)، وهذا النص يؤكد ما ذكره المؤرخ إبن المجاور أن الصليحى أراد أن يبنى فى كل مرحلة من المراحل مسجدا فإذا كان قد عمر فى وصاب مسجدين فلابد وأنه عمر مساجد كل المدن والقرى التى نزلها عند إستيلائه على اليمن كله.

وكانت للداعى على بن محمد الصليحى مآثر عظيمة خارج بلاد اليمن فقد أدخل الصليحى كثيرا من وجوه الإصلاح فى بلاد الحجاز فخصص أموالا وفيرة للبيت العتيق وكسا الكعبة بالديباج الأبيض(٦١).

أما عن الملك المكرم أحمد بن على الصليحى فقد شيد نوعا من العمائر الدينية تمثل فى المشاهد.

يذكر المؤرخ عمارة اليمنى عندما تخلص الملك المكرم من سعيد الأحول وأنقذ أمه من الأسر ما نصه «وأنزل المكرم رأس أبيه وعمه وبنى مشهدا عليهما وقد أدركت مشهد الرأسين»[٦٢] ويفهم من هذا النص أن مقر مشهد الرأسين فى مدينة زبيد حيث أقام الملك المكرم البناء.

ويذكر د. حسين الهمدانى نقلا عن إدريس عماد الدين فى عيون الأخبار «أن الملك المكرم قد أمر لما بلغ المهجم فى ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م بحمل جثتى والده وعمه عبد الله بن محمد الصليحى فى تابوتين إلى زبيد ثم سار بهما إلى صنعاء فدفنهما إلى يمين الجبانة العامة وأمر ببناء مشهد جامع لهما»[٦٣].

ويدل هذا النص على أن الملك المكرم بنى مشهدين الأول فى زبيد عند التخلص من سعيد الأحول بن نجاح ودفن فيه الرأسين ولذلك سمى مشهد الرأسين والمشهد الثانى فى صنعاء ودفن فيه الجثتين بعد إستخراجهما من المهجم على إعتبار أن صنعاء هى حاضرة ملكه ومقر إقامته قبل الإنتقال إلى ذى جبلة وفى رأيى أن الملك المكرم قد نقل الرأسين والجثتين إلى صنعاء ودفنهما فى المشهد الذى بنى فى صنعاء وأن المشهد الذى بنى فى زبيد كان مشهدا رمزيا فقط إكراما لوالده وعمه وتقديسا لروحهما لأنه من غير المنطقى أن يدفن الرأسين فى مشهد ويدفن الجثتين فى مشهد آخر ثم إن زبيد بعيدة ويسكنها الأحباش أنصار سعيد الأحول وجياش بن نجاح ألد أعداء الداعى على بن محمد الصليحى فكيف يأمن على الرأسين أنهما لن ينبشا بعد ذلك فمن الراجح أن مشهد زبيد كان مشهدا رمزيا أما مشهد صنعاء الجامع فهو الذى دفن فيه الصليحى وأخوه عبد الله بكامل أعضائهما.

ومن المحتمل أيضا أن يكون الملك المكرم قد بنى مشهدا ثالثا رمزيا فى المهجم عندما استخرج الجثتين على غرار المشهد الذى شيده فى زبيد.

ويذكر د. حسين الهمدانى «أن المشهد الجامع الذى شيده الملك المكرم فى صنعاء يمانى الجبانة قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره وهدموا مناره»[٦٤]، شأنه فى ذلك شأن القصور الصليحية الزاهرة وعمائر الصليحيين من طرق وسقايات

تعرضت للهدم والتعدى ويرجع هذا إلى الإختلاف المذهبى والإهمال ومدى التشدد والتحامل على الصليحيين إلى حد محو آثارهم وكان من الممكن أن يمدنا هذا المشهد الجامع الذى شيده الملك المكرم بفكرة واضحة عن عمارة المشاهد المستقلة بذاتها فى عصر الدولة الصليحية.

ومن الإضافات التى نسبت إلى الصليحيين وثار حولها جدل كبير عمارة الجناح الشرقى فى جامع صنعاء الكبير، وقد إنقسم المؤرخون إلى فريقين فريق ينسب هذه العمارة إلى الملكة الحرة السيدة بنت أحمد الصليحية وآخر ينسب هذه العمارة إل بنى يعفر فيذكر المؤرخ يحيى بن الحسين «وفى سنة ٥٣٢هـ ماتت الحرة بنت أحمد الصليحى فى مدينتها ذى جبلة وعمرها ثمان وثمانون سنة ودفنت فى الجامع المشهور الذى من بنائها أيضا الجانب الشرقى من جامع صنعاء»(٦٥).

وأهمية هذا النص الذى أورده المؤرخ يحيى بن الحسين أن معظم المؤرخين نقلوا عنه فقد جاء فى مساجد صنعاء للمؤرخ الحجرى أن المشيد للجناح الشرقى هى السيدة إبنة أحمد الصليحى(٦٦).

وجاء فى المقتطف للجرافى «وللسيدة أروى بنت أحمد مآثر عظيمة باليمن منها بناء جامع جبلة والجناح الشرقى بجامع صنعاء وأن جودة الأخشاب ورشاقة نقوشها فى سقفه ليشهدان على مخالفته لعمارة محمد بن يعفر»(٦٧).

كذلك تذكر د. سعاد ماهر أنه من محاسن الملكة أروى بنت أحمد بن محمد الصليحى زيادة الجناح الشرقى فى سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م كما هو عليه الآن(٦٨) ويذكر د. حسن سليمان محمود أن الملكة أروى هى التى وسعت جامع صنعاء الجناح الشرقى منه وصححت عمارته وزينته وأمرت أن يكتب فيه أسماء جميع الأئمة من على بن أبى طالب إلى إمام عصرها، وأثبتت ذلك فى الحائط القبلى من المسجد الجامع وكان إسمها مكتوبا على الأحجار البيضاء التى بين أبواب الجامع ولكن العصبية المذهبية لم تترك من الكتابة غير البسملة وأعيد بجص ثم كشط فى عهد دولة آل يحيى من الأشراف(٦٩).

وتعليقا على ماذكره د. حسن سليمان يذكر د. عصام الدين عبد الرءوف أنها ينقصها الدليل المادى لأنه لا أثر لهذه الكتابة كما أن الجناح الشرقى من عمل آل يعفر(٧٠).

أما عن القائلين بنسبة عمارة الجناح الشرقى لجامع صنعاء إلى آل يعفر فنذكر منهم السياغى حيث يذكر «ومن الآثار العجيبة الأسلامية بصنعاء مسجدها جامع وسقفه البديع ولاسيما الجناح الشرقى منه فإنه مزخرف زخرفة عجيبة ومنقوش بالفسيفساء وأنواع الأصبغة التى لم تتغير بطول الزمن فكل خشبة منه منقوشة ومزخرفة وفى بطن السقف مما يلى الخشب فى أعلى الجدار كتابة محفورة فى ألواح من الخشب مثبته فى بطن السقف دايرة على الجامع كله وهى بالخط الكوفى ولم يكن قد وقع الكشف عليها»(٧١).

ويضيف السياغى «وأما عمارة الجامع على ماهو عليه الآن بالبناء المتقن بالأحجار فهو من بناء الأمير أبو محمد يعفر بن إبراهيم بن محمد بن يعفر الحوالى عام ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م، ولكنه توفى قبل أن يكمله فأكمله بعده الأمير أبو يعفر حسان أسعد الملك بن إبراهيم بن محمد بن يعفر المتوفى ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م ووقف عليه الأموال الطائلة منها وادى شاهرة واوصى أن يقبر فيه وأجرى للجامع من العناية والزخرفة مالا يوصف ولاسيما الجناح الشرقى»(٧٢).

ويذكر القاضى إسماعيل الأكوع أن الجناح الشرقى من عمارة أسعد بن يعفر والدليل على ذلك ماذكره مؤرخون ثلاثة هم عبد الرحمن بن محمد الحبيشى فى الأعتبار وفى التواريخ والأختبار وكذلك ما قاله المؤرخ ابن الديبع وما قاله ابن أبى الرمال فى مطلع البدور ويضيف القاضى إسماعيل الأكوع أنه لو كان للسيدة بنت أحمد عمارة الجناح الشرقى لذكر ذلك مؤرخو الدولة الصليحية لأنهم لم يغفلوا شيئا من محاسنها كما أن طراز الجناح الشرقى يشبه تماما جامع شبام الذى هو بالإجماع من بناء أسعد بن أبى يعفر ويخالف تماما جامع ذى جبلة الذى هو بالإجماع من بناء السيدة بنت أحمد(٧٣).

ويضيف القاضى إسماعيل الأكوع أنه ليس من المنطق أن يكون جامع السيدة فى ذى جبلة وهو كله من بنائها أقل مستوى من الجناح الشرقى بجامع صنعاء لو كان من بنائها فقد كان المنطق أن يكون مماثلا له إن لم يكن طراز جامعها فى ذى جبلة أحسن وأكثر روعة وجمالا(٧٤).

ويذكر د. مصطفى شيحه أن الجناح الشرقى للجامع الكبير بصنعاء (٤١,٥٠×١١م) من أهم أروقة الجامع، وأهم ما يميز سقف هذا الرواق روعة الزخارف النباتية والهندسية على المصندقات الخشبية والأرجح أن عمارة هذا الرواق ومعظم السقوف الخشبية بالجامع ترجع إلى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى نظرا للتشابه الكبير بينها وبين مثيلاتها فى جامع شبام كوكبان كما أن الكتابات الآثرية الباقية على جدران الجامع الكبير بصنعاء يمكن نسبة الكثير منها إلى فترة ماقبل العصر الصليحى(٧٥).

ويضيف د. مصطفى شيحه نقلا عن القاضى إسماعيل الأكوع أن تجديد عمارة الرواق الشرقى لم يرد فى وصية السيدة بنت أحمد(٧٦).

هذا ماورد بشأن مشكلة تجديد الجناح الشرقى فى الجامع الكبير بصنعاء، على أننى أرجح نسبة الجناح الشرقى فى عهد الدولة اليعفرية وخاصة فى عصر أسعد بن أبى يعفر لأنه بتحليل الأراء السابقة يمكن القول أن صنعاء بوفاة الأمير سبأ بن أحمد ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م خرجت وأعمالها من بنى الصليحى ولم يبق لهم فيها أمر وإستولى عليها السلطان حاتم بن الغشم(٧٧).

هذا بالأضافة إلى أن الدولة الصليحية فى بداية القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى بدأ الضعف يدب فى أوصالها حتى أن السيدة بنت أحمد أرسلت إلى الخلافة الفاطمية تطلب منها المدد وأرسلت لها الخلافة الفاطمية فى عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م الأمير الموفق على بن نجيب الدولة(٧٨).

إلى جانب أن إهتمام السيدة بنت أحمد كان منصرفا إلى جبلة وتشييد العمائر فيها بمختلف أنواعها وهذا يوضح أن صنعاء لم تكن تحت سيادة الدولة الصليحية

حتى تتمكن السيدة بنت أحمد من عمارة الجناح الشرقى بهذه الدقة والروعة ثم أن سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م التى ذكرها المؤرخون الذين ذكروا عمارة الجناح الشرقى فيها للسيدة بنت أحمد كانت الدولة الصليحية فيها قد وصلت إلى قمة ضعفها، ولم تمر سبع سنوات بعدها إلا وقد إنهارت الدولة الصليحية، فليس من المنطقى فى ظل هذه الظروف أن تخرج عمارة بهذه الدقة والروعة وتنسب إلى السيدة بنت أحمد.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يمكننا القول إن صنعاء كانت مقر ملوك آل يعفر من ٢٤٧هـ-٣٧٨هـ/ ٨٦١ - ٩٩٧م بداية من يعفر بن عبد الرحمن وحتى عبد الله بن قحطان(٧٩).

وهناك نص هام لإبن حوقل الذى زار صنعاء فى ظل حكم أسعد بن أبى يعفر نصه «أسعد بن أبى يعفر من أمراء بنى يعفر الذين حكموا اليمن وكان من أجل ملوك تهامة اليمن المعروفين بملوك الجبال فإنها ملكها سنين كثيرة وملك صنعاء وخطب لآل زياد وضرب دراهمه بإسمهم بغير هدية أو مبرة تصل منه إليهم وكانت أمواله دون أربع مائة آلف دينار تنصرف فى مرءوته وإلى أضيافه وقاصديه وكان من سلالة التبابعة»(٨٠).

والنص يبين أن أسعد بن أبى يعفر حكم صنعاء إلى جانب ما كان عليه من ثراء وملك، فقد وصفه إبن حوقل بإنه أجل الملوك ويجعلنى هذا كله أقرر مطمئنا بناء على كل ما سبق ذكره وتحليله أن عمارة الجناح الشرقى فى الجامع الكبير بصنعاء هى من عمل آل يعفر وليست من عمل السيدة بنت أحمد.

ومن إضافات الصليحيين أيضا ماذكره المؤرخ ابن المجاور «وجدد الأمير المفضل بن أبى البركات بن الوليد سنة ثمانين وأربعمائه بالحجر المنقوش واللبن المربع جامع الجند»(٨١).

هوامش وتعليقات الفصل الخامس

(١) الهمدانى: صفة الجزيرة، ص ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٣.

(٣) ابن فضل الله العمرى. مسالك الأبصار ص ٦٢.

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ص ٢٤٩.

(٥) يحيى بن الحسين: غاية الامانى، ص ٥٤، د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ١١.

(٦) د. عصام الدين عبد الرءوف: اليمن، ص ١٤٩.

(٧) الرازى: تاريخ صنعاء، ص ١٨.

يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ص ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٨) الرازى: تاريخ صنعاء، ص ٢٨.

(٩) محمد بن على الأكوع: اليمن الخضراء، ص ص ٤٢٩-٤٣٠.

(١٠) إسماعيل بن على الأكوع: لمحة تاريخية عن صنعاء (الآثار الإسلامية فى الوطن العربى)، ص ٥١.

(١١) الوصابى: تاريخ وصاب، ص ص ٩٣-٩٤.

(١٢) إبن المجاور: تأريخ المستبصر، ص ٧٥.

(١٣) محمد بن على الأكوع: اليمن، ص ١٣٩.

(١٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ٥، مج ٢، ص ص ١٠٦-١٠٧.

صفى الدين البغدادى: مراصد الإطلاع جـ ١، ص ٣١٣.

(١٥) إبن سعيد: بسط الأرض، ص ص ٣٣-٣٤.

(١٦) إبن بطوطة: تحفة النظار، ص ٢٧٤.

(١٧) محمد بن على الأكوع: اليمن، ص ٨٣.

(١٨) محمد بن على الأكوع: اليمن، ص ٨٣.

(١٩) الحجرى: مجموع بلدان، جـ ١، ص ٣٤.

(٢٠) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٣٨-١٤١، إبن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٠.

(٢١) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٤١-١٤٢ حاشية ١.

(٢٢) عمارة المفيد، ص ص ١٣٨-١٤١، إبن المجاور: تاريخ المستبصر، ص ص ١٦٨-١٦٩.

(٢٣) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٣٨-١٤١، إبن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٠.

(٢٤) محمد بن على الأكوع: اليمن، ص ٨٣.

(٢٥) عارف تامر: أروى، ص ص ١١٠-١١١.

(٢٦) د. عبد الحليم نور الدين: مقدمة فى الآثار اليمنية، صنعاء ١٩٤٥م، ص ص ٢١٠-٢١١.

(٢٧) العرشى: بلوغ المرام، ص ص ٢٥-٢٦.

(٢٨) انظر عن تخطيط المدينة.

د. جمال حمدان: جغرافية المدن، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ص ١٠٨-١٠٩.

(٢٩) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٤٢، الكبسى: اللطائف السنية، ص ٥٦.

(٣٠) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٣٩ حاشية ٣.

(٣١) أحمد حسين شرف الدين: اليمن، ص ٢٠٣ حاشية ١.

(٣٢) الوصابى: تاريخ وصاب الأعتبار فى التواريخ والآثار. تحقيق عبد الله محمد الحبشى، صنعاء ١٩٧٩م. ص ص ٤٠-٤١.

(٣٣) الجندى: السلوك، جـ ١، ص ٣٥٢.

(٣٤) انظر : الجندى: السلوك، جـ ١، ص ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٣٥) الحجرى: مجموع بلدان، جـ ١، ص ٣٨.

(٣٦) د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ص ١٤٩-١٥٠.

(٣٧) الحجرى: مجموع بلدان، جـ ١، ص ص ٣١-٣٤.

(٣٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ١، مج ٢، ص ٣٤.

(٣٩) الهمدانى: صفة الجزيرة، ص ص ١١٩-١٢٠ حاشية ٥.

(٤٠) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٥٥.

(٤١) د. حسن إبراهيم حسن: اليمن، ص ٨٥.

(٤٢) د. حسن إبراهيم حسن اليمنى، ص ٧٩.

(٤٣) عمارة اليمنى: المفيد. ص ص ١٥٤-١٥٥، الوصابى: تاريخ وصاب، ص ص ٤٢-٤٣.

(٤٤) عمارة اليمنى: المفيد، ص ص ١٥٤-١٥٥.

(٤٥) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٢٠.

(٤٦) إبن الديبع: بغية المستفيد، ص ٤٦.

(٤٧) د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ١١.

(٤٨) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٤٢.

(٤٩) السياغى: معالم الآثار، ص ص ١٠٤-١٠٥.

يذكر السياغى أن هذا البناء للأسف قد تعدى عليه بعض من له تعلق بالحكومة من الأهالى وتعدى إلى خرابها وأخذ أحجارها فتسابق الناس إلى النقض والخراب والإستيلاء على الأحجار وتعميرهم بها منازلهم وتسابقهم على الإستيلاء على الأرض

وقد ذكر المؤرخ اليمنى عمارة ذلك عندما تحدث عن قصور الصليحى على بن محمد فى مدينة صنعاء فأكد السياغى بذلك ما ذكره المؤرخ اليمنى عمارة.

(٥٠) السياغى: معالم الآثار، ص ١١.

يذكر السياغى عن هذه الساقية فى الوقت الحاضر إنه قد دخل عليها الإهمال وتغلب بعض القبائل على مائها ووجهوه نحو مزارعهم.

(٥١) د. حسين الهمدانى: الصليحيون، ص ٧٦.

(٥٢) إبن المحاور: تأريخ المستبصر، ص ص ١٧٩-١٨٠.

(٥٣) ابن المجاور تأريخ، ص ٧٥.

(٥٤) وصاب: اسم جبل فيه عدة بلاد وقرى وحصون وأهله عصاة لاطاعة عليهم لسلطان اليمن إلا عنوة معاناة من السلطان:

انظر: ياقوت إمعجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر، مجـ ٨، ص ٤٢٥.

(٥٥) حصن نعمان: من الحصون المشهورة القاهرة بنى فى حدود المائة الثالثة من الهجرة أحاطت به الجبال من كل جهة وفيه عمارات عجيبة وله درجة رحيبة من بقية عمارة الصليحى.

انظر: الوصابى: تاريخ وصاب، ص ٩٣.

(٥٦) حصن عتمة: يذكر الوصابى «أنه من الحصون الملوكية المنيعة والقلاع الشامخة والعمارة الجاهلية بكل جوانبها جبال هائلة وكان لها درب مرتفع ويقال أن عتب الباب الموجود اليوم وبعض الأكليل (وهو عقد الباب المبنى عليها) من عمارة الصليحى».

انظر: الوصابى: تاريخ وصاب، ص ص ٩٣-٩٤.

(٥٧) الوصابى: تاريخ وصاب، ص ص ٩٣-٩٤، ١٠٥.

(٥٨) الرازى: تاريخ صنعاء، ص ٢٩.

(٥٩) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص ص ١٧٩-١٨٠.

(٦٠) الوصابى: تاريخ وصاب، ص ١٠٥.

(٦١) د. حسن إبراهيم حسن: اليمن ص ٧٧، السجلات المستنصرية: سجلات ارقم

٣، ٤، ٧، ص ص ٣٧-٥٠.

(٦٢) عمارة اليمنى: المفيد، ص ١٣٤.

(٦٣) د. حسين الهمدانى: الصليحيون، ص ١٣٤.

(٦٤) د. حسين الهمدانى: الصليحيون، ص ١٣٤ حاشية ١.

(٦٥) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ص ٢٩٥.

(٦٦) محمد بن أحمد الحجرى: مساجد صنعاء، ص ٢٧.

(٦٧) الجرافى: المقتطف، ص ص ٨٠-٨١.

(٦٨) د. سعاد ماهر محمد: العمارة الأسلامية على مر العصور، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، جـ ١.

(٦٩) د. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ص ٩٣-٩٤.

(٧٠) د. عصام الدين عبد الرءوف: اليمن فى ظل الأسلام، ص ٣٣.

(٧١) حسين السياغى: معالم الآثار اليمنية، ص ص ١٣-١٤.

(٧٢) السياغى: معالم الآثار، ص ص ١٥-١٧.

(٧٣) الحجرى: مجموع بلدان، جـ ٣، ص ص ٥١٢-٥١٣، إسماعيل الأكوع: امرأة تتولى، مجلة الفيصل ص ٦١.

(٧٤) إسماعيل الأكوع: لمحة تاريخية عن صنعاء (الآثار الأسلامية فى الوطن العربى)، ص ص ٥٣-٥٤.

(٧٥) د. مصطفى شيحه: مدخل إلى العمارة، ص ص ٣١-٣٢، ٣٤.

(٧٦) د. مصطفى شيحه: مدخل، ص ٣٢.

(٧٧) انظر الفصل الثالث.

(٧٨) انظر الفصل الثالث.

(٧٩) د. أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الأسلامية، ص ١٩٨.

(٨٠) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ص ٣٢-٣٣.

(٨١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص ١٦٥، القاضى عبد الله الشماعى: اليمن الأنسان والحضارة، ص ٥.

جامع ومشهد السيدة بنت أحمد

جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة : (لوحة ٢) (أشكال ٧ ، ٨ ، ٩)

يذكر المؤرخ اليمنى عمارة بشأن بناء جامع السيدة بنت أحمد ما نصه «وأمرت السيدة ببناء دار العز الأولى جامعا وهو المسجد الثانى وبه قبر الملكة السيدة وكان بناء دار العز الكبيرة سنة ثمانين وأربعمائة»[١].

ويذكر القاضى محمد بن على الأكوع نقلا عن المؤرخ عمارة اليمنى أن الجامع بنى سنة «أحدى وثمانين وأربعمائة»[٢]، والواقع أن السيدة بنت أحمد انتقلت وزوجها الملك المكرم أحمد بن على الصليحى إلى جبلة فى عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م وليس سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م لأن الملك المكرم أحمد بن على الصليحى توفى عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م وعلى ذلك فإن تاريخ إنشاء المسجد الجامع فى ذى جبلة كان عام ٤٦٠-٤٦١هـ/ ١٠٦٧-١٠٦٨م وليس كما جاء على لسان المؤرخ اليمنى عمارة أو القاضى محمد بن على الأكوع.

يقع هذا المسجد فوق تل مرتفع جداً يتم الوصول إليه فى وسط مدينة جبلة المرتفعة أيضا ويصعد إلى هذا المسجد من خلال منحدر صاعد فى الناحية الشرقية بالنسبة للمسجد من خلال عدد كبير من درجات السلالم التى تؤدى إلي دهليز طويل يمتد من الجنوب إلى الشمال وتطل واجهة هذا المسجد فى الجهة الشرقية على هذا الدهليز السابق الإشارة إليه ويوجد حاليا بهذه الواجهة ثلاثة مداخل ويلاحظ على المدخل الجنوبى أعلى الجدار الجنوبى فى الضلع الشرقى كتابة بالخط النسخ تقرأ:

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » وعلى الباب الخشبى نجد حشوات يقرأ عليها «أنعمت فزد» على الحشوة اليسرى، «أنعمت فلك الحمد» على الحشوة اليمنى، وأعلى الاطار فى حشوتى الباب «بسم الله الرحمن الرحيم إدخلوها بسلام آمنين» (لوحة ٣).

هذا بالإضافة إلى وجود زخارف محفورة بارزة من أوراق متعددة الفصوص على حشوات الباب.

والمسجد من الداخل فى حالة لابأس بها من الحفظ، يعتمد فى تخطيطه على الفناء المكشوف المحاط بأربعة أروقة أعمقها رواق القبلة ولازال يحمل من تاريخ الإنشاء بعض العناصر المعمارية والزخرفية الهامة وتخطيط المسجد الحالى على شكل مستطيل يتوسطه فناء مكشوف وأربعة أروقة من جهاته الأربع وللمسجد أحد عشر مدخلا توصل جميعها إلى داخله وزعت على النحو التالى:

مدخلان فى الناحية الجنوبية أحدهما يؤدى إلى الصحن والآخر يؤدى إلى الرواق الجنوبى وستة مداخل فى الجدار الشرقى منها أربعة مداخل تؤدى إلى رواق القبلة، والإثنان الآخرن يفتحان على الرواق فى الجانب الشمالى، وإثنان يفتحان فى الجدار الغربى أحدهما يؤدى إلى رواق القبلة، والآخر يؤدى إلى الرواق الغربى، وهناك مدخل فى الجدار الشمالى، أى فى جدار المحراب على يمين الواقف أمام المحراب يؤدى إلى رواق القبلة.

والمسجد من الداخل يتكون من صحن أوسط مكشوف مستطيل الشكل مساحته (٢٠ر٧ X ٤٢ر١٧م) يحيط بهذا الصحن من أربع جهات أروقة وهذه الأروقة أكبرها إتساعا وعمقا رواق القبلة انظر (المسقط الأفقى).

وقد بقيت صفوف الأعمدة بعوارضها تحدد لنا تخطيط رواق القبلة بما يشتمل عليه من بلاطات وبائكة تشرف على الصحن وبلاطة وسطى تتعامد على

المحراب، وكذلك بقيت لنا البائكات بأعمدتها وعقودها تحدد لنا تخطيط ومسار العقود فى الأروقة الجانبية الشرقية والغربية والجنوبية.

الصحن :

جاء صحن المسجد مكشوفا من مستطيل يبلغ طوله (٢٠ر٧م) وعرضه (١٧ر٤٢م) تطل عليه من الجانب الشمالى واجهة رواق القبلة من خلال بائكة كانت تتكون من ثمانية أعمدة وسبعة عقود، (لوحة ٤) والعقد الأوسط لهذه البائكة أكثرها إتساعا وارتفاعا وهو يفتح على المحراب مباشرة، وتسير عقود هذه البائكة موازية لجدار القبلة وقد سدت هذه البائكة فى وقت لاحق على إنشاء المسجد، وهى تمتد من الداخل فى الجانبين، حيث تتصل بالجدارين الشرقى والغربى.

وهذه البائكة التى كانت تتقدم رواق القبلة على طول إمتداد الرواق من الشرق إلى الغرب بنيت وقت إنشاء الجامع وكانت تطل على فناء المسجد بواسطة عقود مدببة تحملها أعمدة، أما البائكة التى تشرف على الصحن والموجودة حاليا والتى تتقدم رواق القبلة فهى تتكون من ثمانية أعمدة وسبعة عقود أكثرها إتساعا وارتفاعا العقد الأوسط الذى يتوسطها والذى يفتح على المحراب على نفس نمط البائكة القديمة التى كانت تشرف على الصحن وقت إنشاء الجامع بسبعة عقود محمولة على ثمانية أعمدة وقد إستغل المعمار اليمنى العمودين اللذين فى طرفى هذه البائكة واللذين كانا أصلا فى الرواقين الشرقى والغربى فى تحميل العقدين المتطرفين منها على هذين العمودين وهو بذلك قد أضاف إلى العمودين ستة أعمدة وهذه الأعمدة مختلفة تماماً من حيث سمكها وعقودها عن سمك وعقود باقى أعمدة وعقود المسجد مما يرجح إضافتها فى وقت لاحق على إنشاء المسجد.

وسأتناول هذا الموضوع بالتحليل عند الدراسة المقارنة لأن هذه البائكة وقبة البهو التى تتوسطها لم أجدها فى المساجد اليمنية السابقة على هذا المسجد بل هى

فى رأينا من التأثيرات المغربية التى وفدت على المساجد اليمنية فى عصر الدولة الصليحية وتذكر أ. بربارة فنستر أنه من المحتمل أن تكون هذه البائكة قد أقيمت عوضا عن بهو أو دهليز أصلى قديم حيث يقل سمك أعمدتها إلى حد كبير عن باقى أعمدة المسجد التى تحمل عقودا لذلك فإن هذه البائكة بأعمدتها وعقودها قد أنشأت حديثاً وتضيف أيضاً أن اختلاف عقود البائكات التى تشرف على الصحن يرجع إلى عمليات الترميم والإصلاح المختلفة التى تمت بالمسجد[٣]. ولكنى لا أوافق أ. بربارة فنستر فيما ذهبت إليه على الرغم من أن الإختلاف فى عقود هذه البائكة واضح جلى من حيث إرتفاع هذه العقود عن بقية العقود المطلة على الصحن وكذلك إختلاف تصميم العقود نفسها بعضها عن بعض فى هذه البائكة وإختلاف سمك أعمدتها عن الأعمدة المطلة على الصحن، إلا أن ذلك يرجح إضافتها فى وقت لاحق على بناء المسجد أو تجديدها بعد إضافتها فى وقت لاحق على إنشاء المسجد.

ويشرف الرواق الشرقى والرواق الغربى (لوحة ٥) على الصحن من خلال بائكة من سبعة عقود مدببة الشكل ترتكز على ثمانية أعمدة.

أما الرواق الجنوبى (لوحة ٦) والذى يتكون من بلاطة واحدة فيشرف على الصحن من خلال بائكة من تسعة أعمدة وثمانية عقود مدببة الشكل العقدان اللذان فى أول البائكة على يسار الواقف أمامها فى حالة جيدة من ناحية الإزدواج، أى من عقدين مزدوجين متتابعين، أما بقية عقود البائكة فقد أزيلت العقود البارزة فيها وبقيت العقود الغائرة تعطى فكرة واضحة وجلية عن تصميم هذه العقود ودراستها وهو ما سأتحدث عنه تفصيلياً عند دراسة العناصر المعمارية الخاصة بالمسجد.

رواق القبلة : (لوحة ٧ ، ٨)

يقع رواق القبلة فى الجهة الشمالية من المسجد، ويشغل مساحة مستطيلة

تمتد، من الشرق للغرب بمقدار (٥٠ر٣١م) ومن الشمال إلى الجنوب (٢٠ر١٦م)، ويشرف على صحن المسجد من خلال بائكة تتكون من ثمانية أعمدة وسبعة عقود مدببة أكبرها إتساعا وإرتفاعا العقد الأوسط الذى يفتح على المحراب مباشرة، ورواق القبلة من الداخل فى حالة جيدة من الحفظ ويدخل إليه من خلال خمسة مداخل فى الضلع الجنوبى ويقع الأوسط منها على محور المحراب فى البلاطة الوسطى، ويتكون التخطيط المعمارى لرواق القبلة وقت إنشاء الجامع من أربع بلاطات بواسطة أربعة صفوف من الأعمدة والدعائم المرتفعة تعلوها تيجان حديثة مستطيلة ومربعة يرتكز عليها مباشرة سقف رواق القبلة، ومن أهم مايتميز به هذا الرواق اشتماله على مشهد فى الزاوية الشمالية الغربية يعرف بمشهد السيدة بنت أحمد(٤).

وتفصل امتداد صفوف الأعمدة والدعائم فى الوسط أمام المحراب البلاطة الوسطى التى تمتد من البائكة الرابعة حتى جدار القبلة وذلك وقت إنشاء المسجد وهى أكثر سعة من البلاطات الموازية وأعمدتها ودعائمها عمودية على جدار القبلة تبدأ من جانبى المحراب وتنتهى بنهاية البلاطة عند حدود البلاطة الخامسة وذلك بعد إضافة البلاطة الخامسة بواسطة البائكة التى تشرف على الصحن وسقف بلاطة المجاز أعلى من سقف رواق القبلة، وهذا السقف الخشبى المسطح يرتكز على تيجان مربعة تعلو الأعمدة والدعائم وقد كان السقف مغطى بالزخارف النباتية والهندسية التى تغيرت فيما بعد ولايزال سقف البلاطة الوسطى يحتفظ بالأجزاء القديمة من السقف الأصلى وزخارفه ويتميز سقف البلاطة الوسطى بوجود المصندقات الخشبية ذات الزخارف المختلفة والملونة ويعود تاريخها إلى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى أى إلى تاريخ عمارة المسجد أما بقية السقف فى رواق القبلة فيعود إلى عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م(٥).

وهذه الأعمدة والدعائم المرتفعة التى تحمل عوارض السقف مدهونة باللون الأبيض تعلوها تيجان مربعة ذات لون أحمر وردى وهذه العوارض الخاصة بالسقف وضعت حديثاً فى عملية تجديد للمسجد تمت سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م لتحل محل عوارض السقف القديم[٦].

المحراب : (لوحة ٩ ، ١٠)

محراب المسجد آية من آيات الجمال والفن المعمارى اليمنى يقع فى الوسط من الجدار الشمالى لرواق القبلة والواقع أن هذا المحراب غاية فى الدقة والإتقان، وهو عبارة عن كتلة جصية مستطيلة الشكل مفضضة ومذهبة يشغل أوسطها تجويف المحرب الا أن الدهان قد غطى كثيراً من زخارفه وكتاباته القديمة وتبلغ سعة كتلة المحراب (٨٥ر٢م) وتجويفه (٨٥سم)[٧].

ويقوم تجويف المحراب فى هذه الكتلة الجصية على عمودين لهما تيجان صغيرة مزخرفة بالأوراق الثلاثية والتفريعات النباتية وقد زخرف تجويف المحراب بوحدة نباتية مكررة قوام العنصر الزخرفى فيها الورقة الخماسية المثقوب فصها الأوسط.

ويعلو العمودين عقد المحراب، وهو عقد مدبب تتوسطه قطاعات من شكل الصدفة أو المحارة، ويحدده إطار مزخرف بأشكال هندسية تتوسطها مناطق ورود صغيرة بارزة، ويعلو عقد المحراب أيضا عقد آخر محمول على عمودين يزدان بسلسلة من العقود المدببة الصغيرة بالإضافة إلى زخرفته بالزخارف الهندسية والنباتية وقد زخرف باطنه كله بالورقة النباتية الخماسية ويحيطه شريط من الكتابة الكوفية نصها :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم أقبل على ربك وكن من الساجدين ولاتكن من الغافلين وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾.

ويكتنف المحراب من الناحيتين شريط يبدأ على يسار المحراب يقرأ منه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» ثم يستمر الشريط على الإطار العلوى فى كتلة المحراب فتبدأ الكتابة بـ ﴿وأقام الصلاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك﴾ ثم يستمر هذا الشريط على الإطار الأيمن على كتلة المحراب فتبدأ الكتابة بـ ﴿أن يكونوا من المهتدين. . .﴾ ثم الآية الخاتمة من سورة الأعراف ﴿إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾[٨]. وكذلك الآية الخاتمة من سورة الحجر ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾[٩].

المنبر (١٠) (لوحة ١١)

أما منبر المسجد فيرجع إلى منتصف القرن السادس الهجرى / القرن الثانى عشر الميلادى وقد طليت حشواته بطلاء مختلف الألوان يزدان بزخارف نباتية وهندسية غاية فى الدقة والإبداع فالزخارف النباتية ممثلة فى الأوراق الثلاثية الكأسية أما الزخارف الهندسية فتشمل أجزاء من الطبق النجمى المكون من الحشوات المجمعة وسأتناول هذه الزخارف تفصيلياً عند التعرض للعناصر الزخرفية.

ويوجد كرسى من الخشب برواق القبلة به كتابات على جانبيه تقرأ «أمر بعمل هذا الكرسى سيدى بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر بن عبدالله بن على بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين وذلك بسدانة الفقيه الصالح محمد بن عبد الله الهندى غفر الله لمن اعان فى عمل هذا الكرسى عمل الفقير إلى الله تعالى الحاج عبد الله بن الحاج حسن النجار ويؤرخ بعام ١٢٠٣هـ[١١].

الأروقة الجانبية :

أما الأروقة الثلاثة الأخرى فيلاحظ أن الرواقين الشرقى والغربى يتكون كل منهما من بلاطتين ويلاحظ فى الرواق الغربى أن المعمار اليمنى قد استقطع منه

مساحة مستطيلة الشكل فى الناحية الجنوبية عبارة عن ردهة محجوبة على البلاطة الأولى جهة الصحن من هذا الرواق وتستخدم حاليا كمعلامة للطلبة لتحفيظ القرآن الكريم (لوحة ٥/ ١٢).

وكان إرتفاع العقود وإتساع فتحاتها فى كل من الرواقين الشرقى والغربى متساويا، كما كان مسار العقود عموديا على اتجاه جدار القبلة، أما الرواق الجنوبى فيتكون من بلاطة واحدة ويلاحظ أن عقوده تتميز بأنها أكثر إرتفاعا من عقود الرواقين الشرقى والغربى ويشرف هذا الرواق على الصحن من خلال بائكة تسير عقودها موازية لجدار القبلة.

المداخل : (لوحة ١٣)

يشتمل جامع جبلة على ثلاثة مداخل بكل من الجدران الثلاثة الشمالية والشرقية والغربية وتفصيل ذلك على النحو الآتى:

المدخل الشمالى مدخل بارز وكتلة هذا المدخل قسمت إلى قسمين، القسم الشمالى هو المدخل الذى يؤدى إلى الخارج وتعلوه قبة مخروطية، ثم مدخل يؤدى إلى القسم الثانى جاء سقفه مسطحا، وتفتح فيه نافذتان جهة الشرق وباب جهة الغرب والمدخل الذي يفتح فيه إلى الجنوب يؤدى إلى ظلة القبلة، أما أبعاد هذا المدخل فهى من الشرق إلى الغرب (٦٠ر٥م) ومن الشمال إلى الجنوب (٣٦ر٤م)، أما أبعاد الحجرة التى تلى المدخل فهى من الشرق إلى الغرب (٤٥ر٥م) ومن الشمال إلى الجنوب (٥٥ر٦م).

المدخل الشرقى : يفتح هذا المدخل على الممر الشرقى ويؤدى إليه درج طويل فى أسفله مدخل يفتح إلى الشرق تسقفه قبة وعدد درجات السلم ٣٢ درجة.

المدخل الغربى : يفتح هذا المدخل على الممر الغربى وهذا المدخل يؤدى إلى الصحن من خلال الرواق الغربى وتسقف هذا المدخل الغربى قبة.

المطاهير والحمامات : (لوحة ١٤)

يوجد فى منتصف الرواق الجنوبى باب يؤدى إلى المطاهير التى تحيط بالبركة ويمتد ممر طويل من أقصى الشمال بجوار جدار القبلة حتى طرف المطاهير وفى هذا الممر الطويل الطولى توجد ثلاث قباب على أبعاد غير متساوية القبة الأولى تسقف المدخل المؤدى إلى الصحن والذى تقدم ذكره عند ذكر المداخل الرئيسية للجامع، والقبة الثانية عند المدخل المؤدى إلى البركة، أما القبة الثالثة فهى عند مدخل يؤدى إلى المطاهير من الغرب كذلك يمتد ممر طويل آخر من جهة الشرق حتى يلتقى بالممر الجنوبى الذى يؤدى إلى المطاهير مع ملاحظة أن هذا الممر الذى يمتد من الشرق لا يشتمل على قباب وهو أقصر من الممر الذى يمتد من الغرب.

مئذنتا المسجد : (لوحة ١٥ ، ١٦)

يشتمل المسجد على منارتين فى الناحية الجنوبية إحداهما فى الناحية الشرقية والأخرى فى الناحية الغربية.

أما المئذنة الشرقية (لوحة ١٥) فتفتح على الرواق الشرقى من المسجد وتتكون هذه المئذنة من قاعدة حجرية مربعة مرتفعة طول ضلعها (٤٫٦٠م) ويلى القاعدة المربعة شرفة مربعة بكل ركن من أركانها شرافات مدرجة، يعلو هذه الشرفة بدن مثمن ويفتح فى ضلعها الشمالى باب صغير، ويقوم عليها بدن من ستة عشر ضلعا من الأجر يزدان بالزخارف الجصية على شكل صفوف تستدير حول البدن من أشكال هندسية بعضها على شكل حرف اللام ألف المقلوب وأشكال مستطيلة وخطوط زجزاجية، يعلو هذا البدن حوض (شرفة) ويرتكز على هذا البدن مثمن قصير به فتحات معقودة من أعلى وتنتهى المئذنة من أعلى بقبة صغيرة مضلعة الشكل.

ويذكر د. مصطفى شيحه أنه يبدو على هذه المئذنة أنها جددت مؤخراً بالإضافة إلى جود تاريخ أعلى المدخل المؤدى إليها يرجعها إلى عام ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) حيث يقرأ «لا إله إلا الله محمد رسول الله جددت هذه المنارة فى

شهر المحرم سنة سبع وأربعين وسبعمائة» ثم نص التجديد «جددت فى زمن الحاج عبد الله باسلامة من مدينة إب»[١٢] وهذا النص الذى يعلو المدخل المؤدى إلى هذه المئذنة الشرقية على عتب مكتوب بخط النسخ فى ثلاثة أسطر.

المئذنة الغربية (لوحة ١٦) : أما المئذنة الغربية بوضعها الراهن تبدو عليها مظاهر القدم أكثر منها على المئذنة الشرقية فيما عدا إستخدام اللون الأبيض فى طلائها[١٣] وهى تقع فى الزاوية الجنوبية الغربية، : تقوم المئذنة الغربية على قاعدة مربعة يعلوها بدن قصير مثمن طول ضلعه (٤,٣٥م) يرتكز عليها بدن مستدير من ستة عشر ضلعا يعلوه بدن آخر مستدير ولايختلف هذا التصميم فى القاعدة عن المئذنة الشرقية فيما عدا الشرافات التى تعلو القاعدة المربعة فى المئذنة الشرقية والبدن ذو الستة عشر ضلعا يزدان بحنايا صماء ويعلو هذه الحنايا بدن مستدير يزدان بحنايا أخرى صماء ولكنها أقل طولا من الحنايا السابقة وأعلى الحنايا الصماء التى تتميز بإستطالتها توجد كلمة الله.

وفوق هذا البدن المستدير نجد بدنا مستديراً آخر ثم شرفة تقوم على صفين من المقرنصات ويعلو هذه الشرفة بدن مثمن تتوجه قبة ضحلة.

وقد استخدم الحجر فى البدن المثمن الذى يعلو القاعدة المربعة، ثم استخدم الآجر فى البدن المثمن الذى يعلو البدن السابق المبنى من الحجر فوق القاعدة ويحتوى جامع صنعاء الكبير على مئذنتين فى الناحية الجنوبية واحدة فى الناحية الشرقية والثانية فى الناحية الغربية.

وبعد هذا الوصف المعمارى لجامع السيدة بنت أحمد فإنه يمكن الإشارة إلي بعض الملاحظات التى تختص ببعض العناصر المعمارية فى هذا المسجد.

الأعمدة والدعائم :

تعتمد التغطيات فى جامع السيدة بنت أحمد على الأعمدة المثمنة والمسدسة والدعامات المربعة والمستطيلة كأساس للبناء، والدعائم المستطيلة توجد فى البلاطة

العمودية على المحراب (بلاطة المجاز) والبائكة الرابعة التى كانت تطل على الصحن.

ودعائم الصف الأول فى رواق القبلة مربعة الشكل وتوجد أيضا دعامة مستطيلة، أما الصف الثانى فكله من الأعمدة وكذلك الصف الثالث فيما عدا دعامتين مستطيلتين تحفان ببلاطة المجاز فى شكل رأسى على نمط امتداد بلاطة المجاز، أما أعمدة بائكة رواق القبلة التى تطل على الصحن فيقل سمكها عن بقية أعمدة المسجد التى تحمل عقوداً مما يرجح إضافتها فى وقت لاحق على بناء المسجد، أما أعمدة الرواق الشرقى فتشتمل على قواعد مكعبة الشكل أما فى الرواق الغربى فالأعمدة ذات قواعد مسطحة ومعظم تيجان هذه الأعمدة مربعة الشكل (لوحة ١٧, ١٨).

العقـــود :

يلاحظ فى مسجد السيدة بنت أحمد خلو رواق القبلة من وجود العقود بينما يقتصر وجودها فى الرواق على البائكتين اللتين تطلان على الصحن بينما استخدمت العقود فى بقية الأروقة الثلاثة الجانبية للعقد الشرقية والغربية والجنوبية.

ويلاحظ استخدام المعمار اليمنى بشكل واضح العقد المدبب وقد اختلفت عقود البائكات المطلة على الصحن فى هذا المسجد وهذا إنما نشأ نتيجة الإضافات والتجديدات التى طرأت على المسجد على مر العصور وتمثل الإختلاف فى الأرتفاع وأيضا فى أشكال هذه العقود فقد اتخذت العقود فى البائكة الرابعة الشكل المدبب ذو المركزين وكذلك الحال فى عقود البائكة التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن ولكنها لاتصل إلى العقود المدببة التى شيدت عند بناء المسجد والتى تعلو البائكة الرابعة والعقود فى هذه البائكة من إطارين حتى إننا نلحظ أنهما أقل فى التصميم المعمارى من عقود الرواق الجنوبى ذات الإطارين.

وعقود بائكة الرواق الجنوبى غاية فى الدقة والإتقان وتمثل مرحلة متطورة للغاية عن تلك المدببة ذات المركزين التى وجدت فى جامع السيدة بنت أحمد فى البائكة الرابعة من رواق القبلة والتى كانت تشرف على الصحن فقد ازداد دبب عقود الرواق الجنوبى وضوحا وإنبطحت أكتافها وإتخذت أطرافها شكل الخطوط المستقيمة وهذه العقود بأشكالها هذه تقترب كثيرا من العقود الفاطمية ذات الأربعة مراكز، وجاءت عقود الرواق الشرقى والرواق الغربى وعقود المحراب الرئيسى فى هذا المسجد على هذا النمط وهو الأمر الذى سأتناوله بالتحليل عند الدراسة المقارنة بين العقود الفاطمية والعقود التى ظهرت فى عصر الدولة الصليحية فى جامع ومشهد السيدة بنت أحمد لأهمية هذه العقود فى العمارة اليمنية(١٤) وأهميتها فى العمارة الفاطمية فى مصر.

القباب والأسقف الخشبية : (لوحة ١٩ ، ٢٠ ، ٢١)

لعل أهم ما يميز جامع السيدة بنت أحمد وسيلة التغطية وكانت غالبا من سقوف خشبية مسطحة وضعت مباشرة على أعمدة ودعائم رواق القبلة وعلى العقود فى الأروقة الجانبية وازدانت الأسقف الخشبية بزخارف خشبية غاية فى الدقة والإبداع وفق أسلوب فنى وصناعى ظهر فى بلاد اليمن مبكرا عرف بالمصندقات الخشبية(١٥).

ويتميز سقف رواق القبلة فى الجامع بإرتفاع سقف بلاطة المجاز عن باقى سقف رواق القبلة وإلى جانب الأسقف الخشبية البديعة التى ظهرت فى بلاد اليمن فى فترة مبكرة والتى تعتبر من أهم مميزات العمارة الدينية اليمنية ممثلة فى المساجد توجد القباب، وقد عرفت بلاد اليمن أسلوب تغطية المسجد بالقباب منذ فترة مبكرة، وقد كانت وسيلة التغطية الأساسية فى المساجد اليمنية هى الأسقف الخشبية التى تعتبر الحليات الحقيقية لهذه المساجد وقد حملت هذه السقوف على أعمدة بعضها تعلوه عقود، والآخر تعلوه عوارض خشبية ترتكز عليها الأسقف الخشبية.

وقد جمع جامع السيدة بنت أحمد فى مدينة جبلة بين الأسلوبين أسلوب الأسقف المحمولة على أعمدة ودعامات مباشرة من خلال عوارض خشبية وذلك فى رواق القبلة وأسلوب الأسقف المحمولة على عقود تمتطى الأعمدة والدعامات وذلك فى الأروقة الجانبية.

أما القباب التى جاء ذكرها فى الدراسة الوصفية للمسجد والتى توجد فى الممر الغربى للمسجد وتلك التى تسقف البركة فهى مضافة فى عصور لاحقة على الجامع ضمن كثرة الإضافات والتجديدات الى لحقت بالمساجد اليمنية عبر العصور.

تطور عمارة المسجد في عصر الدولة الصليحية :

كانت بلاد اليمن قبل عصر الدولة الصليحية تزدان بكثرة مساجدها وقد ازدهرت حركة العمارة فى اليمن على يد الداعى على بن محمد الصليحى وماينسب للمعمار الصليحى من فضل فى عمارة المساجد فى اليمن هو إدخاله عنصر البلاطة الوسطى فى تخطيط جامع السيدة بنت أحمد وكذلك قبة البهو التى تتقدم بلاطة المجاز وبائكة رواق القبلة التى تشرف على الصحن وهذه التقاليد الجديدة والتى تشمل أيضا المدخل الذى فتح فى جدار القبلة إلى جانب ظهور العقود المدببة ذات المركزين والمتطورة عن العقود المدببة السابقة عليها فى المساجد اليمنية ثم العقود المدببة التى تقترب كثيراً من العقود الفاطمية فى مصر ذات الأربعة مراكز تعد من مميزات العمارة الصليحية فى اليمن.

أما من ناحية تخطيط المسجد فلم يكن للصليحيين طراز معمارى خاص بهم ولم تأت مساجدهم بجديد فمن خلال الوصف السابق لجامع السيدة بنت أحمد نلاحظ أنه استقى أصوله من طراز المساجد اليمنية السابقة عليه ممثلة فى الجامع الكبير بصنعاء وجامع الجند وجامع شبام كوكبان والجامع الكبير بزبيد والجامع الكبير فى مدينة إب وجامع ذى أشرق وقد بدأ هذا الطراز بصحن وظلات أولى فى جامع صنعاء ثم تطور بعد ذلك فأصبح عبارة عن صحن مكشوف تحيط به

لأروقة من جهاته الأربع أعمق هذه الأروقة وأكثرها إتساعا رواق القبلة مع ملاحظة أن بائكات رواق القبلة تمتد موازية لجدار القبلة وهو التخطيط المتعارف عليه فى مسجدالرسول صلى الله عليه وسلم فهذه المساجد تتشابه فى التصميم الداخلى مع بعضها إلى حد كبير.

ويبدو واضحا مدى التطور الذى طرأ على عمارة جامع السيدة بنت أحمد فى عصر الدولة الصليحية فلاتزال عناصره المعمارية شاهدة على تطور العمارة والفن فى عصر هذه الدولة فيعد جامع السيدة بنت أحمد أكثر تنسيقا متميزا ببلاطته العمودية على المحراب التى تتعامد عوارضها على جدار المحراب فى شكل حرف T.

والحق أنه عند التعرض لدراسة المساجد اليمنية السابقة لم نجد بها هذا العنصر وأعتقد أن بداية ظهور بلاطة المجاز فى المساجد اليمنية كان فى عصر الدولة الصليحية فى جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة.

رواق القبلة :

يتكون رواق القبلة فى مسجد السيدة بنت أحمد من العنصر الرئيسى الذى ينتج من تعامد البلاطة الوسطى التى تسير بشكل عمودى من خلال أعمدتها ودعائمها على البلاطة التى تتقدم المحراب والتى تسير أعمدتها بعوارضها موازية لجدار القبلة ولم يميز المعمار الصليحى البلاطة التى تتقدم المحراب عن بقية البلاطات فى رواق القبلة من حيث الإتساع ولكن جاءت بلاطة المجاز أكثر سعة من البلاطة التى تتقدم المحراب وكانت مساحة رواق القبلة مقسمة إلى بلاطات بواسطة صفوف من أعمدة ودعائم وعدد البلاطات فى رواق القبلة خمس بلاطات وقد أنشأت البلاطة الخامسة التى تشرف على الصحن فى زمن لاحق على إنشاء المسجد.

وتسير صفوف الأعمدة كلها فى رواق القبلة موازية لجدار القبلة وقد ميز المعمار اليمنى رواق القبلة فى البلاطة الخامسة جهة الصحن بأن أقام قبة تشرف على الصحن فى تاريخ لاحق على إنشاء المسجد.

وتخطيط رواق القبلة على هذا النمط يعد امتدادا للمساجد اليمنية التى شيدت قبل هذا المسجد من حيث تقسيم رواق القبلة إلى بلاطات تسير صفوف أعمدتها موازية لجدار القبلة وقد أدى وجود عناصر معمارية وافدة على هذا التخطيط والتى لم تكن موجودة فى المساجد اليمنية قبل ذلك إلى تغيير فى تفاصيل التخطيط العام بالنسبة لرواق القبلة.

الأروقة الجانبية : جاءت الأروقة الجانبية فى جامع السيدة بنت أحمد على نسق الأروقة الجانبية فى المساجد اليمنية السابقة، والواقع انه يوجد اختلاف فى عدد البلاطات فنجد على سبيل المثال فى الجامع الكبير بصنعاء أن الرواق الشمالى وهو رواق القبلة يتكون من خمس بلاطات وهو يتماثل تماما من حيث العدد ورواق القبلة فى جامع السيدة بنت أحمد.

أما الرواقان الشرقى والغربي فى جامع صنعاء فمن ثلاث بلاطات لكل منهما ويخالف هذا ماوجد فى جامع السيدة بنت أحمد حيث أن الرواقين الشرقى والغربى فى جامع السيدة بنت أحمد يحتوى كل منهما على بلاطتين.

أما الرواق الجنوبى فى جامع صنعاء فيحتوى على أربع بلاطات ولكن فى جامع السيدة بنت أحمد نجد الرواق الجنوبى يتكون من بلاطة واحدة ويرجع هذا الاختلاف بطبيعة الحال إلى أهمية جامع صنعاء الكبير وكثرة الإضافات التى لحقت به على مر العصور وقد بارك الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الجامع وأمر ببنائه هذا إلى جانب أن كبر مساحة جامع صنعاء وكثرة بلاطاته تتناسب تماماً مع الزيادة المطردة من حيث عدد المصلين فى مدينة صنعاء، أما مدينة جبلة فهى صغيرة مساحة وعددا إذا ما قورنت بمدينة صنعاء إلى جانب الطبيعة الجبلية التى تميز بها مدينة جبلة وانعكس هذا بطبيعة الحال على جامع جبلة الذى يقترب من مساحة جامع شبام كوكبان وجامع الجند. ولكن بصفة عامة فالتخطيط العام لهذه المساجد على نمط واحد من حيث وجود أروقة جانبية ثلاثة إلى جانب رواق

القبلة الشمالى فالمساجد تتشابه فى تصميمها الداخلى ولكنها تختلف من حيث التفاصيل.

وتسير عقود البوائك فى الرواقين الشرقى والغربى فى اتجاه عمودى على جدار القبلة ويقطع مسار بوائكها من أعلى مسار البائكة الموازية لجدار القبلة والتى كان يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن وهى البائكة الرابعة أى أن هذه البوائك العمودية تتعامد على مسار البائكة الرابعة.

الأعمدة والدعائم :

الأعمدة والدعائم من العناصر الأساسية التى اعتمد عليها المعمار اليمنى فى المساجد اليمنية فقد استخدمت الأعمدة والدعائم فى جامع السيدة بنت أحمد وحملت هذه الأعمدة والدعائم السقف مباشرة فى رواق القبلة بينما حملت فى الأروقة الأخرى عقودا.

وقد تأثر جامع السيدة بنت أحمد فى ذلك برواق القبلة فى جامع شبام كوكبان من حيث عدم احتوائه على عقود(١٦) وقد وجد هذا النظام أيضا فى تغطيات رواق القبلة فى جامع ذى أشرق(١٧) وذلك من ناحية ارتفاع الأعمدة والدعائم إلى جانب أنها ليست ذات سمك كبير ثم حملها السقف مباشرة ويخالف هذا النظام الذى وجد فى جامع السيدة بنت أحمد ماوجد فى رواق القبلة فى جامع صنعاء وجامع الجند حيث حملت الأسقف على عقود محمولة على أعمدة ذات سمك كبير(١٨).

المآذن :

تميزت المئذنة اليمنية إلى حد ما عن غيرها من مآذن العالم الإسلامى لذلك فهى على جانب كبير من الأهمية ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى زخرفتها بالزخارف البديعة بمادتى الطابوق والجص فى أشكال يغلب عليها الطابع الهندسى بالإضافة إلى الكتابات والزخارف النباتية.

والمئذنة تتكون عادة من عدة طوابق فالقاعدة مربعة الشكل عادة ومشيدة من مادة الحجر (حجر الحبش) وتكون عادة مرتفعة يقوم علها دورات عدة أو طوابق مستديرة مزدانة من الخارج بأشكال المقرنصات والدلايات وإن كان يغلب أيضا إستخدام العقود والمحاريب والتجاويف والحنايا فى زخرفة طوابقها وفى أحيان يقسم البدن إلى ستة عشر ضلعا بواسطة الخطوط الرأسية السميكة من مادة الجص ويتوجها من أعلى شكل مقبب وفى معظم الأحيان تكون المئذنة ملحقة بالمسجد وفى أحيان أخرى تنفصل عن البناء(١٩).

ومن المرجح تأثر مسجد السيدة بنت أحمد فى بناء مئذنتيه بجامع صنعاء الكبير فى التكوين المعمارى والزخرفى الذى يربط مآذن بلاد اليمن بوجه عام وأود أن أشير إلى أن مئذنتى جامع صنعاء قد اختلفتا عن مئذنتى جامع السيدة بنت أحمد فى تحديد موقعهما وتناسقهما فقد شيدت المئذنة الشرقية فى الجامع الكبير فى الركن الجنوبى الشرقى للصحن وفى جامع السيدة بنت أحمد شيدت المئذنة الشرقية فى الركن الجنوبى الشرقى للمسجد عند التقاء الرواق الشرقى بالرواق الجنوبى.

أما المئذنة الغربية فى جامع صنعاء فقد شيدت فى الركن الجنوبى الغربى للرواق الغربى ملاصقة لجدار المسجد الغربى وفى جامع السيدة بنت أحمد شيدت المئذنة الغربية فى الركن الجنوبى الغربى للمسجد عند التقاء الرواق الغربى بالرواق الجنوبى ولم تكن كل المساجد اليمنية تشمل مئذنتين بل منها ما يحتوى على مئذنة واحدة ففى جامع الجند مئذنة واحدة فى الجهة الجنوبية من الرواق الغربى وفى الجامع الكبير بمدينة شبام كوكبان توجد المئذنة فى الناحية الجنوبية الشرقية وأغلب الاحتمال أنها ترجع إلى فترة متأخرة(٢٠).

وتقع مئذنة الجامع الكبير بذمار فى الناحية الغربية أما مئذنة جامع إب فتقع فى الجهة الجنوبية ومعظم هذه المآذن مجددة فى فترات لاحقة على إنشائها.

المطاهير والحمامات :

ومن مستلزمات الإسلام التى تتبع فرائض الصلاة فريضة الوضوء لذ فقد

كانت المساجد الأولى تزود بميضأة من حوض وأحياناً بنوع من الأنابيب أو القنوات تحمل الماء إلى المصلين ليقوموا بفريضة الوضوء ولم تصلنا بقايا من تلك الأنواع ترجع إلى الفترة المبكرة ويبدو أنها لم تكن تحظى بعناية فى التصميم أو البناء فسرعان ماكان يتطرق إليها الخراب بسبب جريان الماء فيها وتسرب الرطوبة إليها وكانت تلك الوحدات توضع فى مكان يلحق بالمسجد(٢٢).

وتشغل المطاهير والحمامات والبرك (الميضأة) أهمية معمارية هامة فى المساجد اليمنية وتختلف عن المياضىء فى معظم البلاد الإسلامية خاصة المطاهير والحمامات القديمة، وفى جامع صنعاء تقع المطاهير والحمامات فى الناحية الجنوبية الغربية خارج المسجد وفى جامع الجند تقع المطاهير والحمامات الخاصة به فى الناحية الشرقية خارج جدران الجامع أما فى الجامع الكبير بمدينة شبام كوكبان فتقع المطاهير والحمامات الملحقة بالجامع فى الناحية الجنوبية وقد تميزت مطاهير وحمامات جامع صنعاء الكبير بالبساطة من حيث التكوين المعمارى ثم اهتم بها المعمار اليمنى فى جامع شبام كوكبان فى الناحية الجنوبية وفى الجامع الكبير بزبيد حيث يلاحظ وجود فتحة فى الناحية الغربية من الجدار الجنوبى تؤدى إلى الحمامات والمطاهير القديمة بالمسجد والتى تتوسطها بركة المياه.

وفى جامع الأشاعر بزبيد توجد الحمامات والمطاهير الملحقة بالمسجد فى الناحية الشرقية وفى جامع ذمار فى الناحية الجنوبية(٢٣).

وتوجد هذه المطاهير فى جامع السيدة بنت أحمد فى الناحية الجنوبية وهى بذلك تعد امتداداً لما فى جامع شبام كوكبان وفى الجامع الكبير بذمار، والحمامات والمطاهير فى جامع السيدة بنت أحمد تمثل مرحلة متطورة وعمارة مركبة من خلال تكوينها المعمارى حيث اهتم بها المعمار اليمنى اهتماماً كبيراً ولا أعتقد أنها من إنشاء المسجد ولكنها عمارة لاحقة فى عصور تالية على إنشاء المسجد ضمن كثرة الإضافات فى المساجد اليمنية على مر العصور.

مشهد السيدة بنت أحمد : (شكل ١٠) (لوحات ٢٢ ,٢٣ ,٢٤)

شيد الصليحيون نوعاً آخر من العمارة الدينية عرف بالمشاهد ويذكر المؤرخ اليمنى عمارة عندما تخلص الملك المكرم أحمد من سعيد الأحول بن نجاح وأخذ أمه من الأسر وقد كان ذلك فى زبيد مانصه «وأنزل المكرم رأس أبيه وعمه وبنى مشهدا عليهما وقد أدركت مشهد الرأسين»(٢٤).

ويذكر د. حسين الهمدانى نقلاً عن إدريس عماد الدين فى عيون الأخبار مانصه «أن الملك المكرم قد أمر لما بلغ المهجم فى ٤٦١هـ بحمل جثتى والده وعمه عبدالله بن محمد الصيلحى فى تابوتين إلى زبيد ثم سار بهما إلى صنعاء فدفنهما إلى يمين الجبانة العامة وأمر ببناء مشهد جامع لهما»(٢٥).

ويدل ذلك على مدى اهتمام الملك المكرم أحمد بن على الصليحى بهذا النوع من العمائر الدينية تخليدا لوالده الداعى على بن محمد الصليحى.

ولم يصل إلينا من مشاهد الدولة الصليحية غير مشهد السيدة بنت أحمد وهذا المشهد بحالة جيدة من الحفظ عبارة عن بناء شبه مربع فى الزاوية الشمالية الغربية بالمسجد طول الجدار الشرقى فيه (٣٫٠٥م) والجدار الغربى (٣٫٠٠م) أما الجداران الشمالى والجنوبى فهما (٣٫٢٥م).

والمدخل الرئيسى للمشهد يقع فى الناحية الجنوبية ثم يؤدى باب صغير مغلق فى الناحية الغربية إلى التابوت الأصلى الذى يوجد به الجثمان وتزخرف الواجهة الشرقية وكذلك الواجهة الجنوبية التى بها مدخل المشهد زخارف نباتية ونصوص قرآنية بالإضافة إلى الزخارف الهندسية فتزدان الواجهة الشرقية بأربع دخلات مجوفة معقودة بعقود صغيرة محمولة على أعمدة صغيرة على هيئة أربعة محاريب مجوفة ارتفاع الدخلة (١٫٣٠م) وسعتها (٦٠سم) تتوسطها منطقة زخرفية أشبه بالبخارية الكبيرة من أعلى بها زخارف ومن أسفل تشتمل على إطار مستطيل يقرأ عليه «بسم الله الرحمن الرحيم وان المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحد».

هذا ويلاحظ بداية الكتابات الكوفية والنسخية من الواجهة الشرقية للمشهد والتي تزدان بها الواجهة الشرقية حيث الأشرطة الكتابية لآيات من القرآن الكريم بالخطين الكوفى والنسخى وتستمر هذه الكتابات أيضا على الواجهة الجنوبية للمشهد وترجع هذه الكتابات الكوفية إلى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى على مهاد من الزخرفة النباتية وتقرأ الآيات القرآنية المنفذة بالخط الكوفى كالتالى «بسم الله الرحمن الرحيم كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور الحمد لله»(٢٦).

والكتابات التى نفذت بالخط النسخى تقرأ «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا إله إلا هو فأدعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين. قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى من البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين صدق الله العظيم» والشريط الذى يحتوى على الكتابات الكوفية أسفل الشريط الذى يحتوى على الكتابات النسخية وفى منتصف الشريط ذى الكتابات النسخية من الجهة الجنوبية لوحة مستطيلة تعلو بإطارها عن مستوى الشريط الكتابى تتكون كتاباتها من أربعة أسطر يقرأ منها «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله....».

والكتابات النسخية منفذة على أرضية حمراء اللون وتعد من التجديدات التى طرأت على المشهد أما الكتابات الكوفية فهى ترجع إلى الفترة التى أنشىء فيها المشهد ويتوسط الواجهة الجنوبية للمشهد المدخل الخشبى الصغير والذى عليه بعض الآيات القرآنية فعلى إطار مدخل الباب يقرأ «لمثل هذا فليعمل العاملون بسم الله الرحمن الرحيم وقال الشاعر ومنبر شيد للآذان للجمعة الغراء وللعيدين وتأريخه نصر من الله وفتح قريب».

وأيضا على الإطار الخشبى للباب كتابة نصها «وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى» ويكتنف هذا المدخل من الناحيتين دخلة معقودة بعقد مدبب محمولة على عمودين صغيرين وتزدان واجهتا المشهد بالدخلات وعددها أربع دخلات فى الواجهة الشرقية على نحو متناسق أسفل الشريط الكتابى الكوفى وفى الواجهة الجنوبية نجد أن الفتحتين تقعان عن يمين ويسار البوابة أيضا على نحو متناسق ويحيط بهذه الدخلات زخارف جصية بديعة التكوين.

وترتفع العقود المدببة لهذه الدخلات على أعمدة صغيرة لاتيجان لها وتختلف عمق هذه الدخلات إذ بينما نجد الدخلة الوسطى فى الواجهة الشرقية قد قعرت بشكل عميق فإن الدخلات المحيطة بذلك قد ظلت مسطحة.

وقد شهد العصر الفاطمى الكثير من المدافن ذات القباب لاسيما فوق قبور آل البيت وقد أطلق عليها إسم المشاهد وقد إختلف الآثاريون بشأن تسمية هذه المدافن بالمشاهد(٢٧). ولما كان أهل مصر يأتون لرؤية مدافن آل البيت للزيارة والتبرك فقد عرفت بالمشاهد أسوة بمشاهد الأئمة فى العراق ولم تقتصر فقط هذه التسمية على مدافن آل البيت سواء فى العراق أو فى مصر وإنما أطلقت أيضا على مدافن العلماء والشيوخ والصالحين التى يتردد عليها الناس من أجل الزيارة والتبرك(٢٨).

وينطبق ذلك بطبيعة الحال على مشهد السيدة بنت أحمد ومشاهد الصليحيين المندثرة، أما ما ذكره بعض علماء الآثار من أن المشاهد أقيمت فى الفترة التى أعقبت الشدة المستنصرية على يد الوزراء وكبار الموظفين لاستعادة الاحترام والرهبة التى كانت للخلفاء قبل حدوث الشدة المستنصرية(٢٩)، فقد جاء فى ثنايا وبطون الكتب ماينفى هذا تماماً ويؤكد بما لايدع مجالاً للشك وجود المشاهد فى بداية العصر الفاطمى فى مصر فقد ذكر المقريزى ما نصه «قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله فى يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة»(٣٠).

وذكر ابن دقماق مانصه «هذه المشاهد مدافن الأشراف وهى التى بناها الحاكم وهى بين مصر والقاهرة»(٣١). وذكر ابن تغرى بردى بشأن ركوب الخلفاء الفاطمية ما نصه «أن الخليفة المعز لدين الله إذا ركب ركب الوزير وراء الخليفة فى أقل جمع فيشق القاهرة إلى جامع ابن طولون إلى المشاهد»(٣٢).

وهذه النصوص التاريخية كلها تؤكد وجود بناء المشاهد فى مصر فى بداية حكم الفاطميين وقد عرفت بلاد اليمن لفظة المشهد أيضا فقد ذكره المؤرخ اليمنى عمارة وذكر أنه أدرك مشهد الرأسين فى زبيد وأغلب الظن أن بلاد اليمن عرفت المشاهد فى القرن الخامس والسادس للهجرة أسوة بمشاهد آل البيت فى مصر أو أن المشهد عرف فى بلاد اليمن أسوة بمشاهد الأئمة فى العراق وعلى ذلك فيكون المشهد لفظة ومكانا قد عرف فى اليمن ربما منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى أى قبل وجود الفاطميين فى بلاد المغرب مع مقدم الداعى ابن حوشب والداعى على بن الفضل من الكوفة حيث مشاهد الأئمة.

هوامش وتعليقات الفصل السادس

(١) عمارة اليمنى : المفيد، ص ١٤٢.

(٢) ما ذكره القاضى محمد الأكوع هنا جاء فى النسخة المطبوعة بإخراج د. حسن سليمان محمود من مفيد عمارة وهذا يجانبه الصواب حيث أنه من الثابت أنه عند إنتقال السيدة بنت أحمد إلى جبلة أمرت ببناء هذا المسجد وكان ذلك فى أعقاب مقتل الداعى على بن محمد الصليحى وإنتقال الملك المكرم أحمد بن على إلى جبلة ٤٦٠هـ لذلك فإنى أعتقد أن المسجد شيد فى هذا العام.

(٣) بربارة فنستر : تقارير أثرية، ص ٤٥.

(٤) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٦٢.

(٥) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٦٢.

(٦) بربارة فنستر : تقارير أثرية، ص ٥٦.

(٧) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٦٢.

(٨) سورة الأعراف آية رقم ٢٠٦.

(٩) سورة الحجر آية رقم ٩٩، أنظر : بربارة فنستر : تقارير أثرية، ص ٥٧.

(١٠) يذكر د. ربيع خليفة أن منبر جامع السيدة بنت أحمد تأثر فى تكوينه العام بمنبر جامع ذمار ويظهر هذا التأثير فى شكل باب المقدم والسياج وجلسة الخطيب وكذلك تقسيم زخارف الريشة والمنطقة التى تقع أسفل جلسة الخطيب تقسيما هندسيا يتمثل فى إستخدام حشوات مربعة ومثلثة الشكل وأخرى زخرفة المفروكة، انظر :

د. ربيع حامد خليفة : منبر خشبى نادر فى الجامع الكبير فى مدينة ذمار، مجلة الأكليل - العدد الأول - السنة السادسة، صنعاء ١٤٠٨ / ١٩٨٨م ص ص ١٠٢ - ١١٠.

(١١) ربيع القيسى وصباح الشكرى : دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية فى شطرى القطر اليمانى، بغداد - ١٩٨١م، ص ٧٦.

(١٢) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمار، ص ٦٤.

(١٣) د. مصطفى شيحة : مدخل، ص ٦٤.

(١٤) العقود فى العمارة اليمنية الدينية : إستخدم المعمار اليمنى فى جامع صنعاء الكبير عقودا نصف دائرية وقد حملت هذه العقود على أعمدة ودعائم وبعض هذه العقود مدبب تدبيباً خفيفاً.
واستخدمت العقود المدببة فى جامع الجند فى رواق القبلة والأروقة الجانبية حيث انتشر العقد المدبب فى هذا المسجد ثم تطور شكل العقد المدبب فى جامع شبام كوكبان وأصبح العقد المدبب فى هذا الجامع يأخذ شكلا مدببا مركباً، وقد أخذ هذ العقد المدبب فى الإتساع فى الجامع الكبير فى مدينة إب ومسجد ذى أشرق وإستمر التطور قائما فى عصر الدولة الصليحية فى جامع السيدة بنت أحمد أنظر :
د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٢٢.

(١٥) المصندقات الخشبية : سقف مكون من عوارض خشبية سميكة متقاطعة مؤلفة من مساحات صغيرة ومربعة أنظر:
د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ١٤٣.

(١٦) يتكون تخطيط رواق القبلة فى جامع شبام كوكبان من أربع بلاطات بواسطة أربعة صفوف من الأعمدة المرتفعة وتقوم على هذه الأعمدة والتيجان العوارض الحاملة لسقف رواق القبلة والأعمدة هنا ذات ارتفاعات كبيرة وقد عوض المعمار اليمنى عدم وجود قواعد مربعة وكذلك عدم وجود عقود حاملة للسقف عن طريق إرتفاع الأعمدة بما يقرب إلى حد ما من أرتفاع الأعمدة والعقود فى جامع صنعاء الكبير وجامع الجند خاصة وأن أعمدة ودعائم جامع صنعاء كانت غير مرتفعة وكانت هذه الأعمدة فى جامع شبام كوكبان تقوم عليها تيجان مركبة من جزءين حيث ترتكز عليها العوارض

الحاملة للسقف وهو ما أثر تأثيراً كبيراً على رواق القبلة فى جامع السيدة بنت أحمد انظر عن جامع شبام كوكبان:

د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ص ٤٢ - ٤٣.

(١٧) رواق القبلة فى جامع ذى أشرق قسم إلى ثلاث بلاطات بواسطة صفين من أعمدة رفيعة مرتفعة عددها ثمانية فى كل صف تحمل السقف مباشرة والواقع أن سقف هذا الرواق يتماثل وما وجد فى جامع شبام وما وجد فى جامع السيدة بنت أحمد حيث حملت هذه الأعمدة الرفيعة المرتفعة المميزة لهذا الأسلوب فى التغطية الذى استخدم بندرة فى حمل السقف مباشرة.

(١٨) اختلفت الأعمدة والدعائم فى جامع صنعاء وجامع الجند فقد كانت ذات محيط كبير ترتكز عليها العقود الحاملة للسقف الخشبى فى رواق القبلة وغير مرتفعة على غير ما وجد فى جامع شبام وجامع السيدة بنت أحمد وجامع ذى أشرق وكانت هذه الأعمدة أسطوانية مستديرة تقوم على قواعد مربعة تحمل عقوداً مدببة فى جامع الجند وفى جامع صنعاء ارتكزت عليها العقود النصف دائرية والتى بعضها مدبب دبباً خفيفاً وهى مختلفة المقاييس وقليل منها على هيئة الدعائم وهذه الأعمدة غير المرتفعة والتى تتميز بالسمك الكبير وبأنها تحمل عقود ١ والمميزة لهذا الأسلوب فى التغطية الذى أستخدم بكثرة عن الأسلوب السابق فى حمل السقف.

أنظر عن جامع صنعاء والجند.

د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٢٩ - ٤٠.

(١٩) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٢٤.

(٢٠) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٤٤.

(٢١) د. مصطفى شيحة : مدخل، ص ٤٩.

(٢٢) د. فريد شافعى : العمارة العربية، ص ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢٣) أنظر عن هذه المظاهير والحمامات

د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ص ٤٠, ٤٤, ٤٨, ٥١, ٥٥.

(٢٤) عمارة اليمنى : المفيد، ص ١٣٤.

(٢٥) د. حسين الهمدانى : الصليحيون، ص ١٣٤.

(٢٦) سور آل عمران، آية ١٨٥.

(٢٧) انظر الإختلاف فى تسمية المدافن بالمشاهد : محمد حمزة : قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة - كلية الآثار (٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م) ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٢٨) محمد حمزة : قرافة المماليك، ص ٣٠٥.

(٢٩) د. فريد شافعى : العمارة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها - الرياض - ١٩٨٢م ص ٧٤.

محمد حمزة : قرافة، ص ص ٣٠٣ - ٣٠٨.

(٣٠) المقريزى : الخطط، مؤسة الحلبى - القاهرة، جـ١، ص ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٣١) ابن دقماق : الإنتصار لواسطة عقد الأمصار - الطبعة الأولى - بولاق ١٣٠٩هـ ص ١٢١.

(٣٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، جـ٤.

الآثار الدينية الصليحية
فى اليمن والآثار الدينية الفاطمية
فى مصر «دراسة مقارنة»

كان أول ماعنت به الملكة الحرة السيدة بنت أحمد عند إنتقالها إلى مدينة ذى جبلة إقامة المسجد الجامع بحيث يتوسط المدينة.

شيد هذا المسجد فوق تل مرتفع جدا فى وسط هذه المدينة التى يبلغ إرتفاعها حوالى (٦٧٤٥ قدما) فوق مستوى سطح البحر حيث كان يتم الصعود إليه من خلال عدد كبير من درجات السلالم التى تفضى عند نهايتها إلى دهليز طويل يمتد من الجنوب إلى الشمال وتطل واجهة هذا المسجد فى الجهة الشرقية على هذا الدهليز.

ويتضح من بناء هذا المسجد أن مدخله الشمالى على أرض مستوية ويبين ذلك عدم استواء الأرض التى شيد عليها حيث يرتفع فى الناحية الشرقية عن سطح الأرض بينما فى الناحية الشمالية جاء مستوياً مع سطح الأرض.

ويعتبر هذا المسجد أحد أمثلة المساجد أو الجوامع اليمنية التى شيدت فوق تلال مرتفعة وفق الطبيعة الجغرافية لبلاد اليمن كما فى الجامع الكبير بمدينة شبام كوكبان والمسجد الجامع فى مدينة إب ومسجد ذى أشرق وغيرها من المساجد اليمنية[1].

وهى سمة تتسم بها معظم مساجد بلاد اليمن نظراً لطبيعة بلاد اليمن الجبلية حيث تمثل المنطقة الجبلية مايزيد عن ثلاثة أرباع مساحة اليمن عامة[2].

لقد كان لطبيعة التضاريس أهمية خاصة فيم بنى من مساجد أو غيرها من منشآت دينية أخرى فى بلاد اليمن مما يجعلنى أعتقد بأن المساحة قد أسهمت بدور كبير فى هذه المنشآت الدينية من حيث تحكمها فى البناء فوق تل مرتفع عكس ما

كان متبعا فى عمارة المساجد وغيرها من المنشآت الدينية فى مدينة القاهرة فى العصر الفاطمى حيث المساحات المنبسطة التى يستطيع المعمار فيها أن يخطط دون أن تكون هناك عوامل تحدده بمساحة معينة فلو قارنا مثلا جامع السيدة بنت أحمد بمدينة جبلة على إعتبار أنه المسجد الرئيسى بالجامع الأزهر خلال العصر الفاطمى من حيث الموقع نجد أن جامع السيدة بنت أحمد يتوسط حاضرة الدولة الصليحية مدينة ذى جبلة وهو الأمر الذى وجد فى الجامع الأزهر الذى يتوسط حاضرة الدولة الفاطمية مدينة القاهرة وهما فى ذلك يعدان امتداداً للمساجد الجامعة الأولى فى صدر الإسلام كجامع البصرة (١٤هـ/ ٦٣٥م) وجامع الكوفة (١٧هـ/ ٦٣٨م) وجامع عمرو بن العاص (٢١هـ/ ٦٤٢م) (شكل ١١)[٣].

ويتشابه جامع السيدة بنت أحمد ومسجد تينملل[٤]. (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) من حيث الموقع وكذلك الحال فإن مسجد تينملل يتشابه ومسجد ومشهد الجيوشى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م من ناحية الوظيفة الحربية حيث تبين طبيعة الموقع الذى بنى عليه مسجد ومشهد الجيوشى تلك الوظيفة الحربية التى اكتسبها المسجد[٥].

وعلى الرغم من أن جامع السيدة بنت أحمد يتفق ومسجد الجيوشى ومسجد تينملل فى إقامته فوق تل مرتفع إلا أن الوظيفة التى شيد من أجلها جامع السيدة بنت أحمد وهى أداء الفرائض ونشر التعليم ونشر أوامر الدولة تختلف عن الوظيفة التى شيد من أجلها مسجد الجيوشى ومسجد تينملل[٦].

أما من حيث المساحة فإن جامع السيدة بنت أحمد يتميز بصغر مساحته، إذ ما قورن بالمساجد الجامعة التى شيدت فى مصر فى العصر الفاطمى والسابقة تاريخا لجامع ذى جبلة حيث يبلغ طول المسجد من الشمال إلى الجنوب (٣٧٫٤٥م) ومن الشرق إلى الغرب (٣١٫٥٠م) أما الجامع الأزهر فيبلغ طوله (٨٨م) وعرضه (٧٠م) وهو بذلك أكثر من ضعف مساحة جامع السيدة بنت أحمد.

أما جامع الحاكم بأمر الله فطول جدار القبلة فيه (١٢٠م) وطول كل من جداريه الشرقى والغربى (١١٣م) ومن ذلك نلحظ مدى إتساع المساحة الكلية لكل من جامعى الأزهر والحاكم بأمر الله وهو الأمر الذى استلزم من المعمار فى مصر وجود عناصر معمارية معينة تتناسب وطبيعة هذه المساجد فعلى حين نجد أن رواق القبلة فى جامع السيدة بنت أحمد يمتد بمساحة (٥٠ر٣١م) فى موازاة جدار القبلة ويمتد بعمق (٢٠ر١٦م) من جدار القبلة إلى الصحن نجد أن رواق القبلة فى الجامع الأزهر يمتد (٨٥م) فى موازاة جدار القبلة ويمتد بعمق (٢٥م) من جدار القبلة إلى الصحن.

أما الصحن فى جامع السيدة بنت أحمد فيمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار (٠٧ر٢٠م) ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار (٤٢ر١٧م) أما فى الجامع الأزهر فيبلغ امتداد الصحن من الشرق إلى الغرب (٥٩م) ومن الشمال إلى الجنوب (٤٣م) وبالتأكيد فإن الطبيعة الجغرافية التى تتميز بها بلاد اليمن والتى سبق الإشارة إليها والموقع الذى شيد عليه جامع السيدة بنت أحمد كان له أكبر الأثر فى مساحة الجامع وكذلك تفاصيله المعمارية.

التخطيط العام للمسجد :

يعد جامع السيدة بنت أحمد فى مدينة ذى جبلة (٤٦٠هـ : ٤٦١هـ/ ١٠٦٧م : ١٠٦٨م) امتداداً من حيث التخطيط العام للمسجد فى بلاد اليمن فى الخمسة قرون الأولى للهجرة والقائم على الصحن المكشوف الذى تحيط به الأروقة من جهاته الأربع وأعمق هذه الأروقة هو رواق القبلة وهو التخطيط الذى بدأ بسيطاً فى الجامع الكبير بصنعاء متأثراً فى نشأته وتطوره بالمسجد النبوى بالمدينة حيث تطور فيما بعد خلال فترة زمنية قصيرة إلى الصحن والأروقة الأربعة التى تحيط به.

وتخطيط جامع السيدة بنت أحمد مستطيل الشكل يبلغ امتداده من الشمال إلى الجنوب (٤٥ر٣٧م) ومن الشرق إلى الغرب (٥٠ر٣١م) يتكون من صحن

مكشوف مستطيل الشكل يبلغ امتداده من الشرق إلى الغرب (٢٠ر٠٧م) وامتداده من الشمال إلى الجنوب (١٧ر٤٢م) تحيطة الأروقة من جهاته الأربع وأعمق هذه الأروقة بطبيعة الحال رواق القبلة الذى يقع فى الناحية الشمالية والذى يبلغ امتداده (٣١ر٥٠م) فى موازاة جدار القبلة وبعمق (١٦ر٢٠م) من جدار القبلة إلى الصحن (شكل ٨، ٩).

يتكون رواق القبلة فى الجامع من خمس بلاطات بواسطة خمسة صفوف من الأعمدة والدعائم التى تعلوها عوارض خشبية يرتكز عليها السقف مباشرة وهذه البلاطات موازية لجدار القبلة من خلال صفوف الأعمدة والدعائم والعوارض الخشبية التى ترتكز عليها أما بلاطة المجاز فتسير عمودية من خلال اتجاه أعمدته ودعائمها بشكل عمودى وبصفة خاصة اتجاه الدعائم المستطيلة على جدار القبلة.

ويوجد بهذا الرواق فى الركن الشمالى الغربى مشهد السيدة بنت أحمد طول الجدار الشرقى فيه (٣٠ر٥م) والجدار الغربى (٣٠ر٠م) أما الجداران الشمالى والجنوبى فهما (٣ر٢٥م).

أما الرواق الشرقى فيتكون من بلاطتين تسير عقودهما عمودية على البلاطة الرابعة لرواق القبلة وقد انتظمت محاور الأعمدة فى هذه الرواق على الجدار الشرقى وهى ذات مسافات متساوية بينها وبين بعضها.

أما الرواق الغربى فيتكون من بلاطتين عقودهما عمودية على البلاطة الرابعة ويلاحظ عدم انتظام محاور الأعمدة مع الجدار الغربى مثلما هو موجود بجدار المعلامة القائمة فى الناحية الشرقية.

أما الرواق الجنوبى المقابل لرواق القبلة فيتكون من بلاطة واحدة تسير عقودها موازية لجدار القبلة (شكل ٨، ٩).

على أنه بمقارنة هذا المسجد بمساجد مدينة القاهرة فى العصر الفاطمى يلاحظ من الناحية المبدئية وضوح الأصول المعمارية الأولى التى تطورت إليها عمارة وتخطيط المسجد عامة منذ التطور الذى لحق بمسجد الرسول صلى الله عليه

وسلم بالمدينة إلا أنه يلاحظ أن الجامع الأزهر (٣٥٩ ـ ٣٦١هـ / ٩٧٠ـ ٩٧٢م)[٧]. جاء تخطيطه من صحن مكشوف تحيط به ثلاثة أروقة أعمقها رواق القبلة حيث لم يكن للمسجد وقت إنشائه رواق شمالى بل وجد بعد زيادة الخليفة الحافظ لدين الله بعد سنة (٥٢٦ هـ / ١١٢٩م) (شكل ١٢, ١٣).

وهو الأمر الذى اختلف عن تخطيط جامع السيدة بنت أحمد، أما تخطيط جامع الحاكم بأمر الله[٨]. (٣٨٠ : ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ : ١٠١٢م) فجاء على غير نمط تخطيط جامع الأزهر من حيث إحتوائه على صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة أعمقها رواق القبلة (شكل ١٤).

وهو الأمر الذى وجد فى جامع السيدة بنت أحمد من حيث التخطيط العام أما من حيث البلاطات فى رواق القبلة والأروقة الجانبية فى جامع السيدة بنت أحمد فقد جاء مختلفا عن عدد البلاطات فى رواق القبلة والأروقة الجانبية فى الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله وهو الأمر الذى سأتناوله لاحقا.

ومن منشآت الدولة الفاطمية بمصر التى تمثل أسلوباً جديداً فى بعض العناصر المعمارية للعمارة الفاطمية مسجد ومشهد الجيوشى (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) الذى يتفق مع مسجد ذى جبلة فى إقامته فوق تل مرتفع وإن اختلف الغرض بينهما كما أوضحت سابقاً وتخطيطه من مستطيل يشغل رواق القبلة فيه أكثر من نصف مساحته ويتكون من بلاطتين وأقيم على جانبى الصحن قاعة مستطيلة ولايشتمل المسجد على مؤخر وإنما يوجد المدخل على يمينه ويساره قاعتان (شكل ١٥).

ثم مسجد الأقمر (٥١٩ هـ / ١١٢٥م)[١٠]. الذى يتكون من صحن مكشوف وأربعة أروقة أعمقها رواق القبلة الذى يشمل ثلاث بلاطات أكثرها سعة البلاطة التى تتقدم المحراب أما بقية أروقة المسجد التى تحيط بالصحن فمن بلاطة واحدة[١١]. وهو التخطيط الذى يتشابه مع جامع الحاكم بأمر الله وجامع السيدة بنت أحمد من حيث التخطيط العام (شكل ١٦).

ثم مسجد السيدة رقية (٥٢٧ هـ / ١١٢٣م)[١٢]. الذى يتكون من رو ق

للقبلة من بلاطة واحدة مقسمة إلى ثلاث مساحات ووضع المشهد فى مربعة المحراب تعلوه قبة والذى أضيف إليه فيما بعد ويتقدم الرواق بائكة ثلاثية العقود وقد كان الصحن محاطا بجدران من الجهات الثلاث الأخرى (شكل ١٧، ١٨).

ومن ذلك يتضح أن مسجد السيدة رقية يتفق وجامع السيدة بنت أحمد فى وجود الصحن والأروقة الجانبية ويعتبر جامع الصالح[١٣] طلائع آخر مساجد مصر الفاطمية والذي بنى خارج الأسوار الجنوبية للمدينة فى عام ٥٥٠ هـ / ١١٦٠م على شكل مستطيل منتظم الأضلاع من صحن مكشوف مستطيل الشكل تحيط به الأروقة من جهاته الأربع يتكون رواق القبلة من ثلاث بلاطات والأروقة الجانبية فمن بلاطة واحدة[١٤]. (شكل ١٩) ويتفق هذا التخطيط وجامع السيدة بنت أحمد فى ذى جبلة.

الصحـــن :

جاء الصحن فى جامع السيدة بنت أحمد (لوحة ٤) من مستطيل يبلغ إمتداده من الشرق إلى الغرب (٢٠ر٧م) ومن الشمال إلى الجنوب (١٧ر٤٢م) تقريباً. وهو مكشوف يشرف عليه رواق القبلة من خلال بائكة من ثمانية أعمدة وسبعة عقود مدببة أكثرها إتساعاً وإرتفاعاً العقد الأوسط الذى يفتح على المحراب مباشرة، وتسير عقود هذه البائكة موازية لجدار القبلة محمولة على أعمدة منفردة.

ويحيط بالصحن فى جامع السيدة بنت أحمد شرافات مدرجة (لوحة ٢٥، ٢٦) وبمقارنة صحن جامع السيدة بنت أحمد بصحن الجامع الأزهر نجد بطبيعة الحال أن صحن الجامع الأزهر يزيد كثيرا فى مساحته عن صحن جامع السيدة بنت أحمد حيث تبلغ مساحته (٥٩ X ٤٣م)، فهو مستطيل الشكل مكشوف كذلك يشرف عليه رواق القبلة قبل زيادة الخليفة الحافظ لدين الله ببائكة من ثلاثة عشر عقداً مدبباً.

أما الرواقان الشرقى والغربى فكانا يشرفان عليه ببائكة من أحد عشر عقداً مدبباً ولم يكن للمسجد رواق شمالى[١٥].

وقد كانت البائكات تطل على الصحن من خلال عقود مدببة محمولة على أعمدة مزدوجة وليست منفردة كما فى جامع السيدة بنت أحمد ولكن بعد زيادة الحافظ لدين الله بائكة إلى الصحن تدور حوله من جهاته الأربع أصبح يشتمل على رواق شمالى، وجعل الحافظ لدين الله هذه البائكة تطل على الصحن بعقود ذات أربعة مراكز قائمة على أعمدة منفردة وقد أحيط الصحن بشرافات هرمية مدرجة.

أما صحن جامع الحاكم بأمر الله فهو مستطيل الشكل أكبر مساحة من صحن الجامع الأزهر وجامع السيدة بنت أحمد يطل عليه رواق القبلة من خلال بائكة من أحد عشر عقداً مدبباً محمولة على دعامات وليست أعمدة كما كانت فى الجامع الأزهر وجامع السيدة بنت أحمد.

أما الرواقان الشرقى والغربى فيشرفا على الصحن من خلال بائكة من تسعة عقود محمولة على دعامات.

أما الرواق الشمالى فيطل على الصحن من خلال بائكة من أحد عشر عقداً مدبباً على دعامات، ولايشرف رواق القبلة على الصحن فى جامع الحاكم بأمر الله بقبة بهو كما فى الجامع الأزهر وجامع السيدة بنت أحمد بل بعقد مدبب يرتكز على عمودين ويعلوه ثلاث نوافذ جصية وتعلو واجهات الصحن شرافات هرمية وكذلك الجدران الخارجية.

وفى مسجد الجيوشى (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) جاء الصحن من مستطيل قريب من المربع طوله (٥ر٦م) وعرضه (٥ر٥م) على كل جانب من جانبيه قاعة مستطيلة ولايشتمل على مؤخر، ويطل عليه رواق القبلة بعقد كبير أوسط يرتكز من كل جانب على عمودين متجاورين.

ونجد مساحة الصحن بمسجد الأقمر تقل إلى النصف عنها فى مسجد السيدة بنت أحمد حيث تبلغ مساحته فى كل ضلع من أضلاعه تقريبا (١٠م) وتشرف عليه الأروقة الأربعة ببائكة من ثلاثة عقود حملت على عمودين منفصلين فى

الوسط وعلى دعامتين مشتركتين فى أركان الصحن وأوسط العقود الثلاثة فى كل بائكة أوسعها.

وقد كانت تعلو واجهات الصحن فى هذا المسجد شرافات هرمية الشكل مدرجة من خمس درجات ومما سبق يتضح أن صحن جامع السيدة بنت أحمد يتشابه مع صحن الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله فى أنه مستطيل الشكل وهو الأمر الذى وجد فى مسجد الصالح طلائع وهو مكشوف أقل من نصف مساحة الجامع الأزهر، ويختلف عن صحن مسجد الجيوشى فى أن صحن الجيوشى جاء من مستطيل يقترب من المربع ثم أصبح فى مسجد الأقمر مربع الشكل ويتفق صحن جامع السيدة بنت أحمد ومساجد الفاطميين السابقة فى أنه تطل عليه بائكات من أربع جهات باستثناء جامع الأزهر قبل زيادة الحافظ لدين الله ومسجد الجيوشى إضافة إلى ذلك فهو يتشابه والجامع الأزهر من خلال البائكة وقبة البهو.

ويتفق صحن جامع السيدة بنت أحمد وصحن المسجد الفاطمى فى وجود الشرافات الهرمية المدرجة وإن كانت فى العصر الفاطمى تطورت تطوراً عظيماً بلغ قمته فى شرافات مسجد الصالح طلائع بزخارفها الحجرية المنحوتة نحتاً رائعاً(١٦).

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانه فيما يتعلق بالميضأة ودورات المياه، فى بلاد اليمن تختلف كثيراً فى مساجدها عن مساجد مصر فى العصر الفاطمى إذ أن دورات المياه والميضأة فى بلاد اليمن تكون عبارة عن جزء مستقل بذاته يشتمل على أحواض، وتشغل هذه المطاهير والحمامات أهمية معمارية هامة فى المساجد اليمنية وتوجد فى جامع السيدة بنت أحمد فى الناحية الجنوبية وهى بذلك تعد إمتداداً لما فى المساجد اليمنية كما أشرنا سابقاً.

أما الميضأة فى مساجد الفاطميين فهى من الأجزاء الرئيسية فى عمارة المسجد توجد فى الصحن فقد ذكر المقريزى أن بالجامع الأزهر ميضأة فقال «ومن ذلك لأجرة قيم الميضأة أن عملت لهذا الجامع إثنى عشر دينارا»(١٧).

أما فسقية جامع الحاكم بأمر الله فقد ذكرها المقريزى بقوله : «والفسقية وسط الجامع بناها الصاحب عبد الله بن على بن شكر وأجرى الماء إليها وأزاله القاضى تاج الدين بن شكر وهو قاضى القضاة فى سنة ستين وستمائة»[١٨] وقد كان يوجد بصحن مسجد الأقمر فسقية[١٩].

ومن ذلك يمكن القول أن جامع السيدة بنت أحمد من خلال صحنه اختلف عن صحن المسجد الفاطمى فى عدم احتوائه على فسقية (ميضأة) تتوسط الصحن بل وجدت الميضأة فى الجامع خارج المسجد شأنها فى ذلك شأن بقية البرك والمطاهير والحمامات فى مساجد بلاد اليمن المشيدة قبل وبعد جامع السيدة بنت أحمد.

رواق القبلـــة :

يتكون رواق القبلة فى جامع السيدة بنت أحمد من العنصر الرئيسى الذى ينتج من تعامد البلاطة الوسطى (بلاطة المجاز) التى تسير أعمدتها ودعائمها عمودية على جدار القبلة تعلوها عوارض خشبية تسير وفق اتجاه الأعمدة والدعائم بشكل عمودى على جدار القبلة وكانت مساحة رواق القبلة مقسمة إلى خمس بلاطات بواسطة أربعة صفوف من الأعمدة والدعائم ذات تيجان تعلوها عوارض وقد أنشئت البلاطة الخامسة والتى تشرف على الصحن فى زمن لاحق على إنشاء المسجد كما سبق أن أشرنا.

وتعد الأعمدة والدعائم من العناصر الأساسية التي إعتمد عليها المعمار اليمنى فى المساجد اليمنية فقد استخدمت فى جامع السيدة بنت أحمد وحملت السقف مباشرة فى رواق القبلة وقد تأثر الجامع فى ذلك برواق القبلة فى جامع شبام كوكبان حيث أقيمت على أعمدة رواق القبلة فى جامع شبام كوكبان العوارض الحاملة للسقف، وهو النظام الذى وجد أيضاً فى جامع ذى أشرق وفى مسجد ثمور ومسجد تيثد[٢٠].

والواقع أن حمل السقف مباشرة على أعمدة ودعائم فى رواق القبلة سمة تتسم بها معظم مساجد بلاد اليمن وقد جاء هذا النظام فى مسجد الرسول صلى الله عليم وسلم حيث يذكر ابن جبير ما نصه (وعدد سواريه مائتان وتسعون وهى أعمدة متصلة بالسمك دون قسى تنعطف عليها فكأنها دعائم قوائم»[٢١].

وقد وجد هذا النظام أيضاً فى جامع سامراء الكبير حيث حمل السقف الخشبى المسطح مباشرة على دعائم بدون عقود وهذا النظام الذى يكثر وجوده فى مساجد عديدة باليمن يختلف وما وجد فى مساجد مصر فى العصر الفاطمى حيث تميز السقف فى رواق القبلة فى هذه المساجد بأنه حمل على عقود أعلى الأعمدة والدعائم.

وقد جاء عدد البلاطات فى رواق القبلة فى جامع السيدة بنت أحمد قبل زيادة البائكة التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن أربع بلاطات أما فى جامع الأزهر فان رواق القبلة يشمل قبل زيادة الحافظ لدين الله البائكة التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن خمس بلاطات (لوحة ٢٧).

أما فى جامع الحاكم بأمر الله، فان رواق القبلة يشمل خمس بلاطات وهو الأمر الذى يختلف أيضا وجامع السيدة بنت أحمد وعلى حين نجد أن البلاطات فى جامع السيدة بنت أحمد تسير موازية لجدار القبلة وتفصلها صفوف من الأعمدة والدعائم تحمل السقف من خلال عوارض خشبية تعلوها نجد أن البلاطات فى الجامع الأزهر تسير موازية لجدار القبلة تفصلها صفوف من البائكات تتكون من أعمدة تحمل عقوداً ممتدة فى موازاة جدار القبلة وهو الأمر الذى اختلف عن جامع السيدة بنت أحمد.

وفى جامع الحاكم بأمر الله (لوحة ٢٨) نجد أن البلاطات تسير موازية لجدار

القبلة كما فى جامع السيدة بنت أحمد ولكن تختلف فى أنها تفصلها صفوف من البائكات تتكون من دعائم تحمل عقوداً ممتدة فى موازاة جدار القبلة وليست صفوفاً من الأعمدة والدعائم كما فى جامع السيدة بنت أحمد وتتميز العمارة الفاطمية من خلال رواق القبلة فى مسجد الأقمر فى وجود طراز مساجد تتوازى عقودها وتتعامد على جدار القبلة (لوحة ٢٩) وفى جامع الصالح طلائع وجدت البلاطات التى تسير موازية لجدار القبلة تفصلها صفوف من البائكات تتكون من أعمدة تحمل عقوداً ممتدة فى موازاة جدار القبلة (لوحة ٣٠) وهو النظام الذى يعتبر امتداداً لما وجد فى جامعى الأزهر والحاكم بأمر الله، وعقود رواق القبلة فى الأزهر والحاكم بأمر الله لاتخترق بلاطة المجاز القاطع فيما عدا البلاطة التى تتقدم المحراب كما فى الجامع الأزهر، وهو الأمر الذى وجد فى جامع السيدة بنت أحمد حيث نجد عوارض رواق القبلة لاتخترق بلاطة المجاز وهو الأمر الذى ينطبق على البلاطة التى تتقدم المحراب.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فأنه يمكن القول إن داخل جامع السيدة بنت أحمد غاية فى البساطة، وهو يخلو فى الغالب من النوافذ وهو الأمر الذى اختلف ومساجد مصر فى العصر الفاطمى حيث نجد الجامع الأزهر وقد اشتمل على نوافذ معقودة بعقود نصف دائرية فى الجدران المحيطة برواق القبلة وكذلك الحال فى جامع الحاكم بأمر الله حيث اشتمل على نوافذ بعقود نصف دائرية فى الأجزاء العليا من جدران المسجد داخل رواق القبلة كما فتحت نافذة عند كل طرف من أطراف بلاطات المسجد أما فى الأروقة الجانبية فقد فتحت أمام كل فاصل من فواصل بلاطاتها (لوحة ٣١)، وهو الأمر الذى استمر فى العصر الفاطمى فى مسجد الأقمر ومسجد الصالح طلائع إمتداداً لما وجد فى جامعى الأزهر والحاكم وهو الأمر الذى اختلف عن جامع السيدة بنت أحمد فى ذى جبلة.

وقد حجب رواق القبلة فى جامع السيدة بنت أحمد فى البائكة الرابعة التى

كانت وقت إنشاء المسجد مطلة على الصحن وحجب الأروقة عن الصحن سمة تميز العمارة الدينية فى بلاد اليمن حيث يلاحظ فى كثير من مساجد اليمن حجب الأروقة عن الصحن فى فترات متأخرة بحيث يبدو الفناء وكأنه عزل عن مساحات الأروقة وقد يرجع ذلك إلى عوامل الطقس لحماية المصلين[٢٢].

البلاطة الوسطى :

يذكر د. أحمد فكرى أن ظاهرة اتساع بلاطه المحراب العمودية هى ظاهرة جديدة فى عناصر تخطيط المساجد بالقاهرة[٢٣].

ويتميز جامع السيدة بنت أحمد بوجود البلاطة الوسطى التى تتعامد من خلال أعمدتها ودعائمها على جدار القبلة والتى ميزها المعمار الصليحى بأن جعلها أكثر إتساعاً من البلاطة التى تتقدم المحراب حيث تبلغ سعة البلاطة الوسطى (٣ر٤٠م) أم عمقها من الصحن إلى المحراب فهو (١٦ر٢٠م) على حين جاءت البلاطة التى تتقدم المحراب بسعة (٢ر٩٥م) وعمق (٣١ر٥٠م) وهى بذلك أقل مساحة من البلاطة الوسطى وتسير أعمدة ودعامات البلاطة الوسطى فى اتجاه عمودى على جدار القبلة تعلوها عوارض خشبية، وقد جاءت البلاطة الوسطى فى الجامع الأزهر أكثر إتساعاً من بلاطة المحراب التى تتقدمه حيث يبلغ إتساعها ٧م أما باقى بلاطات رواق القبلة (٤ر٢٥م) وتقطع هذه البلاطة الوسطى من خلال عقودها وأعمدتها البلاطات الموازية لجدار القبلة (لوحة ٣٢) وكذلك الحال فى جامع الحاكم بأمر الله فقد جاءت البلاطة الوسطى فيه أكثر إتساعاً من بلاطة المحراب حيث يبلغ إتساعها ٦م بينما البلاطة التى تتقدم المحراب (٥ر٥م) وتقطع أيضاً هذه البلاطة الوسطى البلاطات الموازية لجدار القبلة (لوحة ٣٣، ٣٤) وقد وجدت البلاطة الوسطى فى المسجد الأقصى وصفها لنا الرحالة ناصر خسرو وصفا رائعاً حيث ذكر عنها ما نصه «رواقاً عظيماً جميلاً إرتفاعه ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون وللرواق جناحان وواجهتاهما وإيوانه منقوشة كلها بالفسيفساء المثبتة بالجص»[٢٤].

وتشرف البلاطة الوسطى فى **جامع** السيدة بنت أحمد من خلال قبة مقدمة على الصحن وهو الأمر الذى وجد فى الجامع الأزهر.

هذا وتعد البلاطة الوسطى فى جامع السيدة بنت أحمد من أقدم الأمثلة المعروفة حتى الآن فى العمارة الدينية اليمنية وهو الفضل الذى ينسب للمعمار الصليحى ويعد هذا من التأثيرات الفاطمية التى أدخلت على العمارة الدينية فى عصر الدولة الصليحية فقد إتسعت البلاطة الوسطى فى جامع السيدة بنت أحمد كما إتسعت فى مسجدى الأزهر والحاكم بأمر الله.

وتعد البلاطة العمودية فى مسجد القيروان والتى أقيمت فى عام ٢٢١ هـ / ٨٣٦م من أقدم الأمثلة المعروفة الثابتة التاريخ لإتساع البلاطة الوسطى حيث أقام زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب قبة وكان لابد لإقامتها أن تكون لها قاعدة مربعة وكانت البلاطة التى تتقدم المحراب متسعة ولم تكن البلاطة الوسطى كذلك فأمر بهدم صف الأعمدة المواجه للمحراب العتيق وجعل من البلاطتين المقابلتين له بلاطة واحدة متسعة وأقام قبته على تقاطع هذه البلاطة الجديدة ببلاطة المحراب(٢٥).

بلاطة المحراب :

لم يميز المعمار الصليحى البلاطة التى تتقدم المحراب من حيث الإتساع عن غيرها من بلاطات رواق القبلة التى شيدت وقت إنشاء المسجد حيث جاء إتساع هذه البلاطة (٢٫٩٥م) أما البلاطة الثانية فإتساعها تقريباً (٣٫٠٠م) والبلاطة الثالثة (٢٫٨٠م) والبلاطة الرابعة (٢٫٩٠م) أما البلاطة الأخيرة والتى شيدت فى وقت لاحق على عمارة المسجد الأصلية فجاء إتساعها (٢٫٠٥م) وقد خلت البلاطة التى تتقدم المحراب من القباب على حين نجد أن المعمار الصليحى أقام فى الجهة الغربية منها مشهدا يعرف بمشهد السيدة بنت أحمد وقد جاءت هذه البلاطة من حيث عدم تميزها عن بقية بلاطات رواق القبلة متفقة وبلاطة المحراب التى

تتقدمه فى الجامع الأزهر حيث لم يميزها المعمار الفاطمى عن بقية بلاطات رواق القبلة فجاءت البلاطات كلها باتساع (٢٥ر٤م).

وقد اختلف هذا النظام فى جامع الحاكم بأمر الله حيث تميزت بلاطة المحراب بإتساعها عن بقية بلاطات رواق القبلة حيث جاء إتساعها (٥ر٥م) أما بقية البلاطات فجاء إتساعها (٥م) وهو الأمر الذى لم نجده فى الجامع الأزهر وجامع السيدة بنت أحمد وقد استمر المعمار الفاطمى فى تمييز هذه البلاطة بعد جامع الحاكم فى مساجد الجيوشى والأقمر والصالح طلائع كما أن المعمار الصليحى لم يميز هذه البلاطة بوجود قباب وهو الأمر الذى اختلف فى مصر فى العصر الفاطمى حيث ميز المعمار الفاطمى البلاطة التى تتقدم المحراب بأن أقام ثلاث قباب: قبة تعلو المحراب فى منتصف هذه البلاطة، وقبتان فى ركنى هذه البلاطة ولم تصل إلينا قباب الجامع الأزهر التى على بلاطة المحراب(٢٦).

وظهر هذا التخطيط فى جامع الحاكم بأمر الله وقد بقيت قباب جامع الحاكم وقد إنفردت مصر فى العصر الفاطمى بهذا التخطيط الفريد فى توزيع القباب الثلاث على بلاطة المحراب. وقد كانت القبة عاملا رئيسياً يتدخل حتما فى تعديل رواق القبلة وقد أوضح ذلك pauty من خلال بحثه عن تطور شكل T، وأكد أن إتساع بلاطة المحراب الموازية والبلاطة الوسطى (بلاطة المجاز) يعد ابتكارا إسلاميا(٢٧). ومن أمثلة المساجد التى تميزت بإتساع بلاطة المحراب التى تتقدمه مسجد عمرو بن العاص ومسجد أحمد بن طولون فى مصر (شكل ٢٠) وفى شرق العالم الإسلامى اتسعت هذه البلاطة فى مسجد أبى دلف فى العراق، وفى غرب العالم الإسلامى إتسعت هذه البلاطة فى المسجد الجامع بالقيروان ومسجد الزيتونة الجامع (شكل ٢١) وفى مساجد الأندلس إتسعت فى مسجد قرطبة الجامع(٢٨).

قبة البهو : (لوحة ٢٦)

يشرف رواق القبلة فى جامع السيدة بنت أحمد على الصحن من خلال بائكة تتكون من ثمانية أعمدة وسبعة عقود مدببة أكثرها إتساعاً وإرتفاعاً العقد الأوسط الذى يتوسطها على محور المحراب على نفس نمط البائكة الرابعة التى كانت تشرف على الصحن وقت إنشاء الجامع بسبعة عقود محمولة على ثمانية أعمدة، وتذكر الباحثة بربارة فنستر عن القبة التى يطل من خلالها رواق القبلة على الصحن أنها وفق النموذج السائد فى المساجد المغربية أى مساجد غرب العالم الإسلامى، وتضيف فى هذا الصدد أنه لابد من البحث على وجه التحديد عما إذا كانت العناصر القادمة من الغرب يمكن تفسيرها بالوساطة المصرية أم أنها حدثت نتيجة تأثير مباشر(٢٩).

والواقع أن هذه البائكة التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن مضافة فى وقت لاحق على إنشاء المسجد، يرجح ذلك أن هذه البائكة غير ممتدة بأعمدتها حتى الجدار الشرقى والجدار الغربى بحيث يتعامد عليها الرواقان الجانبيان بل استغل المعمار العمودين المتطرفين لهذه البلاطة الممتدة والتى يتعامد عليها الرواقان الشرقى والغربى فى إرتكاز العقدين المتطرفين عليهما، أما البائكة الممتدة والتى يتعامد عليها الرواقان الشرقى والغربى فهى البائكة الرابعة إضافة إلى أن سمك هذه الأعمدة فى البائكة الخامسة يختلف والعقود التى تعلوها عن بقية عقود وأعمدة البائكة الرابعة وبوائك الأروقة الجانبية هذا بالاضافة إلى أن هذه البلاطة جاءت بإتساع (٥٠ر٢م) وهى أقل البلاطات عمقاً.

بينما جاءت البلاطات الأربع الأخرى تقريباً بإتساع واحد حيث لم يميز المعمار الصليحى أى منها على الأخرى لذلك فمن المرجح أن هذه البائكة مضافة وكذلك القبة التى تشرف على الصحن، ويغطى هذه البلاطة التى تشرف على الصحن

سقف خشبى حديث.

وقد وجدت هذه البائكة وقبة البهو فى الجامع الأزهر بعد إضافة الخليفة الحافظ بعد سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١م، ويسقف هذه البلاطة التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن فى الجامع الأزهر سقف خشبى (لوحة ٣٥، ٣٦).

ولايعرف على وجه الدقة تاريخ هذه الزيادة فى الجامع الأزهر فمن الممكن أن تكون بعد سنة ٥٣٢ هـ/١١٣٧م أى بعد إنتهاء الدولة الصليحية أو قبل ذلك، وفى الحالتين فإننى أعتقد أنه من الصعب تأثر معمار الدولة الصليحية بزيادة الحافظ لدين الله خاصة وأن الدولة الصليحية انتهت (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م) وقد بدأ ضعف وتدهور الدولة منذ بداية القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى.

وعلى ذلك فإننى أعتقد أن ماذكرته بربارة فنستر من أن المؤثر الخارجى كان وافدا من غرب العالم الإسلامى يعد صحيحاً تماماً ولكنه ليس من أسبانيا كما ذكرت بل كان من افريقية، يرجح ذلك الإرتباط الوثيق بين اليمن وافريقية فى أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى والقرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى من الناحيتين السياسية والدينية يؤكد ذلك أن أبا عبد الله الشيعى الذى أقام الدولة الفاطمية فى المغرب كان من أهل صنعاء إضافة إلى أنه تلقى أصول الدعوة على يد دعاة الفاطميين فى اليمن، وأمر من اليمن بالذهاب إلى افريقية، هذا بالإضافة إلى أن المهدى عبيد الله فكر فى إقامة دولته باليمن ولكنه قرر بعد ذلك إقامتها فى افريقية.

إضافة إلى ذلك فإن هذه الفترة شهدت وفود صناع ومهندسين من المغرب عن طريق مصر إلى اليمن ويؤكد كل ذلك أن المؤثر الخارجى على زيادة الحافظ لدين الله فى الأزهر وما وجد فى جامع السيدة بنت أحمد كان وافداً من المغرب.

وقد اختلف جامع الحاكم بأمر الله (لوحة ٣٧) عن الجامع الأزهر وجامع السيدة بنت أحمد فى عدم احتوائه على قبة بهو فى نهاية بلاطة المجاز وإنما كان يشرف على الصحن من خلال رواق القبلة وبلاطة المجاز بعقد مدبب يرتكز على عمودين وقبة البهو هى القبة المقامة فى البلاطة الوسطى المطلة على الصحن(٣٠).

وقد كان بالمسجد الأموى قبة شبيهة ولكن قبة البهو بالصورة التى ظهرت فى جامع الأزهر تتصل بقبة البهو فى القيروان(٣١). فهى تقليد مغربى، ذلك أن قبة البهو فى المسجد الأموى بدمشق كانت هى إحدى قباب ثلاث على البلاطة الوسطى داخل رواق القبلة أما قبة البهو فى المسجدين المغربيين فهى قبة أقيمت على نهاية البلاطة الوسطى فى عهد لاحق لإنشاء رواق القبلة ويرى د. أحمد فكرى أن قبة البهو هى قبة مكررة لقبة المحراب بالنسبة للمصلين فى صحن المسجد بسبب ضيق المسجد بالمصلين يوم الجمعة حيث دعت الحاجة أن يقف عند هذا الصحن وفى موضع يقابل المحراب منه إمام ثان أو مؤذن يردد إبتهالات خطيب المسجد وتكبيره، ومازالت هذه العادة متبعة فى بلاد المغرب إلى اليوم(٣٢).

وهذا أمر اتفق والجامع الأزهر فى العصر الفاطمى ولكنه اختلف عن جامع السيدة بنت أحمد فى عدم وجود محاريب حول مدخل البلاطة الوسطى.

الأروقة الجانبية :

جاء تخطيط الأروقة الجانبية فى جامع السيدة بنت أحمد مرتبطاً بالموقع وبالتوسع العمرانى، إذ جاءت بلاطات الرواق الشرقى والغربى من بلاطتين، أما الرواق الجنوبى فمن بلاطة واحدة، وقد جاء مسار عقود بوائك البلاطات فى الرواقين الشرقى والغربى عمودياً على جدار القبلة ويقطع مسار بوائكهما من أعلى مسار البائكة الرابعة التى كان يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن

قبل إنشاء البائكة الحالية والتى شيدت فى وقت لاحق على إنشاء المسجد، ومن الملاحظ أن المعمار الصليحى قد اختزل قسماً من الرواق الغربى لإيجاد مساحة لتكوين معمارى آخر تمثل فى معلامة لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الأخري، وتمثل المعلامة بداية نشأة المدرسة فى بلاد اليمن قبل أن تستقل كمنشأة معمارية قائمة بذاتها، وهى عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب (٦٠ر١٢م) ومن الشرق إلى الغرب من ناحية الشمال (٩٠ر٢م) ومن ناحية الجنوب (٦٠ر٢م) وهى سمة يتميز بها جامع السيدة بنت أحمد خاصة والعمارة الدينية اليمنية فى بلاد اليمن عامة.

أما الرواق الجنوبى فى جامع السيدة بنت أحمد فيتكون من بلاطة واحدة تسير عقودها موازية لجدار القبلة (شكل ٢٢)، وفى الجامع الأزهر (لوحة ٣٨) جاءت البلاطات فى الرواقين الشرقى والغربى من ثلاث بلاطات، وقد جاء مسار العقود موازيا لعقود رواق القبلة وهو الأمر الذى اختلف عن جامع السيدة بنت أحمد حيث جاءت عقوده فى الرواقين الشرقى والغربى عمودية وليست موازية لجدار القبلة، وفى جامع الحاكم بأمر الله جاءت البلاطات فى الرواقين الشرقى والغربى من ثلاث بلاطات تمتد عقودها جميعا عمودية على جدار القبلة الأمر الذى يتفق وجامع السيدة بنت أحمد (لوحة ٣٩).

أما الرواق الشمالى فمن بلاطتين تمتد عقودهما موازية لجدار القبلة، وفى مسجد الأقمر جاءت الأروقة الجانبية من بلاطة واحدة تلتف حول الصحن وتمتد عقود بائكات الرواق الشرقى والرواق الغربى عمودية على إتجاه جدار القبلة، أما الرواق الشمالى فمن بلاطة واحدة تمتد عقودها موازية لجدار القبلة.

وفى مسجد الصالح طلائع يتكون الرواق الشرقى والرواق الغربى من بلاطة واحدة تمتد عقودهما عمودية على جدار القبلة، أما الرواق الشمالى فمن بلاطة واحدة تمتد عقوده موازية لجدار القبلة.

مـواد البنـــاء :

كما كانت بلاد اليمن من أوائل البلاد الإسلامية التى إنتشر فيها بناء المساجد كانت أيضاً من أوائل البلاد الإسلامية التى استخدمت الأحجار فى البناء فى السنوات الأولى للهجرة ومن هذه المساجد مسجد فروة بن مسيك المرادى، ومسجد الجند فقد ذكر المؤرخ الرازى عن مسجد فروة بن مسيك ما نصه :

«هو مسجد مبارك بناه فروة بن مسيك زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقعد فيه وهو أثبت قبلة بصنعاء بعد قبلة جامعها الكبير وأنا أذكر أساسه، وبناؤه الأول بالحجارة»(٣٣).

وذكر العرشانى المؤرخ اليمنى فى الإختصاص عن جامع الجند ما نصه :

«يروى أن معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام (٦هـ) صعد جبل صيد وأذن فيه فسمع إلى بلد بعيد منه فوضع موضع الآذان مسجد وكان صغيراً من أحجار غير محكمة ولامتقنة وبناء ضعيفاً وسقفا غير محكم»(٣٤).

وقد تطورت عمارة المساجد فى بلاد اليمن تطوراً كبيراً واستخدم المعمار اليمنى الأحجار فى البناء خاصة نوع الحجر المعروف بحجر الحبش الأسود والذى يجلب من المحاجر اليمنية الكثيرة المنتشرة فى كل بلاد اليمن(٣٥).

كما استخدم الطابوق فى البناء أيضاً، وقد استخدم حجر الحبش الأسود فى جدران جامع صنعاء وبنيت الشرافات العليا بالطابوق والجص ويذكر المؤرخ ابن المجاور عن جامع الجند ما نصه :

«وقد استخدم الحجر المنقوش واللبن المربع فى جامع الجند سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧م) عندما جدده المفضل بن أبى البركات زمن الدولة الصليحية»(٣٦).

ويعطى هذا فكرة واضحة عن استخدام مادة الحجر وماترتب على استخدامه من نقوش فى الحجر فى عصر الدولة الصليحية ولكن للأسف الشديد لم يذكر

ث المؤرخ اليمنى ابن المجاور وصفا لهذه النقوش الحجرية التى كانت فى عصر الدولة الصليحية لمعرفة ما إذا كانت هذه الأحجار ترجع إلى عصر الدولة الصليحية أو أنها بنقوشها نقلت من مواقع قديمة سابقة على العصر الإسلامى كتلك التى وجدت فى جامع صنعاء الكبير والتى نقلت إليه من قصر غمدان(٣٧).

وقد استمر استخدام الحجر العادى والحجر المنقوش والآجر فى عصر الدولة الصليحية فى جامع السيدة بنت أحمد، وفى مصر فى العصر الفاطمى استخدمت الأحجار فى البناء فى العمائر المدنية حيث يذكر الرحالة ناصر خسرو ما نصه :

«إن قصر السلطان فى وسط القاهرة وهو طلق من جميع الجهات ولايتصل به أى بناء وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة»(٣٨).

وإلى جانب إستخدام الحجر فى البناء فى العمائر المدنية استخدم الجص والآجر حيث يذكر ناصر خسرو ما نصه :

«وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها من الجواهر الثمينة لا من الجص والآجر والحجارة»(٣٩).

وعلى الرغم من استخدام الأحجار فى البناء فى بداية العصر الفاطمى فى القصور الفاطمية والبيوت فإننا نجد أن العمائر الدينية فى بداية العصر الفاطمى ممثلة فى الجامع الأزهر كانت تبنى من الآجر، إذ بنيت جدران الجامع الأزهر الأول من الآجر وكذلك بنيت عقوده وقبابه، كما بنيت قبة الحافظ لدين الله فى الجامع الأزهر من الآجر أيضاً مثل بقية عناصر البناء فى المسجد(٤٠).

ويعد جامع الحاكم بأمر الله أول مثل معروف تستخدم فيه الأحجار للعمائر الدينية فى العصر الفاطمى وقد استخدمت فى بعض أجزاء من مبانى المسجد مثل الدعامات المطلة على الصحن وفى المئذنتين والمدخل كما استخدم فى بناء الجدران خليط من الأحجار والآجر، وكان الغالب فى استخدام الآجر وبه بنيت الدعامات الضخمة داخل رواق القبلة والأروقة الجانبية.

وفى مسجد الجيوشى بنيت جدران المسجد من الأحجار أما ماعداها من عقود وسقف وقبة ومئذنة فقد بنى من الآجر والمئذنة بما تشمله من قبة وطوابق ثلاثة بنيت من الآجر وفى مسجد الأقمر بنيت جدران المسجد وواجهته من الأحجار وقد عنى عناية فائقة ببناء الواجهة وزخرفتها (لوحة ٤٠، ٤١).

أما العقود التى تتكون من إطارين مزودجين والقباب فقد بنيت من الآجر (لوحة ٤٢، ٤٣) وفى مسجد الصالح طلائع استخدمت الأحجار إلى جانب الآجر فى البناء.

ويتضح مما سبق ذكره أن بلاد اليمن فى العصر الإسلامى كانت أسبق البلاد الإسلامية فى تشييد المساجد بالأحجار، وإلى جانب مادة الحجر فى اليمن استخدم الطابوق فى البناء فى عصر الدولة الصليحية، وفى مصر فى العصر الفاطمى على الرغم من استخدام الحجر فى البناء فى العمائر المدنية منذ البداية فإنه لم يستخدم فى العمائر الدينية إلا منذ تشييد جامع الحاكم بأمر الله وقد فاقت مصر بلاد اليمن فى العصر الفاطمى فى استخدام مادة الحجر وماترتب عليها من ظهور أسلوب النحت على الحجر الذى بدأ فى جامع الحاكم بأمر الله وتطور تطوراً عظيماً فى مسجدى الأقمر والصالح طلائع وظهرت الزخارف النباتية والهندسية والكتابات الكوفية منحوتة على الأحجار فى دقة وإتقان.

المداخـــل :

يوجد بجامع السيدة بنت أحمد ثلاثة مداخل رئيسية أحدها فى الجدار الشمالى والآخر فى الجدار الشرقى والثالث فى الجدار الغربى.

والمدخل الشمالى له كتلة بارزة شبه منحرفة وهذه الكتلة تنقسم إلى قسمين القسم الشمالى هو المدخل الذى يؤدى إلى خارج الكتلة البارزة وتعلوه قبة مخروطية، ثم نجد مدخلا إلى القسم الثانى جاء من سقف مسطح والمدخل الذى يفتح فيه إلى الجنوب يؤدى إلى ظلة القبلة والمدخل الشرقى يفتح على الممر الشرقى ويؤدى إليه درج طويل يوجد فى أسفله مدخل.

والمدخل الغربى يفتح على الممر الغربى وهذا المدخل يؤدى إلى الصحن من خلال الرواق الذى فى الجانب الغربى، وإلى جانب هذه المداخل الرئيسية الثلاثة توجد ثمانية مداخل أخرى تؤدى جميعها إلى المسجد.

وتتميز المساجد الفاطمية بموضع تخطيط مداخلها الرئيسية الثلاثة فى منتصف الجدار الشمالى من الرواق الشمالى على محور المحراب ومنتصف الجدار الشرقى والجدار الغربى ففى الجامع الأزهر يتوسط المدخل الرئيسى الجدار الشمالى وهو يقع على محور المحراب، وأغلب الظن أنه كان للمسجد ثلاثة مداخل فى الجدار الشمالى، كما كان يوجد فى كل من جداريه الشرقى والغربى مدخل يفتح على الرواقين الشرقى والغربى(٤١).

وفى جامع الحاكم بأمر الله يتوسط المدخل الرئيسى الجدار الشمالى وهو عبارة عن بوابة ضخمة فتحت فى منتصف الجدار الشمالى وتفتح على الرواق الشمالى ويحف بها من كل جانب برج يبرز عن هذا الجدار ستة أمتار (لوحة ٤٤).

وقد كان بهذا الجدار أربعة مداخل غير المدخل الرئيسى مازالت تشاهد آثار بابين منه كما كان له بابان مفتوحان فى كل من واجهتيه الشرقية والغربية يؤدى أحدهما إلى وسط كل من الرواقين ويؤدى الثانى إلى طرف من طرفى البلاطة الثانية فى رواق القبلة.

وبوابة جامع الحاكم بأمر الله متأثرة ببوابة مسجد المهدية فى تونس التى تقدم ذكرها وهو المسجد الذى شيده عبيد الله المهدى فى سنة ٣٠٣ هـ/ ٩١٦م ولكن بوابة الحاكم أخذت مظهراً أكثر تطوراً(٤٢).

وفى مسجد الجيوشى أقيم المدخل الرئيسى له فى الجدار الشمالى، وهو من المداخل البارزة، وفى مسجد الأقمر يتوسط المدخل الرئيسى الجدار الشمالى، ويوجد مدخل آخر فى الجهة الغربية.

وفى مسجد الصالح طلائع ثلاثة مداخل، المدخل الرئيسى فى الجدار الشمالى

الغربى على محور المحراب والثانى يتوسط الواجهة الشرقية، والثالث يتوسط الواجهة الغربية والمداخل الثلاثة بارزة خارجة عن حدود الجدار (لوحة ٤٥).

ويتضح مما سبق أن جامع السيدة بنت أحمد يتشابه ومساجد الفاطميين فى وجود ثلاثة مداخل محورية فقد حافظ المعمار الصليحى على المدخل المحورى الذى يقع على محور المحراب وهو المدخل الشمالى الذى حرص على وجوده المعمار الفاطمى فى المساجد الفاطمية، وقد بلغ هذا المدخل شأناً عظيماً فى جامع الحاكم بأمر الله كذلك حافظ المعمار على المدخلين الرئيسيين فى الجدارين الشرقى والغربى فى جامع السيدة بنت أحمد وهو الأمر الذى وجد فى مساجد الفاطميين فى مصر منذ الجامع الأزهر حتى مسجد الصالح طلائع وعلى الرغم من أن جامع الحاكم بأمر الله يشتمل فى واجهته على أربعة أبواب غير المدخل الرئيسى فإن تعدد المداخل سمة تميز العمارة الدينية اليمنية عن العمارة الفاطمية فى مصر.

ومن أمثلة المساجد اليمنية التى تتميز بكثرة مداخلها الجامع الكبير بصنعاء حيث يحتوى هذا الجامع على اثنى عشر بابا وجامع الجند الذى يحتوى على ستة مداخل والجامع الكبير بزبيد حيث يحتوى على ثلاثة عشر مدخلاً وغيرها من المساجد اليمنية(٤٣).

ويعتبر جامع السيدة بنت أحمد إمتداداً لهذه المساجد اليمنية من حيث كثرة مداخله كما تقدم ويتميز جامع السيدة بنت أحمد باشتماله على مدخل فى رواق القبلة، وهذا المدخل يقع على يمين الواقف أمام المحراب وقد ذكر الخجرى المؤرخ اليمنى أن جامع صنعاء الكبير كان يوجد به مدخل يقع على يمين المحراب والذى نقل من أبواب قصر غمدان وبه صفائح من الفولاذ متقنة الصنع داخل المسجد تشتمل فى بعضها على كتابات بخط المسند(٤٤).

والمدخل الذى يقع فى جدار القبلة ليتمكن الخليفة أو الإمام من العبور المباشر من القصر إلى داخل المسجد دون المرور بالمصلين كما فى مسجد تينمل

وتازى والكتبية وقصبة مراكش وحسان وأشبيلية يعد سمة فى مساجد القرون الخمسة الأولى من الهجرة[٤٥]. وهو الأمر الذى يتفق ومدخل جامع السيدة بنت أحمد فى رواق القبلة. وهو ما لم نجده فى العمارة الدينية الفاطمية فى مصر ويظهر هذا النظام فى مسجد القيروان ومسجد الزيتونة ومسجد قرطبة والمسجد الأموى.

المحاريـــب :

تشير المصادر التاريخية إلى أن المعمار اليمنى قد أعتنى إلى حد كبير بعنصر المحراب فى المسجد وذلك وفق ما أورده المؤرخ اليمنى الرازى فى تاريخه حيث يشير النص التاريخى الذى ذكره عن الجامع الكبير بصنعاء أن المحاريب فى المساجد اليمنية كان يغلب عليها أن تكون من مادة الجص المزخرف وذلك قبيل عصر الدولة الصليحية[٤٦].

يتوسط محراب جامع السيدة بنت أحمد جدار القبلة كما فى الجوامع والمساجد الفاطمية كالأزهر والحاكم بأمر الله ويعد محراب هذا المسجد قطعة فنية جميلة حيث يتوسط كتلة من الجص ويعلو المحراب عقد فاطمى ذو أربعة مراكز وإطار عريض حمل على عمودين ويزخرف طاقيته شكل المحارة بينما يملأ تجويفه زخرفة نباتية لعنصر ورقة العنب الخماسية بشكل مكرر ذات الفص الرئيسى المثقوب ويعلو المحراب عقد آخر حمل على عمودين مزخرفين بسلسلة من العقود المدببة بالإضافة إلى زخرفته بالزخارف النباتية والهندسية كما يتميز بالكتابات الكوفية.

هذا وقد احتفظت المحاريب الفاطمية فى مصر كما فى الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله بالمظهر التقليدى وهو المكون من تجويف فى الجدار على هيئة حنية تتوجه نصف قبة حيث يتوسط المحراب جدار القبلة فى الجامع الأزهر وهو من المحاريب المجوفة يتكون من تجويف على شكل حنية يتوجها نصف قبة مزينة بالزخارف الجصية ويتصدره عقد مدبب تدبيباً خفيفاً ويكسو واجهته إطار من

كتابات كوفية من ايات قرآنية ثم يتقدم هذا العقد عقد آخر أوسع منه يرتكز طرفاه على عمودين (لوحة ٤٦).

وفى جامع الحاكم بأمر الله يتوسط المحراب جدار القبلة وبلاطة المجاز، وهو محراب مجوف يتكون من تجويف توج بقبوة من الآجر وكانت تكسوها تركيبة خشبية كما فى جامع الأزهر ويحيط به عقد مدبب يرتكز على عمودين يتصدران المحراب كما كان يحف بكل من جانبيه نافذة مكسوة بستارة جصية وقد اندثرت زخرفة المحراب كما اندثر العمودان[٤٧] (لوحة ٤٧) (شكل ٢٣).

ويتضح من ذلك مدى التشابه بين محرابى الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله وقد تطور شكل المحراب فى مسجد الجيوشى مع احتفاظه بالمظهر التقليدى للمحاريب الفاطمية يتوجه عقد فاطمى ذو أربعة مراكز كان يرتكز طرفاه على عمود من كل جانب وينحصر المحراب فى مستطيل زخرفى، وقد نقش المحراب وعقده وإطاره جميعاً بزخرفة جصية بديعة وامتدت على إطاره المستطيل الزخارف والكتابات الكوفية كأنه ستار مزركش مسدل على هذا الجدار فوق المحراب وعلى جانبيه[٤٨].

وقد تخلف من العصر الفاطمى محراب مسطح للأفضل شاهنشاه فى جامع أحمد بن طولون (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) فى رواق القبلة يزدان بزخارف جصية غاية فى الدقة والإبداع.

وفى مسجد الأقمر يتوسط المحراب جدار القبلة، يتوجه عقد فاطمى يرتكز طرفاه على عمودين أما فى مسجد السيدة رقية فقد تميز بتعدد المحاريب ففى المسجد خمسة محاريب ثلاثة صفت فى جدار القبلة، والإثنان الآخرن فى البلاطة التى تتقدم رواق القبلة، وأهم هذه المحاريب هو المحراب الرئيسى الذى يتوسط جدار القبلة وقد كسى نصفه الأعلى بزخرفة جصية غاية فى الدقة والإتقان (لوحة ٤٨، ٤٩).

كما يتشابه مع مجموعة المحاريب الفاطمية السابقة محراب جامع الصالح طلائع باستثناء اندثار زخارفه.

ويتضح مما سبق تأثر محراب جامع السيدة بنت أحمد بالمحاريب الفاطمية من حيث عقوده الفاطمية ذات الأربعة مراكز كما فى محراب الجيوشى والإطارات المستطيلة بزخارفها الجصية النباتية ذات الكتابات الكوفية تلك الزخارف التى بدأت فى الأزهر وتطورت فى الحاكم ثم فى الجيوشى.

وقد أشارت الباحثة بربارة فنستر إلى وجود تأثيرات إيرانية على محراب جامع السيدة بنت أحمد، وفى الوقت نفسه ذكرت عدم وجود تأثيرات فاطمية[٤٩]، فى حين أنها لم تذكر لنا ما هى هذه التأثيرات واتفق مع ماذكرته بربارة فنستر فى الشكل العام لمحراب جامع السيدة بنت أحمد والذى يختلف عن أشكال المحاريب الفاطمية بإستثناء محراب الأفضل شاهنشاه المسطح فى جامع أحمد بن طولون والمتأثر بالمحاريب الفارسية أيضاً من حيث الشكل العام فقط.

أما من حيث تفاصيل المحراب فى جامع السيدة بنت أحمد فقد جاءت متشابهة تماماً وتفاصيل المحاريب الفاطمية وتتضح هذه الصلة الواضحة فى ما يلى :

* العقود الفاطمية التى تأثر بها جامع السيدة بنت أحمد بصفة عامة.

* الزخارف الجصية البديعة والإطارات المستطيلة الجصية التى تشبه تماماً محراب الجيوشى.

* الكتابات الكوفية التى على مهاد من الزخارف النباتية.

المـــــآذن :

المئذنة اليمنية على جانب كبير من الأهمية نظراً لتميزها إلى حد ما عن غيرها من مآذن العالم الإسلامى ولعل السبب فى ذلك زخرفتها بالزخارف البديعة من مادتى الطابوق والجص فى أشكال يغلب عليها الطابع الهندسى، بالإضافة إلى الكتابات والزخارف النباتية.

تتكون المئذنة اليمنية عامة من قاعدة مربعة الشكل مشيدة من مادة الحجر وتكون عادة مرتفعة، ويقوم عليها عدة دورات أو طوابق مستديرة ومثمنة الشكل ومزخرفة بعناية تامة ويعلو هذه الأبدان أحواض (شرفات) متسعة مزدانة من الخارج بأشكال المقرنصات، وأن كان أيضا يغلب استخدام العقود والمحاريب والتجاويف والحنايا الصماء فى زخرفة طوابقها وفى أحيان أخرى يقسم البدن إلى ستة عشر ضلعاً بواسطة خطوط رأسية سميكة من مادة الجص، وفى معظم الأحيان تكون المئذنة ملحقة بالمسجد وفى أحيان قليلة تنفصل عن البناء(٥٠).

توجد مئذنتان بجامع السيدة بنت أحمد فى الناحية الجنوبية أحداهما فى الناحية الشرقية والأخرى فى الناحية الغربية.

وفى المئذنة الشرقية جاء التكوين المعمارى من قاعدة حجرية مربعة مرتفعة يعلوها بدن مثمن ثم بدن من ستة عشر ضلعاً يلى ذلك حوض (شرفة) ثم بدن مثمن قصير تعلوه قبة صغيرة مضلعة الشكل.

المئذنة الغربية ذات قاعدة مربعة الشكل يعلوها بدن مثمن ثم بدن من ستة عشر ضلعاً يعلوه بدن آخر مستدير ثم نجد بدناً مستديراً آخر ثم شرفة يعلوها بدن مثمن تتوجه قبة.

وفى المساجد الفاطمية فى مصر يشتمل جامع الحاكم بأمر الله على مئذنتين تقعان فى الركنين الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى وتبرزان عن الجدار الخارجى ويرتفع معطفاً مئذنتى جامع الحاكم بأمر الله إلى مستوى سطح المسجد، ويظهر المعطف الذى يحيط بالمئذنة الغربية أما غطاء المئذنة الشمالية فقد توارى خلف إضافات بدر الجمالى المتصلة بسور القاهرة بين بابى النصر والفتوح مما يدل على أن بناء هذين المعطفين يسبق عصر بدر الجمالى(٥١). (لوحة ٥٠، ٥١) (شكل ٢٤، ٢٥).

ويتألف الجزء الأصلى من المئذنة الشمالية من قاعدة مربعة يعلوها طابق إسطوانى، أما المئذنة الغربية فمن قاعدة مربعة يعلوها طابق مثمن أما باقى الأجزاء فى المئذنتين فترجع إلى عهد السلطان الناصر محمد، على يد الأمير بيبرس الجاشنكير.

وفى مسجد الجيوشى تعد المئذنة من أهم المآذن المصرية الأولى حيث تعد من أقدم المآذن الباقية.

بنيت المئذنة من الآجر وأزيل عن أجزائها العليا طبقة الجص وهى من قاعدة مربعة مرتفعة وفى أعلاها نجد صفين من المقرنصات، ويعلو القاعدة المربعة طابق مربع آخر من الآجر مشطوف الأركان أصغر حجما من مربع القاعدة، وتتوسط كل جانب من جوانب المربع نافذة مرتفعة ويعلو هذا الطابق طابق مثمن الشكل فى كل جانب من جوانبه نافذة معقودة ثم تتوج المئذنة قبة من الآجر، ويعد هذ أول استعمال للطابق العلوى المثمن. ويقوم وجه الشبه بين مئذنة الجيوشى ومئذنة القيروان على وجود ثلاثة طوابق أساسية الأول هو القاعدة المربعة الشكل ثم الطابق الثانى من مربع أصغر حجما والثالث من جوسق قائم تعلوه قبة إلا أن مئذنة الجيوشى تختلف عن مئذنة القيروان فى أن طابقها العلوى مثمن الشكل بينما طابق مئذنة القيروان جاء مربعا.

وقد ذكر الباحث جمال عبد الرءوف أن منطقة مصر العليا تحوى ست مآذن يرجح نسبتها للعصر الفاطمى طبقاً لتأريخ إحداها وهى مئذنة إسنا وتؤرخ[٥٢] بـ سنة (٤٧٤هـ/ ١٠٨١م - ١٠٨٢م) وهى مآذن أصفون وبهجورة وهو والجامع العمرى بأسوان والجامع العمرى بإدفو[٥٣]. أما مئذنة أسوان (مئذنة الطابية)[٥٤]. ومئذنة المشهد البحرى (مئذنة بلال)[٥٥]. فقد أرجعهما الباحث جمال عبدالرءوف للنصف الثانى من القرن الثانى الهجرى / القرن الثامن الميلادى[٥٦].

أما مرحلة الانتقال بين هاتين المئذنتين اللتين ترجعان إلى العصر العباسى بمصر العليا وبين مآذن العصر الفاطمى فتتمثل فى مئذنة جامع أبى الحجاج بالأقصر لأنها تعتبر أكثر تقدما.

أما مآذن العصر الفاطمى التى أرجعها الباحث جمال عبد الرءوف إلى العصر الفاطمى فهى مئذنة الجامع العمرى بإسنا[٥٨]. (٤٧٤هـ/ ١٠٨١-١٠٨٢م)

وقاعدة هذه المئذنة مربعة يعلوها طابق إسطوانى مسلوب أما الطابق الثانى فهو مثمن يعلوه جوسق مثمن تعلوه قبة[٥٩].

أما مئذنة الجامع العمرى بأصفون[٦٠]. فقاعدتها مربعة يعلوها طابق مثمن والطابق الثانى جاء اسطوانيا أما الطابق الثالث فمثمن الشكل والجوسق مثمن تعلوه قبة كما فى مئذنة الجامع العمرى بإسنا[٦١].

أما مئذنة الجامع العمرى ببهجورة[٦٢]. فقاعدتها مربعة يعلوها طابق مثمن والطابق الثانى جاء اسطوانيا أما الطابق الثالث فمن مثمن يعلوه جوسق مثمن تعلوه قبة مضلعة على غير باقى المآذن[٦٣].

أما مئذنة الجامع العمرى بهو فقاعدتها مربعة يعلوها طابق مثمن، أما الطابق الثانى فقد جاء اسطونيا مسلوباً ولايوجد بهذه المئذنة طابق ثالث والجوسق مثمن تعلوه قبة[٦٤].

أما مئذنة الجامع العمرى بأسوان[٦٥]. فقاعدتها مربعة وطابقها الأول مربع وقد خلت المئذنة من وجود الطابق الثانى اما الجوسق فمن مثمن تعلوه قبة.

أما مئذنة الجامع العمرى بإدفو[٦٦]. فقاعدتها بنيت على غير نمط المآذن السابقة حيث جاءت مستطيلة وليست مربعة تتوسطها دعامة بنائية وسطى يدور حولها سلم المئذنة ويعلو القاعدة منطقة إنتقال عبارة عن عوارض خشبية قصيرة تعلو الأركان الأربعة العليا لقاعدة المئذنة ولاتظهر من الخارج شأنها فى ذلك شأن المآذن السابقة والطابق الأول لهذه المئذنة جاء مثمناً مسلوباً إلى أعلى يعلوه جوسق مثمن تعلوه قبة[٦٧].

أما مئذنة مشهد أبى الغضنفر (٥٥٢هـ/١٥٥٧م) فهى المثل الوحيد للمآذن الفاطمية فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى كما أنها تمثل مرحلة من مراحل التطور التى مرت بها المئذنة الفاطمية ولاتختلف كثيراً عن مئذنة الجيوشى فإن قاعدتها المربعة تزيد إرتفاعاً عن قاعدة الجيوشى وتنتهى القاعدة بشرفة تتكىء على مساند خشبية ومادة بنائها من الآجر، وتخلو هذه المئذنة من

وقاعدة هذه المئذنة مربعة يعلوها طابق إسطوانى مسلوب أما الطابق الثانى فهو مثمن يعلوه جوسق مثمن تعلوه قبة[٥٩].

أما مئذنة الجامع العمرى بأصفون[٦٠]. فقاعدتها مربعة يعلوها طابق مثمن والطابق الثانى جاء اسطوانيا أما الطابق الثالث فمثمن الشكل والجوسق مثمن تعلوه قبة كما فى مئذنة الجامع العمرى بإسنا[٦١].

أما مئذنة الجامع العمرى ببهجورة[٦٢]. فقاعدتها مربعة يعلوها طابق مثمن والطابق الثانى جاء اسطوانيا أما الطابق الثالث فمن مثمن يعلوه جوسق مثمن تعلوه قبة مضلعة على غير باقى المآذن[٦٣].

أما مئذنة الجامع العمرى بهو فقاعدتها مربعة يعلوها طابق مثمن، أما الطابق الثانى فقد جاء اسطونيا مسلوباً ولايوجد بهذه المئذنة طابق ثالث والجوسق مثمن تعلوه قبة[٦٤].

أما مئذنة الجامع العمرى بأسوان[٦٥]. فقاعدتها مربعة وطابقها الأول مربع وقد خلت المئذنة من وجود الطابق الثانى اما الجوسق فمن مثمن تعلوه قبة.

أما مئذنة الجامع العمرى بإدفو[٦٦]. فقاعدتها بنيت على غير نمط المآذن السابقة حيث جاءت مستطيلة وليست مربعة تتوسطها دعامة بنائية وسطى يدور حولها سلم المئذنة ويعلو القاعدة منطقة إنتقال عبارة عن عوارض خشبية قصيرة تعلو الأركان الأربعة العليا لقاعدة المئذنة ولاتظهر من الخارج شأنها فى ذلك شأن المآذن السابقة والطابق الأول لهذه المئذنة جاء مثمناً مسلوباً إلى أعلى يعلوه جوسق مثمن تعلوه قبة[٦٧].

أما مئذنة مشهد أبى الغضنفر (٥٥٢هـ/١٥٥٧م) فهى المثل الوحيد للمآذن الفاطمية فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى كما أنها تمثل مرحلة من مراحل التطور التى مرت بها المئذنة الفاطمية ولاتختلف كثيراً عن مئذنة الجيوشى فإن قاعدتها المربعة تزيد إرتفاعاً عن قاعدة الجيوشى وتنتهى القاعدة بشرفة تتكىء على مساند خشبية ومادة بنائها من الآجر، وتخلو هذه المئذنة من

الطابق الرابع الثانى الذى وجد فى مئذنة الجيوشى كما أن طابقها المثمن إزداد تناسقاً وجمالاً فى جوانبه نوافذ تعلوها فتحات مفصصة أما قبتها فتتفق وقبة مئذنة الجيوشى فى قطاعها وتختلف عنها فى أن سطحها الخارجى مفصص أو مقسم إلى ضلوع بارزة، ويوجد بين القبة والطابق المثمن رقبة مثمنة الشكل فى كل جانب منه نافذة.

مما سبق يتضح أنه من حيث مواضع المآذن فى المساجد الفاطمية السابقة فإن مئذنتى جامع السيدة بنت أحمد (شكل ٢٢) تأثرتا بمئذنتى جامع الحاكم بأمر الله من حيث وقوعهما فى ركنى الرواق المقابل لرواق القبلة حيث وضعا على صف واحد ولكن الإختلاف تمثل فى أن مئذنتى جامع الحاكم بأمر الله بنيتا خارج سمت الجدار أما فى جامع السيدة بنت أحمد فنجد أنهما بنيتا داخل سمت الجدار.

التغطيات :

استخدم المعمار اليمنى فى عصر الدولة الصليحية فى جامع السيدة بنت أحمد الأسقف الخشبية فى التغطية وفق أسلوب فنى وصناعى يعرف بالمصندقات الخشبية وتعتبر هذه السقوف من أهم مميزات العمارة الدينية اليمنية الإسلامية وتتميز بها بلاد اليمن وقد إزدانت هذه الأسقف بزخارف غاية فى الدقة والإتقان تعكس التطور الفنى والذاتية اليمنية فى الفن ويمثل السقف فى جامع السيدة بنت أحمد من خلال مصندقاته مرحلة متطورة من السقوف اليمنية وعلى الرغم من تجديد هذا السقف فى عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) فإنه يحتفظ بجزء قديم فى البلاطة الوسطى يعطى فكرة واضحة عن هذه المصندقات فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى(٦٨).

وقد تأثر جامع السيدة بنت أحمد فى ذلك بما وجد فى جامع شبام كوكبان وجامع صنعاء الكبير من خلال الزخارف، أما من حيث نوعية حمل السقف فقد وضع فوق كمرات تحمله أعمدة وبدنات وهو مايوجد فى جامع شبام كوكبان

أيضاً حيث حمل السقف مباشرة فى رواق القبلة على أعمدة بواسطة عوارض وهو الأمر الذى اختلف عن جامع صنعاء الكبير حيث حمل السقف على عقود تعلو أعمدة.

وقد عوض المعمار اليمنى عدم استخدام العقود فى رفع السقف باستخدام أعمدة ودعائم مرتفعة وكذلك عوارض خشبية وذلك فى رواق القبلة.

أما سقف بلاطة المجاز فى جامع السيدة بنت أحمد فقد ارتفع عن بقية السقف فى رواق القبلة وإلى جانب الأسقف الخشبية التى استخدمها المعمار اليمنى فى التغطية فى جامع السيدة بنت أحمد نجده يستخدم أيضاً قبة يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن مقامة على حنايا ركنية عميقة وتوجد تجاويف تزخرف المساحات بين مناطق الأنتقال.

وعلى الرغم من وجود هذه القبة فإنه يمكن القول إن القبة فى عصر الدولة الصليحية لم تسهم بدور كبير فى التغطية حيث خلت البلاطة التى تتقدم المحراب من القباب الثلاث التى وجدت فى جامعى الأزهر والحاكم بأمر الله.

إضافة إلى ذلك فإن أسقف الأروقة الجانبية فى جامع السيدة بنت أحمد كانت محمولة على بائكات تسير عقودها عمودية على جدار القبلة فى الرواقين الشرقى والغربى وموازية فى الرواق الجنوبى ومن ذلك نلحظ أن الجامع جمع بين أسلوبين أسلوب التغطية المحمول مباشرة على أعمدة ودعائم عن طريق عوارض خشبية وذلك فى رواق القبلة إلى جانب أسلوب التغطية المحمول على عقود تعلو أعمدة فى الأروقة الجانبية.

أما فى مصر فى العصر الفاطمى فقد تميزت معظم المساجد الفاطمية بأن السقف حمل على بوائك ففى الجامع الأزهر تمكن المعمار الفاطمى بواسطة الأعمدة والعقود التى تعلوها ثم إقامة جدار فوق العقود من رفع سقف المسجد إلى علو يزيد عن ضعف إرتفاع الأعمدة مع تيجانها وقواعدها وذلك بإضافة الحدارات من ناحية، ومن ناحية أخرى بإتخاذ العقود المدببة بالإضافة إلى الجدار الذى يعلو العقود.

والسقف الحالى غير مزخرف، وقد يعطى هذا إنطباعاً بأن السقوف الفاطمية فى المساجد كانت غير مزدانة بالزخارف خاصة وأنه لم يتخلف لنا من السقف الخشبى لجامع الحاكم بأمر الله، بقايا قديمة نستدل من خلالها هل كانت الأسقف الخشبية مزدانة بالزخارف أم لا؟ وبالبحث فى المصادر التاريخية أمكن الاستدلال على أن المعمار الفاطمى قد إعتنى إلى حد كبير بعنصر الأسقف الخشبية فى المسجد وذلك وفق ما أورده المؤرخ المقريزى عن جامع القرافة ونصه :

«والسقوف مزوقة ملونة كلها والحنايا والعقود التى على العمد مزوقة بأنواع الأصباغ»(٦٩).

ويدل هذا النص على أن جامع القرافة كان يزدان من خلال سقوفه بزخارف بديعة ملونة وهو يسبق جامع السيدة بنت أحمد حيث شيد جامع القرافة سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن مسجد الصالح طلائع كان يزدان من خلال سقوفه بالزخارف الملونة يدل على ذلك سقف الظلة التى تتقدم المدخل الشمالى الغربى والتى تزدان بزخارف نباتية وهندسية غاية فى الدقة والإتقان تمثل مرحلة متطورة من الزخارف الفاطمية (لوحة ٥٢)، وهى تشبه تماماً الزخارف النباتية التى وجدت على الروابط الخشبية فى المساجد الفاطمية وكذلك فى الحدارات الخشبية وإن كانت هنا فى مسجد الصالح طلائع تمثل قمة تطورها فى العصر الفاطمى مما يجعلنى أؤكد أن الأسقف الخشبية فى المساجد الفاطمية منذ الجامع الأزهر حتى جامع الصالح طلائع كانت تزدان بزخارف بديعة ملونة.

ومن ذلك يتضح أن المعمار الفاطمى كان له فضل السبق فى زخرفة الأسقف الخشبية فى المساجد الفاطمية على المعمار الصليحى إضافة إلى أنه يتضح فى زخارف الأسقف الخشبية فى جامع السيدة بنت أحمد الطابع اليمنى المحلى، ويتضح ذلك فى وجود الأشكال الكبيرة الثمانية الأطراف التى تحيطها أوراق

ثلاثية مثقوبة فى فصها الأوسط وأشكال الورود والشرائط المجدولة، وإلى جانب الأسقف الخشبية فى الجامع الأزهر نجد أن المعمار الفاطمى استخدم نوعاً آخر من التغطية يتمثل فى القباب فقد كانت البلاطة التى تتقدم المحراب تحتوى على ثلاث قباب عميقة مقامة على حنايا ركنية واحدة أمام المحراب وواحدة فى كل طرف من طرفى البلاطة، هذا بالإضافة إلى أن المعمار الفاطمى فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله أوجد قبة عميقة مقامة على حنايا ركنية هى قبة البهو التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن وفى جامع الحاكم بأمر الله حمل السقف الخشبى على عقود ترتكز على دعائم، أما سقف بلاطة المجاز فكان أكثر إرتفاعاً بما يقرب من (٣م) عن سقف رواق القبلة والأروقة الجانبية، وقد شغلت هذه الزيادة بجدار أقيم فوق قمة العقود أعلى من ذلك الذى أقيم فى بلاطة المجاز فى الجامع الأزهر فوق العقود على جانبى بلاطة المجاز وكما كان الحال فى الجامع الأزهر فإننا نجد أن المعمار الفاطمى فى جامع الحاكم استخدم أيضاً القباب فى التغطية فأقام ثلاث قباب على غرار قباب الجامع الأزهر التى اندثرت وهذه القباب عميقة تتميز بأنها قائمة فى جامع الحاكم بأمر الله.

وفى مسجد الجيوشى شيدت الأسقف من الآجر على هيئة قبوات متداخلة وسقفت القاعتان اللتان تجاوران الصحن بالآجر وعلى كل منهما قبوة اسطوانية الشكل، والقبوات المتداخلة تمثل نوعاً آخر من التغطيات استخدمه المعمار الفاطمى إلى جانب الأسقف الخشبية والقباب العميقة ومسجد الجيوشى هو المسجد الوحيد الذى استخدم المعمار الفاطمى فى تغطيته القبوات المتقاطعة وإنما يرجع ذلك إلى وظيفة المسجد الحربية.

وفى مسجد الأقمر سقفت البلاطة التى تتقدم المحراب بسقف خشبى مسطح يرتكز من جهة على جدار القبلة ومن جهة أخرى على عقود أعمدة البائكة الأولى أما فى البلاطة الثانية والثالثة والأروقة الجانبية فمن قباب من الآجر سقفت قاعات المسجد بسقوف خشبية وعلى ذلك نجد أن المعمار الفاطمى جمع بين تغطيات السقوف الخشبية فى البلاطة التى تتقدم المحراب والقباب الضحلة فى

بقية بلاطات المسجد وهو الأمر الذى نجده لأول مرة فى العمارة الدينية الفاطمية، وقد أقيمت فى العصر الفاطمى قباب ضحلة حجرية مقامة على مثلثات كروية فى بوابات القاهرة الفاطمية التي أقامها بدر الجمالى فنجدها فى ممر بوابة الفتوح وفى ممر بوابة زويلة، أما قباب الأقمر فمن الآجر، إذ أن الوظيفة المعمارية هنا مختلفة تماماً عما هى عليه فى بوابات القاهرة وقد استخدم المعمار الفاطمى أيضا السقوف المبنية أو الأقبية ونجد هذا النوع من التغطية على الممرات الواقعة فى البوابات فى جامع الحاكم وفى مسجد الجيوشى وفى مسجد الأقمر وفى مسجد الصالح طلائع.

وفى مسجد الصالح طلائع غطيت أروقته والسقيفة التى تتقدمه فى الناحية الشمالية الغربية بأسقف خشبية محلاة بالزخارف المنقوشة وهذه الأسقف مقامة على عقود محمولة على أعمدة وهى مرتفعة كما فى الجامع الأزهر حيث أقام المعمار الفاطمى فوق العقود جداراً حاملاً للسقف.

وقد تأثر جامع السيدة بنت أحمد من خلال سقف المجاز بما وجد فى جامعى الأزهر والحاكم وبصفة عامة يمكن القول إن المعمار الفاطمى سبق المعمار الصليحى بحوالى مائة عاما فى زخرفة سقوف المساجد، غير أننا نلاحظ على زخارف السقف الخشبى فى رواق القبلة فى جامع السيدة بنت أحمد الطابع اليمنى المحلى الذى يعتبر إمتداداً لما وجد فى جامع شبام كوكبان.

الأعمدة والدعائم :

اختلفت أشكال الأعمدة والدعائم إلى حد كبير داخل العمائر الدينية الإسلامية اليمنية حيث جاءت الأعمدة فى بعضها على شكل مستدير ذى محيط كبير كما فى الجامع الكبير فى صنعاء حيث ترتكز عليها العقود وفى البعض الآخر كانت ذات إرتفاعات كبيرة بحيث يرتكز عليها السقف مباشرة كما فى جامع شبام كوكبان كما وجدت الأعمدة القصيرة التى ترتكز على قواعد أو ربما ترتكز مباشرة على مستوى الأرض، وبعض الأعمدة نقل من مواضع وأماكن ترجع إلى ماقبل

الإسلام كما فى كثير من البلاد الإسلامية الأخرى، كذلك يكثر وجود الأعمدة المثمنة الشكل. أما فيما يتعلق بالدعائم فقد تنوعت ما بين القطاع المربع والمستطيل(٧٠).

استمر استخدام هذه الأعمدة والدعائم فى جامع السيدة بنت أحمد فنجد فى رواق القبلة أن المعمار الصليحى استخدم صفوفاً من الأعمدة موازية لجدار القبلة تعلوها عوارض خشبية.

أما البلاطة الوسطى (المجاز) فقد استخدمت فيها الأعمدة والدعائم عمودية على جدار القبلة تعلوها عوارض خشبية وتسير بشكل عمودى على جدار القبلة ويتضح ذلك بوضوح فى مسقط الدعائم المستطيلة، واختلف هذا النظام عن نظام الجامع الأزهر. فى أن رواق القبلة فى الجامع الأزهر جاء من بوائك وكذلك الحال فى جامع الحاكم ولم تستخدم الأعمدة فى جامع الحاكم بل استخدمت الدعامات واختلفت أشكال الأعمدة والدعائم فى جامع السيدة بنت أحمد حيث وجدت الأعمدة المسدسة والمثمنة والمستديرة فى رواق القبلة وكذلك فى الأروقة الجانبية وكذلك الدعائم اختلفت أشكالها ما بين الدعائم ذات المسقط المربع والدعائم ذات المسقط المستطيل وقد اقتصر وجودها على رواق القبلة.

تعلو هذه الأعمدة والدعائم تيجان مستطيلة ومربعة أما فى مصر فى العصر الفاطمى فقد امتدت صفوف الأعمدة فى رواق القبلة فى الجامع الأزهر فى موازاة جدار القبلة حاملة العقود المدببة، أما أعمدة بلاطة المجاز فهى عمودية على جدار القبلة، والأعمدة فى بيت الصلاة منفردة وكانت تبدأ فى رواق القبلة كما تنتهى ملتصقة بالجدار الشرقى أو الغربى للمسجد، وتعلو تيجان هذه الأعمدة حدارات خشبية والأعمدة المطلة على الصحن فى عهد جوهر الصقلى كانت مزدوجة وهى أعمدة مستجلبة من عمائر سابقة على الإسلام (لوحة ٢٧).

ويتصدر محراب الجامع الأزهر عقد يحيط به عقد ثان يرتكز طرفاه على عمودين بكل منهما تاج ناقوسى، وفى جامع الحاكم استخدم المعمار الفاطمى

الدعائم بدلاً من الأعمدة كما هو الحال فى جامع أحمد بن طولون (شكل ٢٠) وتمتد صفوف الدعامات فى رواق القبلة بعقودها موازية فيما عدا بلاطة المجاز.

وترتكز عقود قبة محراب جامع الحاكم بأمر الله على زوجين من الأعمدة عبارة عن زوج فى كل جانب، ولهذه الأعمدة تيجان وقواعد على شكل ناقوسى على نمط أعمدة محراب الأزهر وتقوم هذه القواعد الناقوسية على قواعد حجرية.

وتشرف بلاطة المجاز فى جامع الحاكم على الصحن بعقد مدبب يرتكز على عمودين على نمط أعمدة قبة المحراب وكان يتصدر محراب جامع الحاكم عمودان.

وفى مسجد الجيوشى نجد أن الأعمدة التى تحمل العقود مزدوجة صنعت من الرخام تشتمل على تاج ناقوسى وقاعدة على شكل التاج على شكل مقلوب.

وفى مسجد الأقمر استخدمت الأعمدة والدعائم، فقد ارتكزت العقود فى أركان الصحن على أربع دعامات وإنها عدا ذلك ترتكز على أعمدة وقد جلبت هذه الأعمدة من عمائر قديمة على الإسلام على غرار أعمدة الجامع الأزهر وتعلو هذه الأعمدة حدارات من ألواح خشبية ويتوج محراب الأقمر عقد يرتكز طرفاه على عمودين من قواعد وتيجان ناقوسية الشكل.

وفى مسجد السيدة رقية استخدمت الأعمدة المزدوجة داخل رواق القبلة، وفى البلاطة التى تتقدمه والتى تشرف على الصحن (لوحة ٥٣).

وفى مسجد الصالح طلائع استخدمت الأعمدة الرخامية ووضعت تحتها مكعبات حجريةووضعت فوقها تيجان قديمة والأعمدة طويلة، كما استخدمت الدعامات النحيفة فى الجدران لحمل أطراف العقود (لوحة ٥٤).

ويتصدر محراب مسجد الصالح طلائع عمودان بواقع عمود فى كل جانب من قاعدة وتاج على هيئة ناقوسية وأعمدة مسجد الصالح طلائع مستجلبة من عمائر سابقة على الإسلام.

العقـــود :

تنوعت وتعددت أشكال العقود فى العمارة الإسلامية عامة، هذا وقد استخدم المعمار اليمنى فى جامع السيدة بنت أحمد بشكل واضح العقود المدببة ذات المركزين وذات الأربعة مراكز، ويقتصر وجودها فى رواق القبلة على البائكتين اللتين تطلان على الصحن بينما استخدمت العقود فى بقية بائكات الأروقة الثلاثة الجانبية وهى الشرقية والغربية والجنوبية وإلى جانب استخدام العقد المدبب فى الجامع فقد وجد أيضا فى مشهد السيدة بنت أحمد وقد تنوع العقد المدبب فى المسجد والمشهد بين العقد المدبب ذى المركزين والعقد المدبب ذى الأربعة مراكز (شكل ٢٢).

وتظهر العقود المدببة ذات المركزين فى البائكة الرابعة التى كانت تشرف على الصحن قبل زيادة البائكة التى تتقدم رواق القبلة وتشرف على الصحن.

وتتشابه هذه العقود وما وجد فى الجامع الأزهر وجامع الحاكم إلا أنها فى جامع السيدة بنت أحمد تعتبر تطوراً طبيعياً للعقود المدببة التي ظهرت فى المساجد اليمنية قبل عصر الدولة الصليحية، كما ان هذه العقود فى العمارة الفاطمية تعد إمتداداً لما وجد فى مقياس النيل وجامع أحمد بن طولون، وإلى جانب العقد المدبب الذى يتكون من إطار واحد وجد العقد المدبب المركب أى العقد الذى يتكون من إطارين متتابعين، ومن العقود التى بقيت فى جامع السيدة بنت أحمد على هذا النمط عقدان من بائكة الرواق الجنوبى التي تطل على الصحن ويقعان على يسار الواقف أمام هذه البائكة من الصحن، وهما خاليان من الزخرفة.

وقد وجدت أشكال العقود المركبة قبل جامع السيدة بنت أحمد فى جامع شبام كوكبان وتتشابه هذه العقود من حيث تكوينها وعقود مسجد الأقمر المطلة على الصحن والتى تتكون من عقدين مزدوجين متتابعين وقد ظهرت أيضا فى جامع السيدة بنت أحمد عقودا مدببة تمثل مرحلة متطورة وتقترب إلى حد كبير من

العقود المدببة ذات الأربعة مراكز، وتظهر هذه العقود فى البائكة التى تطل على الصحن من الناحية الجنوبية (شكل ٢٢).

وهذه العقود وإن لم ترق إلى ما وصلت إليه العقود المدببة الفاطمية ذات الأربعة مراكز إلا أنها متأثرة بها إلى حد كبير لأنه لم يعثر على مثل هذا التطور فى المساجد اليمنية السالفة الذكر لذلك فهو يعد من التأثيرات الفاطمية على العمارة اليمنية فى عصر الدولة الصليحية، ويرجح ماسبق أيضا العقود التى تتصدر محراب جامع السيدة بنت أحمد فهى تقترب كثيراً من العقود الفاطمية وخاصة فى سلسلة العقود التى تعلو تجويف المحراب.

كذلك فى التجاويف التى يزدان بها المشهد فى واجهتيه الشرقية والجنوبية.

أما فى مصر فى العصر الفاطمى فقد تميزت العقود فى رواق القبلة فى الأزهر بأنها صفت موازية لجدار القبلة فيما عدا العقود التى تحف ببلاطة المجاز فقد صفت فى اتجاه عمودى على جدار القبلة.

والعقود فى الجامع الأزهر من النوع المدبب ذى المركزين وتميزت العقود التى تحف ببلاطة المجاز بأنها أكثر إتساعاً من عقود بلاطات رواق القبلة.

ويذكر د. أحمد فكرى أن عقود بلاطة المحراب العمودية بدت عريضة الأكتاف وبدت فتحاتها شبه منفرجة ومن ذلك نلحظ بدايات استخدام العقد المنفرج الفاطمى الذى تميزت به المساجد والمشاهد الفاطمية وأصبح عنصراً من أهم العناصر المعمارية المميزة للعصر الفاطمى.

وقد اشتمل المسجد على نوافذ تعلو عقود البلاطة الوسطى (المجاز) ذات عقود مدببة وصفت عقود الأروقة الجانبية فى اتجاه مواز لجدار القبلة على نمط عقود رواق القبلة فيما عدا الصفين اللذين كانا يطلان على الصحن من الرواقين الشرقى والغربى وأقيمت عقود واجهات الصحن فى الأزهر على غير نظام عقود رواق القبلة والأروقة الجانبية، فهى لاترتقى على حدارات ولكنها ترتقى طبالاً أو قرما خشبية أقيمت فوق تيجان الأعمدة ثم أن تدبيبها وحدبها إزداد وضوحا

وانبطحت أكتافها واتخذت أطرافها شكل الخطوط المستقيمة وهذه هى العقود الفاطمية المنفرجة[٧١].

ونلحظ أيضا هذه العقود متمثلة فى العقود الأربعة التى ترتكز عليها القبة (لوحة ٥٥) التى أقامها الخليفة الحافظ لدين الله على الصحن ويتقدم تجويف المحراب فى الجامع الأزهر عقد مدبب تدبيباً خفيفاً ويتقدم هذا العقد ويحيط به عقد ثان أكبر وأوسع منه، والعقدان المتتابعان فى هذا المحراب مطولان وإلى جانب العقود المدببة استخدمت العقود المقوسة وذلك فى نوائد الجدران المحيطة برواق القبلة وعقود هذه النوافذ من أنصاف دوائر.

وفى جامع الحاكم بأمر الله صفت عقود رواق القبلة موازية لجدار القبلة أما عقود البلاطة الوسطى (المجاز) فهى عمودية فى اتجاه جدار القبلة، والعقود مدببة ترتكز على دعامات وتتكون عقود قبة المحراب من ثلاثة عقود تستند كل من أطرافها الثلاثة على عمودين مزدوجين من الرخام، أما مقرنصات القبة فهى معقودة بعقود مدببة بنيت من ورائها المقرنصات المتوجة بنصف قبة كروية بحيث يظهر العقد المدبب أمامه كأنه إطار بارز وفتحت بين المقرنصات أربع نوافذ معقودة بعقود مدببة وكانت عقود القبتين اللتين فى ركنى بلاطة المحراب الموازية على نفس نمط قبة المحراب من ناحية استخدام العقود المدببة.

تعلو بعض الدعامات بين العقود طاقات مفتوحة معقودة بعقود مدببة وتوجد نوافذ معقودة بعقد مقوس فى الأجزاء العليا من جدران المسجد داخل رواق القبلة كما فتحت نافذة عند كل طرف من أطراف بلاطات المسجد أما فى الأروقة الجانبية فقد فتحت أمام كل فاصل من فواصل بلاطاتها.

وفى مسجد الجيوشى تنوعت العقود فمنها العقد المدبب المطل على الصحن من رواق القبلة يزداد الدبب فيه وضوحا، أما العقدان الصغيران فيزداد الأنتفاخ فيهما وضوحا وهى بداية العقود الفاطمية أما عقود مقرنصات قبة المحراب فهى ذات أربعة مراكز وكذلك عقود النوافذ التى فتحت فى القبة وفى الطابق المثمن توجد نوافذ معقودة بعقود مدببة ذات أربعة مراكز.

وفى مسجد الأقمر وجدت العقود الفاطمية وتعد أول مثل واضح لاستخدامها بانتظام فى البناء فى عمارة القاهرة.

وتتكون العقود المبنية من الآجر فى الأقمر من عقدين مزدوجين متتابعين أحدهما خارجى متراجع كأنه إطار للعقد الداخلى، أما عقود رواق القبلة والأروقة الجانبية فهى غير مزخرفة.

ويعلو مدخل مسجد الأقمر طاقة كبيرة معقودة بعقد مدبب أما الجناح الأيسر من الواجهة فتتوسطه طاقة معقودة بعقد مدبب، والقسمان الرأسيان الجانبيان يشمل كل منهما طاقة مستطيلة مطولة يتوجها عقد على هيئة محارة.

أما فى مسجد السيدة رقية فقد اقتصرت العقود الفاطمية على عقود البلاطة التى تتقدم رواق القبلة على الصحن ولم تستخدم داخل رواق القبلة إلا فى المحاريب المجوفة فرؤوسها على هيئة محارة شمسية تنبثق ضلوعها من دائرة وسطى وتنتهى أطراف الضلوع على هيئة عقود فاطمية.

وفى مسجد الصالح طلائع صفت العقود موازية لجدار القبلة وهى عقود فاطمية مطولة الأطراف، أما عقود نوافذ جدران المسجد من الداخل فهى جميعها عقود مدببة يحيط بكل منها إطار من عقد فاطمى وينتهى كذلك رأس المحراب المجوف بعقد فاطمى ويظهر أيضاً هذا العقد فى نوافذ تجاويف الواجهات الشرقية والغربية والشمالية.

المشهـــد :

إختلف الآثاريون بشأن تسمية المدافن بالمشاهد فمنهم من ذكر أن إطلاق لفظة المشهد على تلك المدافن ترجع لنظرة الفاطميين لأئمتهم فقد كانوا يرون أنهم استشهدوا فى سبيل نصرة مبادئهم ومن ثم استحقوا درجة الشهادة فالمشهد فى نظرهم هو مكان الشهيد(٧٢).

ومنهم من ذكر أن المشاهد الفاطمية تعتبر شكلاً جديداً للمسجد بمثابة تذكار فوق القبر لكبار الأئمة الذين يستحقون تكريماً خاصاً وقد آثروا إظهار إجلالهم للعقيدة الشيعية(٧٣).

ومنهم من ذكر أن المشهد هو المكان الذى يشاهد فيه شخصاً معيناً سواء كان بالحقيقة أو بالحلم(٧٤).

والواقع أن كلمة المشهد كما تقدم تعنى فى قواميس اللغة مجمع الناس ومحضرهم ومحفلهم وكل ماكان يشهده الخلق ويحتشدون به فهو مشهد وبالربط بين هذا المدلول اللغوى وبين ما يفعله أتباع المذهب الشيعى عندما يأتون من أقصى البلاد وأدناها ويحتشدون لزيارة مرقدى الإمام على بالنجف والإمام الحسين بكربلاء من أجل التبرك بهما نجد أن استعمال كلمة المشهد قد شاعت قديماً وحديثاً لمرقد الأئمة من آل البيت(٧٥).

وأرجح أن بلاد اليمن قد عرفت إقامة المشاهد فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى على يد الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين مؤسس دولة الأئمة الزيدية بصعدة (٢٨٤ - ٢٨٩هـ / ٨٩٨ - ٩١١م) حيث يعد جامع الإمام من أهم المساجد فى مدينة صعدة والذى يضم بداخله عدة مشاهد إذ أن مشهده بداخل المسجد بالإضافة إلى مشاهد بعض الأئمة من سلالته(٧٦).

ويحتمل ان يكون قبل ذلك مع مقدم الداعى ابن حوشب والداعى على بن الفضل عندما أرسلهما الإمام محمد الحبيب أبى عبيد الله المهدى (٢٦٦ - ٢٦٧ هـ) إلى اليمن من الكوفة حيث مقر مشهد الحسين رضى الله عنه.

وقد شيد الصليحيون عدة مشاهد، غير أنه لم يتبق منها غير مشهد السيدة بنت أحمد فى جامعها الكبير بمدينة ذى جبلة.

والإتصال بين المدفن والمسجد فى بناء واحد عرف فى بلاد اليمن قبل عصر الدولة الصليحية، ومن أمثلة المساجد التى تشتمل على مدافن لبعض كبار رجال الدين وغيرهم الجامع الكبير بصنعاء، إذ يوجد به قبر نبى اسمه حنظلة بن صفوان(٧٧).

ثم الجامع الكبير بمدينة صعدة الذى تقدم ذكره ثم المسجد الجامع بذمار حيث دفن القاسم بن الحسين فى عام (٣٧٤ هـ / ٩٨٤م) والقبر فى الركن الشمالى الشرقى للرواق الجنوبى(٧٨).

وهذا المشهد الذى أوجده المعمار الصليحى فى رواق القبلة فى الركن الشمالى الغربى حيث اقتطع المعمار جزء من مساحة من البلاطة التى تتقدم المحراب ليوجد هذا التكوين المعمارى وتخطيط هذا المشهد من شبه مربع يبلغ طول الجدار الشرقى والجدار الغربى به (٣ر٢٥م) أما الجدار الشمالى فيبلغ (٣ر٠٠م) بينما يبلغ الجدار الجنوبى (٣ر٠٥م).

وهناك عدة دلائل على أن هذا المشهد يرجع إلى عصر الدولة الصليحية منها الدخلات المعقودة بعقود ذات أربعة مراكز والتى تشبه العقود فى محراب المسجد وكذلك عقود الأروقة الجانبية إضافة إلى وجود الخط الكوفى المنفذ على أرضية نباتية فى واجهة المشهد الشرقية والجنوبية حيث أنه يشبه إلى حد كبير الكتابات الكوفية فى مصر خلال العصر الفاطمى وكذلك الزخارف النباتية التى نفذ عليها الخط الكوفى.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تؤكد الكتابات الكوفية التى وجدت على هذا البناء ان المعمار شيده مشهداً حيث وظف المعمار الصليحى هذه الكتابات تماماً مع الغرض الذى بنى من أجله.

كذلك الزخارف النباتية التى تماثل تماماً ما وجد فى مصر فى العصر الفاطمى فى المساجد والمشاهد.

وتخطيط مشهد السيدة بنت أحمد (شكل ١٠) بهذا الشكل المربع وجد فى مصر فى العصر الفاطمى ولكنه مر فى مصر بعدة مراحل من التطور فكانت بدايته بسيطة عبارة عن مساحة مربعة تحتوى على أربعة أبواب معقودة بعقد مدبب بواقع فتحة باب فى منتصف كل جانب من جوانب المربع وقد وجد هذا التخطيط

فى العصر الفاطمى فى مشهد القباب السبع[٧٩]. (لوحة ٥٦) (شكل ٢٦) كما وجد هذا التخطيط فى بعض مقابر أسوان[٨٠].

وقد وجد هذا النوع من التخطيط فى المدافن ذى القباب بجبانة صعدة اليمنية[٨١]. وتطور هذا التخطيط فى مصر فتمثلت المرحلة التالية فى وجود محراب فى الجانب القبلى وثلاثة أبواب فى الجوانب الثلاثة الأخرى وتمثل هذا النظام فى قبة الحصواتى فى العصر الفاطمى[٨٢]. (شكل ٢٧) وكذلك وجد هذا النظام فى بعض قباب أسوان[٨٣].

وتطور هذا النظام أيضاً فى العصر الفاطمى حيث قام المعمار الفاطمى بغلق كل الجوانب تاركا مدخل واحد فقط وتمثل هذا النظام فى مشهدى الجعفرى (لوحة ٥٧)[٨٤]. وعاتكة[٨٥]. (شكل ٢٨).

وهو الأمر الذى وجد فى مشهد السيدة بنت أحمد فى اليمن حيث قام المعمار الصليحى بغلق كل الجوانب تاركاً مدخل واحد فقط فى الناحية الجنوبية وقد وجد هذا النظام فى قبة الشيخ يونس[٨٦]. ومشهد أخوه سيدنا يوسف[٨٧]. (لوحة ٥٨) (شكل ٢٩) وقد تطور هذا التخطيط فى مشهد السيدة رقية ٥٢٧ هـ/ ١١٣٣م[٨٨]. (لوحة ٥٩)

أما مشهد يحيى الشبيه[٨٩]. فهو يمثل قمة تطور المشاهد الفاطمية وهو إمتداد للأسلوب الأخير ذى المدخل الواحد (شكل ٣٠) (لوحة ٦٠).

مما سبق نرى كيف تطور تخطيط المربع السفلى للمشهد فى العصر الفاطمى تطوراً كبيراً فمن مجرد مربع مفتوح الجوانب الأربعة إلى مربع مفتوح من ثلاثة جوانب فقط وبالجانب الرابع المحراب إلى مربع مغلق الجوانب فيما عدا الجانب الذى يحتوى على المدخل سواء كان مواجها للمحراب أو فى أحد الجانبين الآخرين وهو الأمر الذى وجد فى تخطيط مشهد السيدة بنت أحمد حيث أوجد المعمار الصليحى مدخلا واحدا فى الجهة الجنوبية.

وأخيراً ما أضيف إلى هذا المربع من مساحتين مسقوفتين وبلاطة موازية لجدر المحراب ذى بائكة ثلاثية تشرف على الصحن الأوسط كما فى السيدة رقية وثلاث بلاطات كما هو الحال فى مشهد يحيى الشبيه وأبى القاسم الطيب(٩٠).

مناطق الإنتقال :

تعد مناطق الانتقال من عناصر الإنشاء الهامة التى أسهمت بدور بارز فى تطور القباب الإسلامية وتنحصر أهميتها فى أنها تساعد على تحويل مربع القبة السفلى إلى شكل مثمن ترتفع فوقه رقبة سطحها الداخلى يتكون من ثمانية أضلاع. ثم دائرة القبة التى تعلوها دائماً.

وعلى الرغم من خلو مشهد السيدة بنت أحمد من هذا العنصر حيث لم يسقفه المعمار اليمنى بأى نوع من أنواع السقوف نجد أن قبة البهو التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن فى جامع السيدة بنت أحمد استخدمت فيها منطقة انتقال عبارة عن حنية ركنية عميقة ولعل الشكل المميز أن يلاحظ وجود تجاويف تزخرف المساحات بين مناطق الانتقال فى توافق معمارى بديع.

وقد بدأت مناطق الانتقال فى العصر الفاطمى بسيطة جداً فهى عبارة عن أربع حنايا كبيرة بواقع حنية فى كل ركن معقودة بعقد مدبب وظهر هذا الشكل البسيط فى قباب جامع الحاكم بأمر الله.

ومن المرجح أن قباب الجامع الأزهر كانت على نفس النمط ثم فى مشهد القباب السبع ثم فى بعض قباب أسوان(٩١). ثم فى القبة التى تعلو المحراب فى مسجد الجيوشى وكذلك القبة التى تعلو المشهد فى الجيوشى وقبة مشهد أخو سيدنا يوسف وقبة البهو فى الجامع الأزهر.

وقد تميزت هذه القباب بأنها مقامة على مقرنص عبارة عن نصف قبة يتصدره عقد كأنه إطار بارز له وهذا العقد فى الحاكم بأمر الله والجيوشى من عشرين متتابعين.

تطورت مناطق الانتقال الفاطمية تطوراً كبيراً حيث شغلت أركانها بحطتين من حنايا المعقودة بعقد مدبب تتكون الحطة الأولى من ثلاث حنايا تعلوها حنية واحدة وتمثل بداية تطور مناطق الانتقال فى مصر فى مشهد الجعفرى (لوحة ٦١ ، ٦٢) وتتماثل مناطق الانتقال فى هذا المشهد مع قبة السيدة عاتكة (لوحة ٦٣) بقلعة المشهد التى أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير[٩٢]. وقبة الشيخ يونس وقبة مشهد الفاطمى فى قوص[٩٣]. وقبة السيدة رقية (لوحة ٦٤) وفى مشهد السبع بنات وسبعين وليا[٩٤].

وتطورت أيضا منطقة الانتقال في قبة يحيى الشبيه (لوحة ٦٥) ومنطقة الانتقال المتطورة عبارة عن عقد ثلاثى الفصوص توجد بين ريشتيه الجانبيتين حنية الشبيه الحنية التى توجد فى كل ركن من أركان مناطق الانتقال الفاطمية البسيطة الأولى، أى أن المعمار عندما أراد أن يطور منطقة الانتقال أخذ الحنية الكبيرة القديمة ووضعها فى موضعها أى بأعلى كل ركن من أركان المربع ولكن بصورة أصغر من الصورة الأولى وجعلها محصورة بين ريشتى العقد الثلاثى الذى يعتبر إضافة جديدة لمناطق الانتقال وقد ظهر هذا العقد فى شرق العالم الإسلامى فى إيران خاصة فى مدينة يزد بمسجدها الجامع ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م وفى المسجد الجامع بمدينة أردستان[٩٥].

وقد ارتبط تطور الفتحات التى تشغل المناطق المحصورة بين المقرنصات بتطور هذه المقرنصات ذاتها فكانت الفتحات فى قباب الجامع الأزهر قبل اندثارها وفى جامع الحاكم بأمر الله وفى القباب السبع وفى الجيوشى وقبة الحافظ لدين الله فى الجامع الأزهر وأخوة سيدنا يوسف والحصواتى معقودة بسيطة التكوين.

وعندما تطورت منطقة الانتقال تطورت الفتحات فأصبحت هذه القباب على هيئة عقد ثلاثى مفتوح وقد وجد هذا التطور فى قباب الجعفرى (لوحة ٦١ ، ٦٢) وعاتكة والشيخ يونس والسيدة رقية ويحيى الشبيه على التوالى.

وقد أوجد المعمار الفاطمى فى المثمن الذى يعلو منطقة الانتقال فتحة ثلاثية العقود فى مشهد القباب السبع وكذلك فى قبة إخوة سيدنا يوسف ثم تطور هذا

الشكل فى قبة الشيخ يونس وبلغ أقصى درجات التطور فى الفتحات التوأمية فى قبة السيدة رقية.

القبـــة :

خلا مشهد السيدة بنت أحمد من عنصر القبة حيث لم يسقفه المعمار الصليحى بأى من أنواع السقوف بل تركه مكشوفا والقبة الوحيدة التى وجدت فى جامع السيدة بنت أحمد هى القبة التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن والتى تقدم ذكرها وبالتالى فهى لم تسهم بدور كبير فى العمارة الدينية فى عصر الدولة الصليحية بينما نجد أن المشاهد الفاطمية فى مصر غطيت معظمها بقباب باستثناء بعض المشاهد التى غطيت بقبوات منها على سبيل المثال مسجد اللؤلؤة الذى غطى بقبوة أسطوانية[٩٦] (لوحة ٦٦). وتعد قبة إخوة سيدنا يوسف وقبة أبو القاسم الطيب إمتداداً للقباب فى المساجد الفاطمية وكذلك الحال فى مشهد الجعفرى والقبة الفاطمية التى أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير وقبة قوص وقبة الشيخ يونس.

تطورت هذه القباب في مشهد السيدة عاتكة (لوحة ٦٧) والسيدة رقية ويحيى الشبيه (لوحة ٦٨) فأصبحت تتجزأ إلى ضلوع تتكون من خطوط مقوسة.

ويذكر د. أحمد فكرى أن مناطق الانتقال الفاطمية مقتبسة من مثيلتها المغربية واستدل على ذلك بتضليعات القباب الفاطمية التى تشبه قبتى المحراب فى القيروان والزيتونة وبأن المظهر الخارجى للقبة واحد فى كليهما ثم التحول من المربع إلى المثمن[٩٧].

هوامش وتعليقات الفصل السابع

(١) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٤١.
بربارة فنستر : تقارير أثرية، ص ص ٤٦ - ٦٣.

(٢) عمر رضا كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب، ص ٣١٦.

(٣) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، المدخل، ص ص ٦٧، ١٩٩ - ٢٠٠.

(٤) د. محمد الكحلاوى : العمارة الإسلامية فى الغرب الإسلامى، عمارة الموحدين الدينية في المغرب - رسالة دكتوراه - كلية الآثار، جامعة القاهرة - (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦).

(٥) Creswel K. A. C. : The muslim Architecture of Egypt Oxford, 1952, p. 59.
Berchem Max van : Une mosqée du temps des Fatimites au Caire, notice surfe Gami el Goyushi, p. 505. p. III
Shafi, F. : The M ashhad Al Guyushi Archaeological, Notes and studies, studies In Islamic Art And Architecture in Honour of professor K.A. C. Creswell, The American University in Cairo, 1965, pp. 245-247.

د. محمد الكحلاوى : العمارة الإسلامية فى الغرب الإسلامى، ص ص ١٧٠-١٧١، ٣٩٤-٣٩٥.

مسجد الجيوشى : يقع على تلال المقطم وقد ذكر Van Berchem أن M. Mehren أشار إلى لوحة من الرخام تعلو المدخل وقد قرأها Van Berchem وذكر تاريخ ٤٩٨هـ ثم أعاد قراءة النص فصحح التاريخ سنة ٤٧٨هـ وذكر Creswell أن اللفظ جاء فى النقش زاوية كما أشارت إلى ذلك أيضا د. سعاد ماهر واستخدم د. فريد شافعى عبارة مشهد مفضلا ذلك لأن هذه العبارة وجدت فى النقش وقد أثبت بأدلة قاطعة أن المشهد

الملحق بالجهة الشمالية الشرقية بالمسجد يرجع إلى نفس العام الذى بنى فيه المشهد وهو فى ذلك يرد على Creswell. Van Berchem اللذان أرجعاه إلى عصر لاحق على المسجد والحق أنه بالنظر إلى ماجاء فى النقش أعتقد أنه يجمع بين صفتين صفة المسجد فى السطر الأول ثم فى السطر الثانى صفة المشهد مما يدل أنه شيد مسجدا يضم مشهدا حتى أن المشهد وضع بارزا عن المسجد فى الجهة الشرقية ولم يكن داخل رواق القبلة كما فى مسجد السيدة رقية (٥٢٧ هـ/ ١١٣٣م).

د. سعاد ماهر : مساجد مصر جـ ١ ص ٢٨٢.

(٦) انظر عن دور المسجد الجامع فى المدينة الأسلامية د. صلاح الدين البحيرى : عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون - حوليات كلية الآداب - الحولية الثالثة - ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢، ص ٥٦.

(٧) جامع الأزهر : ذكر المقريزى ما نصه «أول مسجد أسس بالقاهرة والذى أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى الإمام أبى تميم معد لما إختط القاهرة وشرع فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلثمائة» انظر : المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٧٣.

على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة (الطبعة الثانية ١٣٠٥هـ/ ١٩٥٠م)، جـ٤، ص ٢٩.

(٨) انظر عن جامع الحاكم بأمر الله : المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٧٧.

(٩) Wiet : The Mosques of Cairo, Translated from the French by John. S. Hardman, Librairate Hachette, 1966 p. 103.

(١٠) انظر عن مسجد الأقمر وتاريخه المقريزى : الخطط جـ٢، ص ٢٩٠، على مبارك : الخطط التوفيقية، جـ ٤، ص ١٢٤.

(١١) يذكر Creswell أنه من الصعب أن نعتقد أن القباب التى بالمسجد ترجع إلى البناء الأصلى ويذكر حسن عبد الوهاب أن تغطية السقف بقبوات صغيرة فى العصر الفاطمى سبق إليها بدر الجمالى فى باب النصر والفتوح. انظر:

Creswell : The Muslim, pp. 44, 244.

حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية، ص ٧٢.

(١٢) انظر عن مسجد السيدة رقية : المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٤٦.

(١٣) أنظر عن مسجد الصالح طلائع المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٩٣.
د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ١١٠ حاشية ١.

(١٤) د. سعاد ماهر : مساجد مصر، جـ١، ص ٤٠٥.

(١٥) Creswell : The Muslime, p. 59., Fig. 21.

(١٦) Creswell : The Muslim, p. 280, Fig. 168.

(١٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٧٨.

(١٨) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٧٨.

(١٩) ذكر المقريزى ما نصه «فلما كان فى شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة جدد الأمير الوزير المشير يلبغا بن عبد الله السالمى أحد المماليك الظاهرية وجدد فى صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من بزابيز نحاس» انظر:
المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٩٠.

(٢٠) بربارة فنستر : تقارير أثرية، ص ص ٣٥، ٤١، ٤٨ لوحة رقم ١٧ب، ١٨، ٢٠ب.

(٢١) ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص ١٤٢.

(٢٢) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٢٠.

(٢٣) تصدى د. أحمد فكرى لظاهرة إتساع بلاطة المحراب العمودية (البلاطة الوسطى) وماذكره المستشرقون من أنها بدعة وإنها أشتقت من نظم الكنائس بالدراسة والتحليل أنظر :
د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ص ١٢٦ - ١٣٠.
د. محمد الكحلاوى : العمارة الإسلامية فى الغرب الإسلامى، ص ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٢٤) ناصر خسرو : سفر نامة، ص ٢٢.

(٢٥) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ١٣٥ - ١٤٠.

(٢٦) انظر عن هذا القباب : المقريزى : الخطط، ج٢، ص ٢٧٤.

(٢٧) Pauty (Edmond) : L'Evolution du Dispositifen (T) dans les Mosquèe à portiques, Bulletin des Etudes orientales, institut Francais de Damas Tome. II. 1932. pp. 98-119 & Dispositif deplafond Fatimite, Bulletin de L'institutd' Egypte (Institut Francais le Caire) Tome. XV. 1932-1933 p. 107.

(٢٨) د. محمد الكحلاوى : العمارة الإسلامية، ص ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢٩) بربارة فنستر : تقارير أثرية، ص ٣٥.

(٣٠) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ١٤١.

(٣١) انظر عن قبة البهو فى القيروان

Fikry Ahmed : Lagrand Mosquee de Kairauan, pp. 91-93. fig. 32, 34, 35.

(٣٢) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ١٤٢.

(٣٣) الرازى : تاريخ صنعاء، ص ٢٢٥.

(٣٤) الرازى : تاريخ صنعاء، ص ٥١٦.

(٣٥) فى اليمن محاجر بازلتية سود وأحجار كلسية وجبسية بيض صالحة للبناء وأحجار كالرخام أنظر : عمر رضا كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب، ص ٣٢٧.

(٣٦) ابن المجاور : تأريخ المستبصر، ص ١٦٥.

(٣٧) انظر عن قصر غمدان وأحجاره : الهمدانى : الإكليل جـ٨، ص ص ١٠ - ١١، نشوان الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن، ص ٨١.

(٣٨) ناصر خسرو : سفر نامة، ص ص ٤٨ - ٤٩.

(٣٩) ناصر خسرو : سفرنامة، ص ٥٠.

(٤٠) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ ١، ص ٥١.

(٤١) Creswell : The Muslim, p. 101.

(٤٢) Creswell : The Muslim. p. 101

Pauty. E. : Dispositif de plafond Fatimite. p. 107.

(٤٣) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ص ٣٢، ٤٠، ٤٦.

(٤٤) الحجرى : مساجد صنعاء، ص ٢٥.

(٤٥) د. محمد الكحلاوى : العمارة الإسلامية فى المغرب الإسلامى، ص ٣٩٥.

(٤٦) يذكر الرازى فى تاريخه عن محراب جامع صنعاء ما نصه «كتب الوليد بن عبد الملك إلى أيوب بن يحيى الثقفى بالولاية على صنعاء واليمن وأمره أن يزيد فى مسجد صنعاء ويبنيه بناء جيداً محكماً فبناه أيوب بن يحيى وزاد فيه ولما بنى المحراب وزيد فى المسجد هذه الزيادة كان فى المحراب نقوش ورقات وصنعة عجيبة حسنة باخص عملا معجزا فلما ولى يحيى بن عبد الله بن كليب أمر بهدم تلك النقوش التى كانت فى المحراب وأعاده إلى ما هو عليه الآن من العمل وجصصه بهذا الجص الساذج الذى هو فيه وقد نهى عن تزويق المساجد».

انظر :

الرازى : تاريخ صنعاء، ص ص ٨٥ - ٨٧.

(٤٧) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ٧٣.

(٤٨) يذكر Creswell نقلا عن Flury أن محراب مسجد الجيوشى بلغ قمة التطور فى زخارف المسطحات والكتابات الكوفية. انظر :

Creswell : The Muslim, p. 158. fig. 80.

Van Berchem : Une Mosquee. p. 618. pl.IV.

(٤٩) بربارة فنستر : تقارير أثرية، ص ٣٥.

(٥٠) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٢٤.

(٥١) د. عبد العزيز سالم : المآذن المصرية، ص ١٨.

(٥٢) انظر عن مئذنة إسنا :

حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد، ص ٦٦.

(٥٣) قام بدراسة مآذن أسوان فريقان من الباحثين الفريق الأول بدأه أ. حسن الهوارى

والذى أرجع مآذن أسوان إلى العصر الفاطمى فى نهاية القرن الخامس الهجرى ثم بدأ Creswell من حيث إنتهى أ. حسن الهوارى إذ أرجع المآذن المحصورة ما بين الشلال جنوبا والأقصر شمالاً إلي أعمال الأمير بدر الجمالى محدداً تاريخها ما بين (٤٦٩-٤٧٤هـ/ ١٠٧٧-١٠٨٢م) انظر:

El-Hawary Hassan : Trois Minarets Fatimides Ala Frontiere Nubienne. Bulletin de I'nstitut d'Egypt. TomeXVLL. le Caire-institut Francais - 1935 pp. 141-153.

Creswell : The Muslim, pp. 146-155.

أما الفريق الثانى من الباحثين فقد بدأه إبراهيم شبوح وأرجع مئذنة المشهد البحرى ومئذنة الطابية إلى أواسط القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى.

أما مئذنة المشهد القبلى ومئذنة جامع أبى الحجاج بالأقصر ومئذنة جامع إسنا فأرجعهما إلى العصر الفاطمى إستنادا إلى وجود لقب سعد الدولة على واحدة منها وهى مئذنة إسنا انظر : جمال عبد الرءوف : مساجد مصر العليا الباقية من الفتح العربى حتى نهاية العصر العثمانى دراسة أثرية معمارية - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآثار جامعة القاهرة - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ص ٣٨٣ - ٣٨٨.

(٥٤) مئذنة أسوان (الطابية) إلى الجنوب من فندق كتاراكت بما يقرب من ٧٠٠م تقريباً على ربوة صخرية انظر:

جمال عبد الرءوف : مساجد مصر، ص ١٧، الوصف المعمارى للمئذنة ص ص١٧-٢١.

(٥٥) مئذنة المشهد البحرى (بلال) إلى الجنوب من خزان أسوان ومعابد فيلة بما يقرب من ٣ كيلو على الضفة الشرقية لنهر النيل انظر : جمال عبد الرءوف : مساجد، ص ٢٢، الوصف المعمارى، ص ص ٢٢-٢٥.

(٥٦) جمال عبد الرءوف، مساجد، ص ٣٨٩.

(٥٧) مئذنة أبى الحجاج : تقع فى الميدان المواجه لمحطة قطار مدينة الأقصر على مسافة مايقرب من ٣٠٠م منها مئذنة جامع أبى الحجاج تعلو فوق الجهة الشمالية الشرقية لمعبد الأقصر وتعتبر معلقة لأنها مقامة على أربعة أعمدة جرانيتية من أعمدة معبد الأقصر انظر : جمال عبد الرءوف : مساجد، ص ٣٢، الوصف المعمارى للمئذنة ، ص ص ٣٣ - ٣٦، ٣٨٩.

(٥٨) مئذنة إسنا : لم يتبق من المسجد العمرى العتيق بمدينة إسنا سوى مئذنة فقط والتى كانت تقع بركنه الجنوبى الغربى انظر :

جمال عبد الرءوف، مساجد، ص ٥٤، الوصف المعمارى للمئذنة ص ص ٥٥ - ٥٨.

(٥٩) جمال عبد الرءوف : مساجد، ص ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٦٠) مئذنة الجامع العمرى بأصفون : قرية أصفون تابعة لمركز إسنا ويقع بها حاليا وقد تخلف عن المسجد القديم هذه المئذنة انظر :

جمال عبد الرءوف : مساجد، ص ٥٩، الوصف المعمارى، ص ٥٩ - ٦٢.

(٦١) د. جمال عبد الرءوف : مساجد ، ص ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٦٢) مئذنة الجامع العمرى ببهجورة : تقع بالركن الغربى من الواجهة الشمالية الغربية للمسجد الذى الصق بها فى فترة لاحقة على بنائها إذ أنه يبدو لأول وهلة أنها فقدت مسجدها الأصلى انظر :

د. جمال عبد الرءوف، مساجد، ص ٦٣، الوصف المعمارى، ص ص ٦٤ - ٦٦.

(٦٣) د. جمال عبد الرءوف، مساجد، ص ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٦٤) مئذنة هو : تقع بالبلاطة الثانية للرواق الغربى للمسجد وقد إندثر مسجدها الأصلى بسبب طغيان مياه النيل وبقيت بحالة جيدة انظر :

د. جمال عبد الرءوف : مساجد، الوصف المعمارى، ص ص ٦٧ - ٧٠.

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح قاعدتها انظر :

لجنة حفظ الآثار - المجموعة السادسة والعشرين سنة (١٩٠٩م) ترجمة على بهجت - تقرير رقم ٤٠٩ - محضر ١٧٠ - مطبعة ديوان عموم الأوقاف ١٣٣٠هـ/١٩١٣م، ص ١٤٠.

(٦٥) مئذنة أسوان : المئذنة بالقرب من الركن الغربى للجدار الشمالى للمسجد والتى تبدو عليها علامات القدم انظر :

د. جمال عبد الرءوف، مساجد، ص ٧٨، الوصف المعمارى، ص ص ٧٨ - ٨٠.

(٦٦) مئذنة إدفو : تقع مئذنة الجامع العمرى بركنه الشمالى الغربى ويدلنا المظهر العام

... على أنها تنتمي إلى عصر أقدم من المسجد الحالي بل وتدل أقسامها العليا على أنها حلقة في سلسلة المآذن الفاطمية بمنطقة مصر العليا أما المسجد الحالي فقد جدد في الربع الأخير من هذا القرن انظر :

د. جمال عبد الرءوف : مساجد : ص ٨٢، الوصف المعماري، ص ص ٨٢ - ٨٤.

(٦٧) د. جمال عبد الرءوف : مساجد، ص ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٦٨) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٦٢.

(٦٩) يذكر المقريزي عن جامع القرافة مانصه «بنته السيدة المعزية في سنة ست وستين وثلثمائة وهي أم العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله أم ولد من العرب يقال لها تغريد وتدعى درزان وبنته على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب في شهر رمضان من السنة المذكورة وهو على نحو بناء الجامع الأزهر».

انظر المقريزي : الخطط، جـ٢، ص ٣١٨.

(٧٠) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٢٢.

(٧١) د. أحمد فكري : مساجد القاهرة، جـ١، ص ٥٣.

(٧٢) د. عبد العزيز مرزوق : الحياة الفنية في مصر الإسلامية، تاريخ الحضار المصرية - المجلد الثاني، ص ٥٧٥.

(٧٣) يكاد يتفق قول أن المشاهد الفاطمية تعتبر شكلاً جديداً للمسجد مع ما ذكره د. أحمد فكري من أنه ظهرت في العصر الفاطمي أنظمة جديدة للمساجد وهي نظام المسجد ذي الضريح أو نظام المشهد كما في مسجد الجيوشي ومسجد السيدة رقية انظر:

د. أحمد فكري : مساجد القاهرة، جـ١، ص ١٤٤.

محمد حمزة : قرافة القاهرة، ص ٣٠٤.

انظر أيضا عن تسمية المدافن : Dozy, Supplement, vol.1, p. 794.

(٧٤) يتفق هذا القول مع ما جاء في المصادر التاريخية أن بالقرافة ومصر والقاهرة مشاهد كثيرة تعد من مشاهد الرؤيا. انظر:

السخاوي : تحفة الأحباب، ص ٨٩٢.

ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص ٤٩.

(٧٥) د. سعاد ماهر : مشهد الإمام على، ص ١٧.

ويذكر الباحث محمد حمزة بعد دراسة ما أثير حول تسمية المدفن بالمشهد أن لفظ المشهد لاتطلق إلا على المدفن الذى يؤمه الناس ويحضرون إليه من أجل الزيارة والتبرك سواء كان هذا المدفن خاص بآل البيت أو بأحد العلماء والشيوخ والصالحين انظر:

محمد حمزة : قرافة القاهرة، ص ٣٠٥ حاشية ٤.

(٧٦) د. مصطفى شيحة : شواهد قبور، ص ص ٢٢-٣١ حاشية ٢.

(٧٧) الرازى : تاريخ صنعاء، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٧٨) بربارة فنستر : تقارير أثرية، ص ١٠٤ حاشية ١٨.

(٧٩) القباب السبع : تقع هذه القباب فى الصحراء الواقعة إلى الجنوب من الفسطاط وهى غير قبة السبع بنات الى تقع بالقرب من خانقاة الناصر فرج بن برقوق شرقى القاهرة وقد ذكر Creswell أن Wiet أرخ هذا المشهد عن طريق زخارفه بعام ٤٠٠هـ/١١٠٩-١١١٠م وقد أرخه Creswell عن طريق دراسة القبة والحنايا إلى نهاية الربع الأول من القرن السادس الهجرى.

وقد ذكر المقريزى هذه القباب سنة ٤٠٠هـ ولكن د. أحمد فكرى يرجح بنائها بعد إنتهاء عهد الحاكم بأمر الله سنة ٤١١هـ.

ويذكر السخاوى أن الحاكم بأمر الله قتل ستة فقط من أسرة الوزير المغربى لذلك بنيت ست قباب إلا أنها عرفت بالسبع قباب والظاهر أنه كان إلى جانبها قبة الاطفيحى صاحب القناطر والسبيل :

المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٤٥٩.

د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ٣٢.

(٨٠) De Villard Monneret : La Necropoli Musulman di Aswan la Cairo, 1930, pp. 24-36, fig. 36III. A. III. B, fig. 55.1.33 Creswell : The Muslim, 134. fig 65.

(٨١) د. سيف النصر أبو الفتوح : دراسة لمجموعة من شواهد القبور بجبانة مدينة صعدة فى اليمن، صنعاء، ١٩٨٣.

(٨٣) De villard,M : La Necropoli., p. 13, fig. 12 Mausoleam 42, p. 31 fig. 58. No. 50,20, p. 32 fig. 60 n. 97.

(٨٤) مشهد الجعفرى : ذكر Creswell أنه من الصعب تأريخ هذا المشهد لأن زخارفه مختفية وأن كانت تظهر على بعض الأجزاء البسيطة الباقية من الكتابات الكوفية أنها ترجع إلى فترة متأخرة من العصر الفاطمى. انظر :
Creswell : The Muslim, pp. 228-229.

(٨٥) مشهد السيدة عاتكة : بنيت قبة السيدة عاتكة بعد قبة الجعفرى وترجح د. سعاد ماهر أن تاريخ المشهد (٥١٥ هـ) ومايزال المشهد يحتفظ بالكثير من زخارفه انظر:
د. سعاد ماهر : مساجد مصر، جـ٢، ص ١٢٠.
ويلاحظ أن المدخل فى مشهدى الجعفرى وعاتكة فى الجانب الشمالى الشرقى وليس فى الجانب الشمالى الغربى المواجه للمحراب وذلك نتيجة الحاق قبة السيدة عاتكة بالجانب الشمالى الغربى لقبة الجعفرى مما نتج عنه إنسداد الباب الأصلى لقبة الجعفرى.

(٨٦) قبة الشيخ يونس : يذكر Creswell أن القبة تتميز بسمتين جديدتين، الأركان فى مناطق انتقال القبة ثم النوافذ البيضاوية فى الرقبة ومن خلالهما أرخ المشهد بالربع الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى انظر :
Creswell : Them Muslim, p. 233.

(٨٧)مشهد إخوة سيدنا يوسف : فى جنوب القرافة على بعد ١٠٠م إلى الشمال من بقايا مسجد اللؤلؤة وهو مركب من عدة عصور ويعرف بجامع إخوة يوسف والمدخل ليس مقابلاً للمحراب انظر: Creswell : The muslim, p. 234.

(٨٨) مشهد السيد رقية : المشهد مؤرخ بسنة ٥٢٧ هـ/١١٣٣م ويمثل مرحلة متطورة من المشاهد الفاطمية حيث أحيط مربع القبة الأوسط الذى يحتوى على المحراب الرئيسى والباب المقابل له من جانبيه الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى بمساحتين مستطيلتين مسقوفتين بسقف خشبى مسطح بصدر كل منهما محراب.

يعد مشهد السيدة رقية من مشاهد الرؤيا وهو ضمن مشاهد عديدة تعد من مشاهد الرؤيا وقد أضيف المشهد إلى مسجد السيدة رقية وقد تأثر تخطيطه بمسجد الجيوشى إلى حد كبير وتمثل الإختلاف فى الحاق المدفن ذى القبة بالجانب الشمالى الشرقى فى الجيوشى بدلا من وجوده أمام المحراب فى السيدة رقية.

إتبع تخطيط هذا المشهد تخطيط مشهد كل من خضرة الشريفة بالقرافة الكبرى والمشهد فى أسوان أما عن مشهد أسوان فهو على قمة التل أمام فندق كتاراكت وقد وضعه Monneret بين مسجد الجيوشى ومسجد السيدة رقية وتخطيطه يشبه تماما مشهد خضرة الشريفة لذلك اقترح Creswell تاريخه (١١٠٠ - ١١١٠م) أما مشهد خضرة الشريفة فهو على بعد ثلاثة أميال جنوب شرق السبع قباب تخطيطه مستطيل الشكل بنى من الحجر به ثلاثة محاريب تاريخه ٥٠١ هـ/١١٠٧-١١٠٨م وقد ذكره المقريزى ضمن مصليات القرافة ولكن د. سعاد ماهر لاتميل إلى تسميته مصلى لأنه يحتوى على كل مقومات المسجد انظر:

Creswell : The Muslim, pp. 220-221.

السخاوى : تحفة الأحباب، ص ٢٩٨.

د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ١٤٤.

انظر عن مشهد خضرة الشريفة وأسوان :

د. سعاد ماهر : مساجد مصر، جـ١، ص ص ٢٩٩ - ٣٠٣.

(٨٩) مشهد يحيى الشبيه : هذا المشهد جنوب مشهد الإمام الشافعى حوالى ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م يتكون من مساحة مربعة مغطاة بقبة كبيرة وقد فتح بالأضلاع الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية ثلاث فتحات معقودة تؤدى إلى ثلاث بلاطات البلاطة الجنوبية الشرقية توازى جدار المحراب والبلاطتان الأخريان عموديتان على جدار المحراب وقد قسمت البلاطة الجنوبية الشرقية إلى ثلاثة أقسام غطى القسم الأوسط منها بقبة مقامة على حطتين من المقرنصات بينما غطى المعمار القسمين الآخرين بقبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية كما يحتوى كل قسم من الأقسام الثلاثة على محراب أوسطها أكبرها وأهمها أنظر:

Creswell : The Muslim, pp. 266 - 267.

د. سعاد ماهر : مساجد مصر، جـ٢، ص ١٣٥.

انظر عن تسجيل قبة يحيى الشبيه : لجنة حفظ الآثار - المجموعة الحادية عشر عن سنة (١٨٩٤م) ترجمة الياس اسكندر - تقرير رقم ٦٣، المطبعة الأميرية، ١٨٩٥م، ص ٧٦.

(٩٠) محمد حمزة : قرافة القاهرة، ص ٣٢٤.

(٩١) Creswell : The Muslim, pl. 41 No. 14, A, B, No. 20, No. 23, e f.

د. فريد شافعى : العمارة العربية، ص ٥٥٢.

(٩٢) هذا المشهد أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير بنى من الآجر انظر عن وصف هذا المشهد Creswell : The Muslim, pp. 227-228. fig. 128.

(٩٣) مشهد قوص هومن أكثر مشاهد الفاطميين روعة وتخطيطه لايعنى مربعا تماماً فجوانبه منحرفة انظر

Creswell : Them Muslim, pp. 236-237.

(٩٤) مشهد السبع وسبعين وليا : هذا المشهد من أهم آثار أسوان ويتضح من تخطيطه أنه شيد مسجداً وليس مشهداً ومن المرجح أن يكون هذا المشهد بنى بواسطة بنوالكنز فى العصر الفاطمى وهم بطن من ربيعة بن نزار وكانوا ينزلرن اليمامة وتشيعوا للفواطم انظر :

د. سعاد ماهر : مساجد مصر، جـ١، ص ص ٢٦٥ - ٢٦٩.

(٩٥) محمد حمزة : قرافة القاهرة، ص ص ٣٤٥ - ٣٤٨.

(٩٦) مسجد اللؤلؤة : يذكر المقريزى عنه «هذا المكان مسجداً فى سفح الجبل كان مسجداً خرابا فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللؤلؤة وقيل كان بناؤه فى ستة وأربعمائة وهو بناء حسن» ويقع هذا المسجد إلى الشرق قليلاً من مشهد إخوة سيدنا يوسف انظر :

المقريزى : الخطط جـ٢، ص ٤٥٦.

د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة جـ١، ص ص ٣٠-٣١.

(٩٧) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ص ١٦٤ - ١٦٦.

العناصر الزخرفية

زخارف بعض المساجد اليمنية حتي عصر الدولة الصليحية

تميزت المساجد اليمنية بوسيلة تغطيتها وهى غالباً من سقوف خشبية مسطحة وقد إزدانت هذه السقوف بزخارف متنوعة وفق أسلوب فنى وصناعى ظهر فى اليمن مبكراً يعرف بالمصندقات الخشبية بمعنى تقسيم السقف إلى مساحات مستطيلة ومربعة من عدة مستويات تمتلىء بالزخارف المحفورة البارزة والغائرة والملونة والمطعمة فى أسلوب فنى يمكن القول فيه بظهور الحشوات المجمعة على هذه السقوف اليمنية قبل غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى[١].

ويعد سقف رواق القبلة فى جامع شبام كوكبان من أقدم السقوف التى تميزت بأسلوب المصندقات الخشبية ذات الزخارف النباتية والهندسية[٢].

تميزت بعض العناصر الزخرفية النباتية بأنها نفذت بأسلوب قريب من الطبيعة، إلى جانب ظهور بعض العناصر الزخرفية النباتية المنفذة بأسلوب بعيد عن الطبيعة ولكن بصفة عامة يغلب على هذه الزخارف الأسلوب القريب من الطبيعة[٣].

أما الزخارف الهندسية فتمثلت فى التقاسيم الهندسية المتحدة مع بعض العناصر الزخرفية النباتية والهندسية الملونة فى معظم الأحيان والأشرطة المضفرة والأشكال الهندسية التى تتمثل فى مربعات ومعينات ومستطيلات وأشكال متقاطعة وتظهر أبدع الزخارف الهندسية فى التكوينات الهندسية المتقنة التى يتكون منها السقف فى جامع شبام كوكبان[٤].

وفى الجامع الكبير بصنعاء جاء السقف من عوارض خشبية سميكة متقاطعة مؤلفة من مساحات صغيرة ومربعة الشكل كما فى جامع شبام كوكبان غنية بالزخارف النباتية والهندسية[٥].

وقد تم تنفيذ هذه الزخارف بإسلوب الحفر البارز والغائر إلا أنه يلاحظ أن كثيرا من العناصر الزخرفية النباتية قد نفذت بإسلوب قريب من الطبيعة، ويذكر د. مصطفى شيحه أنه على الرغم من وجود هذه الأسلوب فإنه يظهر على بعض التحف الخشبية خاصة على بعض حشوات منبر الجامع الكبير بذمار الأسلوب الثالث لأساليب الزخرفة لسامراء، مما جعله يعتقد بوجود الأسلوب الأول فى الزخارف الخشبية القريب من الطبيعة والأسلوب الثانى المميز بالبعد عن الطبيعة فى آن واحد على الزخارف اليمنية عامة والأخشاب اليمنية خاصة، وإنه من غير المستطاع أن يجزم حاليا بسيادة أحدهما فى شمال اليمن أو جنوبه لقلة الأمثلة الباقية من الزخارف(٦).

وقد كان لمدينة سامراء أثرها الواضح والمباشر كحاضرة إسلامية نشأ فيها طراز الفن الإسلامى الجديد ومنها إنتقل إلى سائر البلاد الإسلامية الأخرى.

الزخارف النباتية :

اسهمت التكوينات الزخرفية النباتية بدور هام وبارز فى زخرفة وتزيين العمائر الإسلامية وهى من أكثر التكوينات إنتشاراً على الآثار الإسلامية لاسيما الدينية منها، وقد ساعد على إنتشار هذا النوع من التكوينات الزخرفية ما اتسم به الفنان المسلم منذ بداية العصر الإسلامى من ابتعاد عن الرسوم الآدمية والحيوانية على العمائر الدينية(٧).

وتتمثل التكوينات الزخرفية النباتية فى عمائر الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية فى اعتمادها على العناصر المعروفة والممثلة فى الأوراق النباتية أحادية الفصوص وثنائية وثلاثية وخماسية الفصوص والمراوح النخيلية وأنصافها وأشكال الورود المتعددة البتلات والسيقان والأفرع والبراعم النباتية.

وقد وجدت هذه الزخارف النباتية بجامع ومشهد السيدة بنت أحمد وعلى حين تعتبر زخارف سقف جامع السيدة بنت أحمد امتداداً من حيث الأسلوب لزخارف

سقفى جامع شبام كوكبان وجامع صنعاء الكبير نجد أن زخارف مشهد السيدة بنت أحمد قد نفذت بالنقش فى الجص وهى هنا لاتمثل ورودا قريبة من الطبيعة وإنما أوراقا نباتية ثلاثية وخماسية الفصوص غاية فى الدقة والإتقان.

ومن هذه التكوينات النباتية التى وصلت إلينا زخرفة على هيئة (بخارية) فى القسم الأعلى له وقد وجد هذا الشكل على الواجهة الشرقية لمشهد السيدة بنت أحمد (شكل ٣١) زخارفه عبارة عن إطار مزدوج يتدرج حيا وينتفخ حينا آخر يحصر بداخله زخرفة عبارة عن صف من أوراق نباتية خماسية الفصوص وقد اختلفت هذه الفصوص فالورقة التى فى أقصى اليسار تبدو طبيعية، أما الورقتان الآخريان فكأنهما أوراق ثلاثية أضيف إليها فصان فى تصميمها ثم تخرج منها سيقان وتلتف حولها سيقان أخرى تكون أشكال دوائر تحصر بداخلها هذه الأوراق النباتية وتكون هذه السيقان فى خروجها أوراقا نباتية ثلاثية الفصوص تلتقى هذه الأوراق فتكون شكلا من ورقة ثلاثية أخرى ويستمر تعرج الساقين إلى أعلى فيكونان ورقة نباتية خماسية مدببة تتجه إلى أعلى ويستمر الساقان فيشكلان سيقانا أخرى متعرجة تخرج منها أوراق على شكل أنصاف مراوح نخيلية.

ثم نجد شكلا زخرفياً آخر من إطار خارجى عبارة عن ساق تخرج منه ورقتان نباتيتان على شكل أنصاف مراوح نخيلية (شكل ٣٢). تزدوج الساق بإنتفاخ حتى يتقابلا فيندمجان فى ساق واحدة حولها حلقة وتتفرع الساق إلى ساقين ناحية اليمين وناحية اليسار ويخرج منها أوراق ذات فصوص منفردة ومزدوجة ثم يستمران إلى أعلى فيتقابلان ويخرج منهما شكل على هيئة ورقة نباتية خماسية (لوحة ٦٩).

ويتضح من خلال الشكل السابق وجوب التفرقة بين الورقة الوسطى التى تتقيد بمحور رأسى ينتصفها وبين الورقة الجانبية التى تتفرع من الساق وتتخذ

أشكالاً متحررة تبعا لإنثناءاتها وإنحناءاتها وتتكون الورقة الوسطى دائماً فى زخارف مشهد السيدة بنت أحمد من ثلاثة أو خمسة فصوص.

أما فى الزخرفة النباتية الفاطمية فالورقة الوسطى فى معظم الأحوال من رأس مدببة وقاعدة ثنائية على هيئة قلب ويتفرع من وسط هذه القاعدة ساقان أحدهما يتجه يمينا والآخر يتجه يساراً وكذلك تخرج من الرأس المدببة ساق ثالثة تتابع خط سيرها.

وقد اجتمعت فى الزخارف التى يزدان بها مشهد السيدة بنت أحمد من خلال الشكلين السابقين أشكال الوريقات الثنائية والثلاثية وأوراق العنب الخماسية وظهرت هذه الأشكال متحدة مع الفروع والأغصان المنفردة والمزدوجة أو تفرعت منها فى حركة متصلة ومتكاملة فى تناسق بديع.

وكثيرا ما يصعب التمييز بين الغصن والورقة النابعة منه، إذ قد تمتد هذه الورقة فينبت منها غصن جديد، ومن ذلك شكل زخرفى عبارة عن إطار بيضاوى يحصر بداخله ساق تزدوج إلى أسفل يميناً ويساراً إلى وريقات نباتية (شكل ٣٣) وتخرج من الوريقات النباتية ساق تتدلى إلى أسفل خارج الاطار ذى الحبيبات المتماسة وتخرج منه وريقات نباتية ذات فص واحد وذات ثلاثة فصوص وتلتوى هذه الوريقات وتصعد إلى أعلي داخل الشكل البيضاوى ثم تستمر مرة أخرى وتزدوج فى أعلى الشكل الزخرفى إلى يمين ويسار هذا الإطار الممتد إلى أعلى فتتعرج وتلتوى وتخرج منها وريقات حتى تتصل بشكل بيضاوى آخر على نمط الشكل السابق.

وتوجد أشكال زخرفية أخرى من سيقان متعرجة أيضا تكون فى تعرجها أشكالا زخرفية تحصر بداخلها أوراقا نباتية ثلاثية وخماسية مدببة يخرج من تدبيبها أيضاً ساقان مزدوجان يلتقيان مرة أخرى فيكونان شكلا زخرفيا آخر (شكل ٣٤).

ثم نجد شكلاً زخرفياً آخر قوام زخارفه الورقة النباتية الثلاثية المدببة المحصورة داخل شكل بيضاوى من سيقان نباتية (شكل ٣٥).

ثم نجد شكلا آخر قوام زخرفته الورقة الخماسية والورقة السباعية والوريقات الثنائية وتشكيلة من السيقان التى تتعرج وتلتوى فتكون أشكالا بيضاوية تحصر بداخلها الأوراق النباتية على نمط الأشكال السابقة (شكل ٣٦).

وتتجلى روعة الزخارف النباتية فى جامع السيدة بنت أحمد فى المنبر فقوام زخارفه الورقة الخماسية التى تنحصر داخل شكل بيضاوى من حبيبات متماسة يخرج منها ساقان (لوحة ٧٠).

وعلى إطار خشبى آخر يوجد تكوين زخرفى قوام زخرفته الورقة الثلاثية التي تخرج منها من أسفل ساق تستدير حول الورقة وتستمر فى التوائها حتى تتصل بورقة ثلاثية أخرى (شكل ٣٧).

ثم نجد إطارا آخر يشبه تماماً الإطار السابق ولكنه يختلف فى أن الورقة أصبحت خماسية.

وقد امتلأ المنبر بهذه الإطارات الزخرفية النباتية البديعة (لوحة ٧١) وتملأ تجويف المحراب فى جامع السيدة بنت أحمد وحدة زخرفية مكررة قوام زخرفتها ورقة العنب الخماسية ذات الفص الرئيسى المثقوب، بالإضافة إلى زخرفته بزخارف نباتية جصية.

وقد وجدت العروق والأغصان تعلو الدخلات المعقودة المدببة على واجهة المشهد الخاص بالسيدة بنت أحمد المزدوجة، أى أن الغصن امتدت فى وسطه قناة رفيعة قسمته إلى غصنين حيث يوجد فى وسطه حز عميق غائر جعل منه فرعاً مزدوجاً امتد هذا الحز إلى الأوراق نفسها على هيئة تجويف ليبرز حدودها وأطرافها ويجسم منظرها وهو ما وجد فى زخرفة التوريق الفاطمية (الأشكال من (٣٨-٤٢).

أما عن أسلوب مزج الزخارف الهندسية مع الزخارف النباتية فقد وجد فى جامع السيدة بنت أحمد، وهناك أسلوبان من أهم أساليب التكوين الزخرفية الجدارية اعتمد الفنان فى كل منهما على مزج الوحدات الزخرفية الهندسية مع الوحدات الزخرفية النباتية.

أما الأسلوب الأول فيتمثل فى تكوينات هندسية نباتية اتخذت صورة التكوين القائم على المزج الظاهرى بين التكوينات الهندسية وبين التكوينات النباتية، وذلك بأن أقام المصمم تكوينه الهندسى وأتمه تماما ثم وزع التكوينات النباتية بداخل فراغات الأشكال الهندسية المختلفة المتنوعة والتزم فيها كل تكوين نباتى بالحدود الهندسية لكل شكل هندسى داخل التكوين، وهى حدود مختلفة من شكل إلى آخر، والتكوينات النباتية فى هذا الأسلوب وظيفتها مكملة وليست أساسية حيث إن وظيفتها اقتصرت على شغل فراغات الأشكال الهندسية(٨).

ومن نماذج هذا الأسلوب التى ظهرت بجامع السيدة بنت أحمد يوجد شكل زخرفى يزدان به الجامع يجمع بين الزخارف الهندسية والزخارف النباتية المورقة والتى يظهر بها أسلوب التوريق العربى واضحاً وجليا (شكل ٤٣) والزخرفة عبارة عن مربعين متداخلين ينتج من تداخلهما داخليا وخارجيا شكل نجمى مثمن بداخل الشكل الداخلى دائرة صغيرة وخارج الشكل النجمى الداخلى زخرفة نباتية تمثل مرحلة متطورة من أسلوب التوريق قوام زخرفته ورقة نباتية ثلاثية يخرج منها ساقان يلتويان إلى أعلى فيكونان إطارا يحيط بالورقة الثلاثية ثم يتدليان إلى أسفل ويتعرجان فيخرج منهما مراوح نخيلية وأوراق نباتية ذات فصين ويتكرر هذا الرسم فى دقة وإبداع.

كما وجدت أيضا أشرطة أفقية زخارفها عبارة عن ساق تخرج منه ورقة العنب الخماسية بأسلوب رشيق.

نفذت أيضا الورقة الثلاثية داخل شريط أفقى يحصر ساقا تخرج منها ورقة ثلاثية ويلتف الساق حول الورقة ثم تخرج منه ورقة أخرى ثلاثية ويستمر تعرج الساق ويستمر خروج الورق النباتى (شكل ٤٤).

ثم نجد شكلاً زخرفياً آخر قوام زخارفه وردة رباعية داخل شكل زخرفى نتج من تداخل عنصر الميمات الزخرفى وتتصل هذه الميمات بشكل آخر عبارة عن مربع داخله يوجد شكل نجمى بداخله وردة متعددة البتلات وتعتبر هذه الزخرفة التي وجدت على السقف الخشبى فى الجامع امتدادا لما وجد فى جامعى شبام كوكبان وصنعاء (شكل ٤٥ ، ٤٦).

أما أسلوب المزج التام بين الزخارف النباتية والهندسية فلم يظهر فى جامع السيدة بنت أحمد أو مشهدها، ويتضح مما سبق أن التكوينات الزخرفية النباتية لجامع ومشهد السيدة بنت أحمد اشتملت على عناصر نباتية أساسية اسهمت بدور هام فى التكوينات ومن هذه العناصر الوريقات النباتية ذات الفص الواحد وذات الفصين والأوراق الثلاثية والخماسية الفصوص والسيقان والأفرع النباتية وهو الأمر الذى يتفق والتكوينات الزخرفية النباتية فى مساجد مصر فى العصر الفاطمى وهى تكوينات زخرفية مركبة كانت بداياتها فى الجامع الأزهر متطورة عن ما وجد فى جامع أحمد بن طولون حيث بدأ يظهر أسلوب فنى جديد(٩).

وقد وجدت هذه التكوينات الزخرفية فى الجامع الأزهر فى القسم العلوى جميعه فى جدار القبلة، وفى الجدارين الشرقى والغربى من رواق القبلة حيث زخرفت بعض النوافذ ذات الأحجبة الجصية بأوراق نباتية وزخرفت اللوحات التى تحف بالنوافذ بزخرفة من سيقان ملتفة متقابلة حول مركز رأسى وهى حين ترتقى فى التوائها تخرج منها وريقات مدببة تملأ الدوائر التى تكونت من هذا الالتواء.

وملئت التواشيح والفراغات المستطيلة بين اللوحات والنوافذ بزخارف نباتية، وكان يجرى فوق هذه اللوحات والنوافذ وتحتها إزاران مستقيمان محشوان بعناصر زخرفية متنوعة من أشكال فاكهة الكمثرى ووريقات نباتية ثلاثية وقد وجدت الوريقات النباتية المدببة المنبثقة من سيقان متعرجة متقابلة فى تجويف رأس محراب جامع الأزهر تتوسط هذه الوريقات ورقة نباتية كبرى على هيئة مروحة نخيلية تعلوها ورقة نباتية على هيئة مشكاة وغطت باطن عقد المحراب وريقات نباتية تمتاز بسيقانها المزدوجة التى تتعرج فى شكل إطار من ورقتين قائمتين متقابلتين تتكون كل منهما من ثلاث بتلات وتملأهما وتحيط بهما وريقات نباتية.

وقد وجدت الزخارف النباتية التى رسمت على هيئة سيقان متعرجة تنبثق منه وريقات منحنية منفردة أحياناً ومزدوجة أحياناً أخرى محصورة فى حلقات ودوائر

رسمتها تعرجات السيقان على هيئة أنصاف مراوح نخيلية على أكتاف وتواشيح عقود بلاطة المجاز (لوحة ٧٢).

وقد تطورت هذه التكوينات النباتية فى قبة البهو فى جامع الأزهر حيث إزدانت بسيقان وأوراق تنبثق منها أشكال فواكه وأزهار وقد تنوعت الأوراق فوجدت الأوراق الثلاثية والخماسية ويمتد فوق الإزار الكوفى فى باطن القبة إزار مستدير آخر تتكون زخارفه من أوراق نباتية وأزهار ثلاثية تنحصر فى تشكيلات من السيقان.

وقد وجدت هذه التكوينات الزخرفية المركبة ونفذت بأسلوب متطور فى جامع الحاكم بأمر الله (شكل ٤٧).

وتدل الأجزاء المتبقية من القبة التى تتقدم المحراب أن الزخارف كانت تكسوه كما كانت تكسو القبتين الركنيتين للبلاطة التى تتقدم المحراب، ومن ذلك طاقة فى إحدى هاتين القبتين، وطاقتان معقودتان فى القبة التى تتقدم المحراب تحشوهما تكوينات نباتية جصية قوامها زخرفة سيقان وأوراق نباتية ويزخرف النافذتين اللتين فى جدار المحراب على يساره عنصر رئيسى من ساق نباتية تخرج منها ورقة ثنائية وورقة ثلاثية(١٠).

وكذلك انتشرت هذه التكوينات على جانب بوابة المسجد فى الطاقتين المعقودتين، وعناصر هذه التكوينات عبارة عن سيقان نباتية متعرجة تتفرع منها وريقات ثنائية وثلاثية وخماسية محصورة داخل تشكيلات من السيقان موزعة توزيعا تماثليا غاية فى الدقة والإبداع.

وتتجلى فى زخارف بوابة جامع الحاكم بأمر الله مدى الدقة والإتقان فى النحت على الحجارة فى العصر الفاطمى وكانت البداية هنا من الفنان الفاطمى قوية للغاية تشهد له بحسن الصنعة والإبداع فيها.

وتوجد تكوينات زخرفية من زخرفة التوريق بسيطة ومركبة على مئذنتى جامع الحاكم ومن هذه التكوينات البسيطة نجد ساقاً نباتية تجرى منحنية فى حلقات

متلاصقة تنبثق فى داخلها وريقة من فص واحد، ثم ساق تزدوج وتتشابك بحيث تكون حلقات فى داخل كل منها وريقة من فص واحد ثم تمتد الساق فتلقى ورقة من فصين .

ثم تطورت التكوينات البسيطة إلى تكوينات مركبة من تواريق نخيلية محصورة فى مربعات أو فى مستطيلات وفى بعض هذه التكوينات تطورت الورقة الثلاثية إلى ورقة منبسطة من أوراق العنب.

وفى أفريز من المئذنة الغربية لجامع الحاكم تظهر الوريقات الثنائية تنبت من سيقان وتتضح مراحل التطور فى انحناءات الفروع وانثناءات الأوراق وتمثل هذه النافذة أهمية كبرى فى تطور التكوينات النباتية فى العصر الفاطمى.

أما عن أسلوب مزج الزخارف الهندسية مع الزخارف النباتية فقد وجدنا أسلوبا من التكوينات الهندسية النباتية وهو القائم على المزج التام بين الأشكال الهندسية والعناصر النباتية وهو يعد أصعب وأدق أساليب بناء التكوين التى إتبعها الفنان المصمم المسلم وأكثرها تطوراً عن ذلك الأسلوب الذى وجد فى جامع السيدة بنت أحمد. نشأ هذا التكوين نتيجة تحوير الفنان لنقط التقاء الأقواس وقد تمثل هذا الأسلوب بجامع الحاكم على جدران قاعدة المئذنة الغربية فى تكوين زخرفى نجح فيه الفنان فى تحوير بعض الخطوط الهندسية إلى فروع نباتية وتحوير بعض الأفرع النباتية إلى أشكال نجمية وقوام عناصر هذا التكوين الوريقات الثنائية والثلاثية والفروع التى تتميز بانحناءاتها وتشابكاتها بين هذه الأوراق (شكل ٤٨)[١١].

إضافة إلى ذلك فإن الوريقات الثلاثية فى المئذنة الغربية اتخذت هيئة الشرافات (لوحة ٧٣).

وقد تمثل أسلوب مزج التكوينات الهندسية والنباتية بالجانب الشمالى للمدخل الرئيسى لجامع الحاكم بأمر الله حيث يوجد تكوين مربع الشكل سادت فيه الأشكال الهندسة على العناصر النباتية قوام التكوين نجمة ثمانية تتوسطه وترتكز

فى منتصف كل ضلع من أضلاع المربع وريقة نباتية ثلاثية يخرج من أسفلها فرعان نباتيان تحورا إلى خطوط منحنية ومنكسرة ومتجادلة مع ما يقابلها من خطوط ويتكرر ذلك بالأضلاع الأربعة للتكوين الذى جاء من شبكة من الخطوط الهندسية المتداخلة المحاطة بأربع ورقات ثلاثية (شكل ٤٩)[١٣].

وقد وجدت التكوينات الزخرفية النباتية فى توشيحات عقد محراب مسجد الجيوشى، وهذه التكوينات من أزهار وأوراق نباتية على نفس النمط السابق.

ووجدت أيضاً التكوينات النباتية على واجهات الصحن منتصف تواشيح العقود فى مسجد الأقمر تتمثل فى جامات وردية مضلعة تحتوى على إطارات ذات وريقات ثنائية تخرج من ساق يلتف فى تعرج حول هذه الجامات.

كذلك وجدت فى الشبابيك الجصية التى تحيط بجدران المسجد من الداخل عبارة عن أوراق نباتية مختلفة الفصوص وتشكيلات من السيقان وازدانت إطارات هذه الشبابيك بأوراق خماسية وزعت توزيعا غاية فى الدقة والإبداع. وتتمثل أيضا الزخارف النباتية فى مسجد الأقمر فى الحلقة الزخرفية التى تعلو المدخل الرئيسى، وقوام زخارفها الورقة الثلاثية والخماسية التى تخرج منها وريقات أحادية وثنائية وتخرج من هذه الأوراق سيقان تتعرج وتلتوى فتكون فى التوائها وتعرجها أشكالا دائرية تحصر بداخلها أوراقا نباتية، كذلك نجد الأوراق النباتية فى نهاية الإشعاعات التى تخرج من هذه الدوائر (لوحة ٧٤).

وقد بلغت هذه التكوينات الزخرفية النباتية قمة تطورها فى مسجد الصالح طلائع وهى عبارة عن فروع مورقة بوريقات ثلاثية وخماسية، ووجدت فى هذا المسجد على الحدارات وأطراف العقود والأوتار الخشبية التى تربطها وعلى الشرافات الهرمية وعلى أحجبة النوافذ الجصية وأعلى الصنج المعشقة فى المداخل الثلاثة، وأسفل المقرنص الركنى عند التقاء الواجهة الشمالية بالواجهتين الغربية والشرقية (لوحة ٧٥)، وعلى السقف الخشبى الذى يتقدم المدخل الشمالى.

وقد وجدت هذه التكوينات الزخرفية النباتية الفاطمية على الفنون الفاطمية

حيث نفذت على الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى ومن ذلك نجد قدرا يزدا بفروع نباتية تخرج منها أوراق ثلاثية(١٤).

كذلك وجدت التكوينات النباتية البسيطة على صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى تتمثل فى فرع نباتى تخرج منه أوراق متعددة البتلات فى رقة وإنسيابية(١٥).

كذلك وجدت الزخارف النباتية الممتزجة بالزخارف الهندسية على صحن من الخزف ذى البريق المعدنى وهى من أشكال نجمية تشتمل فى داخلها على أشكال وريدات(١٦).

كما وجدت التكوينات الزخرفية النباتية على الأخشاب الفاطمية حيث وجدت على حجاب من الخشب فى كنيسة أبى مقار بوادى النطرون تمثل أوراقاً نباتية ثلاثية وفروعاً متموجة وأنصاف مراوح تخيلية وحلزونات صغيرة تشتمل على أوراق عنب خماسية(١٧).

كما وجدت هذه التكوينات أيضاً على باب من الخشب فى هيكل بنيامين بدير أبى مقار فى وادى النطرون بمصر(١٨).

كما وجدت على الباب الخشبى الذى كان فى الجامع الأزهر ويرجع إلى الخليفة الحاكم بأمر الله(١٩). وعلى بعض الحشوات الخشبية الفاطمية(٢٠).

ويتضح مما سبق أن زخارف جامع السيدة بنت أحمد ومشهدها جمعت بين أسلوبين فى الزخرفة أحدهما تأثر تأثراً شديداً بالتكوينات الزخرفية النباتية الفاطمية والآخر يعد امتدادا لزخارف الأسقف الخشبية اليمنية فلم يعد الجامع يقتصر من حيث زخارفه على السقف الذى يعتبر من أهم مميزات العمارة اليمنية كما فى جامع شبام كوكبان وجامع صنعاء الكبير، بل وجد إضافة إلى ذلك الزخارف المنقوشة فى الجص والتي يزدان بها محراب الجامع.

كذلك تجلت روعة الزخارف الجصية فى مشهد السيدة بنت أحمد وتعد هذه الزخارف بهذا الشكل البديع فى المشهد الصليحى من التأثيرات الفاطمية على جامع السيدة بنت أحمد من خلال عناصرها النباتية، فقد اجتمعت فى الزخارف

النباتية الفاطمية وهى السابقة تاريخاً لجامع السيدة بنت أحمد بمائة عام أشكال الوريقات الثنائية والثلاثية والخماسية والسعف النخيلية وأنواع مختلفة من الأزهار والثمار واللألىء وظهرت هذه الأشكال متحدة مع الفروع والأغصان المنفردة والمزدوجة فى حركة متصلة ومتكاملة حتى إنه كثيراً ما يصعب التمييز بين الفصر والورقة، إذ قد تمتد هذه الورقة فينبت منها غصن جديد كما أن الغصن قد يمتد داخل الورقة وهذه العناصر الزخرفية وجدت فى جامع ومشهد السيدة بنت أحمد.

الزخارف الهندسية :

عرفت الفنون التى سبقت الإسلام ضروباً كثيرة من الرسوم الهندسية ولكن هذه الرسوم لم يكن لها فى تلك الفنون أهمية كبيرة وكانت تستخدم فى الغالب كإطارات لغيرها من الزخارف، أما فى الإسلام فقد أضحت الرسوم الهندسية عنصرا أساسياً من عناصر الزخرفة(٢١).

وقد ساعد على إنتشار هذا النوع من التكوينات الزخرفية ما اتسم به الفنان المسلم منذ بداية العصر الإسلامى من ابتعاد عن الرسوم الآدمية والحيوانية على العمائر الدينية كما هو الحال فى التكوينات الزخرفية النباتية.

تقوم التكوينات الزخرفية الهندسية فى بلاد اليمن قبل عصر الدولة الصليحية فى جامع شبام كوكبان والجامع الكبير فى صنعاء على ما يلى :

إشتمال تكوينات هذه الفترة على عناصر هندسية تتمثل فى عمل التقاسيم الهندسية والأشكال التى تشبه الجفوت اللاعبة والزخارف المضفورة والدوائر والتكوينات الهندسية المتقنة والأشكال الهندسية البسيطة كالمربعات والمستطيلات والمثلثات والأشكال المتقاطعة وعنصر الميمات.

وقد وجدت هذه التكوينات الهندسية بجامع السيدة بنت أحمد ومشهدها ولكنها ليست بالدقة والإتقان والكثرة التى عليها الزخارف النباتية، فقد اهتم

المصمم المسلم بالزخارف النباتية فى عصر الدولة الصليحية فاتجه ببصره إلى الزخارف النباتية الفاطمية لكى يقتبس منها تلك التكوينات الزخرفية الرائعة التى كانت السمة المميزة لمشهد السيدة بنت أحمد.

وقد وجدت الزخارف الهندسية فى جامع السيدة بنت أحمد إلى جانب الزخارف النباتية، ومن ذلك نجد شكلا مثمنا نتج من تداخل مربعين يتوسطهما شكل نجمى بداخله دائرة ومن الخارج كان الإطار الخارجى المربع الذى يحيط بهما من زخارف نباتية والتكوين فى مجمله يمثل مرحلة متطوره للغاية ويماثل هذا الشكل الزخرفى الزخرفة الهندسية ذات الإطار النباتى التى وجدت على بوابة جامع الحاكم بأمر الله (شكل ٥٠).

ووجدت زخرفة الجفوت التى تضم أوراقا نباتية ثلاثية وأشرطة مجدولة تحصر بداخلها أورقاً نباتية رباعية إلى جانب أشكال تحصر بداخلها أوراقاً نباتية متعددة البتلات وأشكال ميمات ومربعات متداخلة يتكون من تداخلها أشكال نجوم تحصر بداخلها أشكالا دائرية وأشكالا نباتية، وتتفق هذه الأشكال وما وجد من أشكال هندسية ذات مربعات متداخلة وميمات على بوابة جامع الحاكم بأمر الله، وفى مصر فى العصر الفاطمى كان للزخارف الهندسية دور أساسى فى زخرفة المساجد الفاطمية فوجدت فى بعض نوافذ القسم العلوى فى جدار القبلة وفى الجدارين الشرقى والغربى من رواق القبلة فى الجامع الأزهر من خلال الأحجبة الجصية المخرمة والمزخرفة بحلقات هندسية متشابكة.

ووجدت التكوينات الهندسية كإطارات تحد الزخارف النباتية فى جامع الحاكم بأمر الله فى النافذتين اللتين على يسار المحراب ترسم فى النافذة الثانية أشكالا نجمية، أما نوافذ الجدران الأخرى فقد اقتصرت على تشابك الخطوط الهندسية من دوائر ومستقيمات، وروعى أن ينتج من هذا التشابك تكوينات من أشكال نجمية رباعية أو سداسية الأطراف.

ويجرى تحت مستوى عقود طاقتى البوابة فى جامع الحاكم شريط نقشت عليه

زخرفة تتكون من خطين متداخلين يرسم تداخلهما مضلعات سداسية وثمانية وقد نقش فى وسط كل طاقة من الطاقتين إطار على شكل معين زخرفى من خطوط هندسية، كذلك ترسم مربعين متداخلين تنتهى أطراف كل منهما بحلقات ويتكون من تداخلهما نجمة ثمانية، ثم نجد أيضا زخارف الميمات فى تشابك هندسى مع أشكال دوائر وأشكال نجمية ورباعية.

وتمتد فى مئذنتى جامع الحاكم إزارات وإطارات نقشت فى أشكال هندسية من خطوط متداخلة ترسم مضلعات سداسية الزوايا أو مستطيلات مستديرة الأطراف أو دوائر وأنصاف دوائر مفرغة أو معينات أو نجوما ذات خمسة رؤوس.

ووجدت الخطوط المشعة من مركز يمثل الشمس فى أغلب الأحيان فى واجهة الأقمر.

وتوجد تكوينات هندسية تتمثل فى إطار مستطيل يحيط بالمحراب الرئيسى لمسجد السيدة رقية ويتكون من إزارين، الإزار الأعلى من زخارف هندسية متشابكة، كذلك توجد إطارات وإزارات من زخارف هندسية متشابكة ومتداخلة تحيط بالنوافذ والعقود فى مسجد الصالح طلائع.

كما توجد السرر الزخرفية فى مسجد الصالح طلائع وقد اختلفت أشكالها وتنوعت حشواتها رسماً وتنسيقاً وزخرفة وتتكون زخرفتها من شريط مستدير خارجى امتدت عليه زخارف نباتية وهندسية وتتوسط السرة فى مركزها دائرة أخرى تتشكل بأشكال هندسية متداخلة ويقع فيما بين الدائرتين إطار دائرى مضلع تنوعت أشكال ضلوعه، فهى تارة على هيئة محارة وتارة على هيئة الفصوص وتارة مجوفة وتارة مسطحة وتارة بارزة.

وقد استخدمت التكوينات الهندسية على التحف الفنية فى العصر الفاطمى فوجدت على الخزف ذى البريق المعدنى الفاطمى تتمثل فى شكل نجمى سداسى على صحن قوام زخارفه رسم عصفور وزخارف نباتية داخل هذا الشكل الهندسى(٢٢).

كما تمثلت على شكل شريط زخرفى يمتد وينثنى فيكون شكل الميمات على صحن من الخزف ذى البريق المعدنى الفاطمى(٢٣).

كما نفذت هذه التكوينات الهندسية والتى جاءت من نجوم ثمانية على الأخشاب الفاطمية ومن ذلك حشوة خشبية تزدان بتكوينات زخرفية نباتية داخل أشكال بيضاوية حصرت بدورها داخل أشكال هندسية قوامها الشكل النجمى(٢٤).

وقد وجدت الحشوات المجمعة فى توزيع هندسى على محراب يرجع إلى خلافة الحافظ لدين الله حين قام بتعمير مسجد السيدة نفيسة ٥٤١هـ/ ١١٤٥-١١٤٥م.

النقوش الكتابية :

تعد الكتابات على الآثار فى مجال العمائر والفنون من أبرز ما يميز الفن الإسلامى عامة، فقد استطاع الفنان أن يجعل من الكتابات المختلفة عنصراً هاماً من عناصر الزخرفة بجانب الأستفادة بنصوص الكتابة ذاتها، وقد ساعد على ذلك أشكال الحروف العربية بما اتسمت به من ليونة واستقامة فى أشكال الحروف أو فى مدها بحيث تفوقت الكتابة العربية عن غيرها من أنواع الكتابات الأخرى، فقد أدت الكتابات العربية دوراً جمالياً فى الفن الإسلامى بجانب دورها الأساسى فى العمارة والفنون.

اعتاد مؤرخو الفنون الإسلامية تقسيم الكتابات الكوفية إلى عدة أنواع **كالكوفى البسيط** وهو النوع الذى لا يلحقه التوريق أو التخميل أو التضفير وشاع فى العالم الإسلامي شرقه وغربه فى القرون الأولى للهجرة، ومن أمثلته كتابة قبة الصخرة فى القدس وكتابة مقياس النيل فى القاهرة وكتابة الجامع الطولونى.

الكوفي المورق :

وهو النوع الذى تلحقه زخارف تشبه أوراق الأشجار تنبعث من حروفه القائمة وحروفه المستلقية سيقان رفيعة تحمل وريقات نباتية متنوعة الأشكال.

الكوفي ذو الأرضية النباتية (الكوفى المخمل) :

وتستقر فيه الكتابة فوق أرضية من سيقان النبات اللولبية وأوراقه ويلحق بهذا النوع كتابات تستأثر فيها الحروف بالجزء الأسفل من الإفريز وتشغل الزخارف النباتية كل فراغ يتخلف بعد ذلك.

الكوفى المضفر :

هو نوع من الزخارف الكتابية التى عقدت احياناً إلى حد يصعب فيه تمييز العناصر الخطية من العناصر الزخرفية وقد تضفر حروف الكلمة الواحدة كما قد تضفر كلمتان متجاورتان أو أكثر لكى ينشأ من ذلك إطار جميل من التضفير.

الكوفى الهندسي الأشكال :

ويمتاز عن بقية أنواع الخطوط الكوفية بأنه شديد الاستقامة قائم على الزوايا أساسه هندسى بحت(٢٥).

وقد وجدت بعض هذه الخطوط بجامع ومشهد السيدة بنت أحمد حيث اسهم المصمم المسلم فى عصر الدولة الصليحية فى بلاد اليمن بدور كبير فى تطور الخط العربى إلى أن وصل إلى مرحلة تحول فيها من مجرد نصوص كتابية إلى تكوينات زخرفية كتابية.

وقد نفذت الكتابات فى محراب جامع السيدة بنت أحمد على زخارف جصية غاية فى الدقة والإتقان، فقد ظهر نوع من الخط الكوفى المزهر المتطور عن الخط الكوفى البسيط والمورق فى مرحلته الأولى فى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، يمتاز بأنه كتب على مستويين، مستوى الحروف العريضة البارزة ومستوى الأرضية من ورائها التى تحتشد بالزخارف مستقلة فى رسومها وحركاتها عن الكتابة مرتبطة بها فى الوقت نفسه وتظهر هذه التشكيلات الجديدة على الزخارف الجصية فى محراب جامع السيدة بنت أحمد فى الإطار المستطيل الذى يحيط بالمحراب.

وإلى جانب المحراب فقد وجدت الكتابات الكوفية أيضا على واجهة المشهد فى الجهتين الشرقية والجنوبية حيث تقرأ «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» «والحمد لله».

وقد نفذت هذه الكتابات الكوفية على إطار مفعم بالزخارف النباتية الجصية البديعة التكوين وقد نفذت فوق هذه الأرضية المحتشدة بالزخارف الجصية الحروف البارزة على غرار النقوش الكتابية الموجودة فى المحراب فقد تميز جامع ومشهد السيدة بنت أحمد بهذا النوع من الخط الكوفى المزهر على مهاد من أرضية نباتية.

وقد كان يراعى أن تكون التكوينات الزخرفية النباتية باختلاف عناصرها دقيقة خفيفة المظهر والحركة بقدر ماتكون الحروف شامخة ثابتة عليها وهو ماوجد بوضوح فى جامع ومشهد السيدة بنت أحمد.

هذا وقد تبقى قطع صغيرة من أفاريز من الزخارف الجصية تشتمل على نقوش مكتوبة بخط كوفى مورق فى مرحلته الأولى تحت السقف حول أروقة الفناء، ويبدو أنه كان لعقود واجهة رواق القبلة تلك النقوش المنحوتة من ذلك النوع(٢٦).

وفى مصر مر الخط الكوفى قبل العصر الفاطمى بثلاث مراحل مرحلة الكوفى البسيط والكوفى المورق الذى تطور فى العصر الفاطمى وإتخذ أشكالاً منوعة من الكوفى المزهر(٢٧).

وقد وجد الخط الكوفى المزهر تزهيراً بسيطاً فى الجامع الأزهر فى إطار متصل ممتد يربط بين نوافذ القسم العلوى فى جدار القبلة وفى الجدارين الشرقى والغربى من رواق القبلة والكتابات تمثل ايات من القرآن الكريم.

وقد كان يمتد تحت مجموعة الزخارف النباتية التى تجرى فوق اللوحات والنوافذ وتحتها فى الجدار المحيط برواق القبلة شريط أفقى نقشت عليه الآيات

القرآنية بالخط الكوفى المزهر كما فى الاطار الممتد حول اللوحات والنوافذ[٢٨].

ووجدت التكوينات الكتابية المزهرة بمحراب المعز لدين الله فى الجامع الأزهر.

وتطغى التكوينات الكتابية على قبة البهو ويبدو التزهير فى الخط أكثر وضوحاً مما كان عليه فى زخرفة عقود بلاطة المجاز حيث يرجع تاريخ قبة البهو إلى مابعد ٥٢٦هـ ١١٣١م فى خلافة الحافظ لدين الله ويمتاز بأن الأرضية التى امتدت عليها هذه التكوينات الكتابية انتشرت عليها زخارف نباتية مستقلة، وإن كانت فى نواح كثيرة تتصل بزخارف أطراف الحروف اتصالا يجمع بين النوعين من الزخرفة وامتدت التكوينات الكتابية على أشرطة تحيط بالعقود الحاملة للقبة وبالمربع القائم فوق هذه العقود وبالعقود المحيطة بالمقرنصات وفوق هذا كله يجرى إزار آخر يحيط بباطن القبة (لوحة ٧٦, ٧٧).

ويمثل أسلوب التكوينات الكتابية فى هذه القبة تطوراً كبيراً عن أسلوب الكتابات التى وجدت فى محراب ومشهد السيدة بنت أحمد ويتمثل هذا التطور فى إتصال حروف الخطوط الكوفية بزخارف الأرضية التى امتدت عليها هذه الخطوط الكوفية ومن ذلك نلحظ مدى التنوع فى الكتابات الكوفية فى الجامع الأزهر[٢٩].

وفى جامع الحاكم توجد بقايا تكوينات كتابية من الإزار الذى يحيط ببلاطة المجاز وبعض البلاطات الموازية وأجزاء أخرى تحت القبة التى تتقدم المحراب وجزء من إزار القبة المتطرفة فى بلاطة المحراب التى تتقدمه[٣٠] (لوحة ٧٨).

ويعلو المدخل من الداخل نص كوفى مؤرخ عليه اسم الخليفة الحاكم بأمر الله والخط مزهر يمثل مرحلة متطورة عن ذلك الذى وجد فى الجامع الأزهر (لوحة ٧٩)، كذلك وجدت التكوينات الكتابية على إطارات نوافذ المئذنة الشمالية وتبقى كذلك معظم الإزارات الأربعة المنقوشة حول المئذنتين وقد صيغت الحروف فى

أشكال رشيقة متناسقة، ووجدت التكوينات الكتابية الكوفية فى مسجد الجيوشى وتمثل أكثر عناصر الزخرفة إبداعاً وهى التى امتدت على إطارات امتلأت بالأزهار حتى ملئت الفراغات بين الحروف(٣١). وتتوسط قمة القبة من الداخل دائرة نقش فى مركزها محمد وعلى بالخط الكوفى، كذلك يوجد تكوين كتابى زخرفى يمتد أسفل منطقة انتقال القبة ويعد بداية لتنوع هام فى أساليب التكوين الكتابية الجدارية قوامه الآية القرآنية «ويتم نعمته عليكم ويهديكم صراطا مستقيما».

وهذا التكوين قائم على أبجدية كوفية شديدة الإنتظام خطوطها الممتدة شديدة الأستقامة ومنحنياته تامة الإستدارة تنتهى مداته بأنصاف مراوح نخيلية متشابهة ومبسطة الشكل حتى لاتضعف من وضوح قراءة النص القرآنى، وقد تمثل الإبداع فى أسلوب هذا التكوين الكتابى فى أن المصمم مد نصه الكتابى لأول مرة بمصر على أرضية هندسية وليس على أرضية نباتية كما هو معتاد، ومن ثم فقد نجح الخطاط المصمم فى إبتكار أسلوب تكوين ضم فيه العناصر الزخرفية الثلاثة الكتابية والهندسية والنباتية(٣٢).

وتعد التكوينات الزخرفية الكتابية الشاغلة لأجزاء كبيرة من المحراب المستنصرى بالجامع الطولونى إنعكاساً لنمو تطور أسلوب التكوينات القائم على مزج العناصر الكتابية بالعناصر النباتية، فقد ازدحمت الأرضية النباتية فى هذا المحراب وكذلك فراغات مابين حروف النص الكتابي بالأفرع النباتية وأوراقها، لكن مع ملاحظة ظاهرة فنية هامة بهذه التكوينات تمثلت فى زيادة دقة ورشاقة وتعقيد العناصر النباتية الممثلة للأرضية مع تعمد وضوح أبجدية التكوينات الكتابية، وهو الأمر الذى يؤدى إلى وضوح كل عناصر الشكل أو الكتابات وقد تمثل ذلك بالتكوين الكتابى الممتد بمحيط المحراب المستنصرى(٣٣).

كما يوجد تكوين كتابى زخرفى آخر بالمحراب نفسه يعد إمتداداً للأسلوب السابق بجامع الجيوشى وهو التكوين الممتد أعلى عقد المحراب والمتضمن للشهادتين فقد تمثل فيه مد التكوين الكتابى على أرضية هندسية(٣٤).

كما يزخرف المحراب نفسه تكوين كتابى زخرفى يتخذ شكل المحراب فيما بين عمودى المحراب عبارة عن تكوين كتابى شديد الأمتزاج بالتكوين النباتى المغطى لأرضية التكوين والمتخلل لحروف النص الكتابى وقد صورت كل أشكال أبجدية التكوين الكتابى حتى انها أصبحت صعبة القراءة مما يرقى بهذا التكوين إلى مرحلة استخدام الأبجدية الكتابية كعناصر زخرفية(٣٥).

وقد زادت هذه التكوينات جمالاً ورقة فى تكوينات الكوفية الممتدة حول عقود وجدران قبة بهو الأزهر كما تقدم، وتوجد تكوينات كتابية بواجهة الجامع الأقمر تشبه إلى حد كبير تكوينات الأزهر الكتابية المبكرة وتكوينات جامع الحاكم بأمر الله من ناحية الشكل والأسلوب.

كما يوجد تكوين كتابى مستدير الشكل يدور فى عكس إتجاه عقرب الساعة بسرة تقع فوق مدخل مسجد الأقمر وتتجه فيه الحروف فى اتجاه محيط الدائرة وتتسم حروف وكلمات النص الكتابى بالوضوح وذلك بالتخفيف إلى حد كبير من الزخارف المحيطة بكلمات التكوين الكتابى وإكتفائه بزخرفتها بالصبغة الهندسية المتمثلة فى المبالغة فى التواءات نهايات الحروف الممتدة فى اتجاه المحيط المستدير وكذلك بزخرفتها بعناصر نباتية بسيطة خرجت من بعض الحروف لتشغل بعض الفراغات الكبيرة بالتكوين(٣٦).

وقد زخرفت عقود الأقمر حول واجهات الصحن بازار زخرفى من الكتابات الكوفية ويوجد تكوين كتابى زخرفى يمتد برأس المحراب الأوسط فى مسجد السيدة رقية يعد إستمراراً للأسلوب سالف الذكر برأس المحراب المستنصرى، غير أن المصمم فى هذا التكوين أمعن فى تعقيده بل أن فراغاته أصبحت شبه منعدمة وزاد من ذلك الإحساس إضفاء المصمم للأحرف المجدولة بأبجدية التكوين، وقد وجدت الأحرف المجدولة فى التكوينات الكتابية المنفذة على جامع ومشهد السيدة بنت أحمد (لوحة ٨٠) فى الكلمات التى تبدأ بالألف واللام فى شكل زخرفى بديع كما هى هنا فى محراب السيدة رقية، كما تضمن هذا المحراب تكوينا كتابياً مستديراً يتمركز فى طاقية المحراب من اسم محمد صلى الله عليه وسلم المتكرر

ثمانى مرات فى عكس اتجاه عقرب الساعة بصورة متقاطعة على محور دائرى تتمركز فى وسطه نجمة ثمانية وتتجه رؤوس الحروف فى هذا التكوين نحو محيطه.

كذلك نجد التكوينات الكتابية على واجهات مسجد الصالح طلائع الشمالية والواجهة الشرقية والغربية وبمعظم النوافذ والعقود وحول عقود رواق القبلة ونوافذه وهذه التكوينات تمثل قمة تطور التكوينات الكوفية المزهرة فى العصر الفاطمى (لوحة ٨١ ، ٨٢).

وقد وجدت التكوينات الكتابية الكوفية الفاطمية على التحف الفنية حيث نفذت على الخزف ذى البريق المعدنى[٣٧] وعلى الخزف ذى النقوش الخضراء والزرقاء[٣٨] كما وجدت الكتابات الكوفية على الأخشاب الفاطمية[٣٩].

هوامش وتعليقات الفصل الثامن

(١) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ٢١.

(٢) Barbara Finister:Die Freitages Moschee von Sibamkaukaban. A. bb.2.

(٣) د. مصطفى شيحة : مدخل ، ص ص ٤٢ - ١٤٤.

(٤) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ١٤٤.

(٥) د. مصطفى شيحة : مدخل، ص ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٦) د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة، ص ١٤٤.

(٧) د. عصام عرفة محمود : تطور أساليب التكوين فى الزخارف الجدارية بمساجد القاهرة فى عصر المماليك البحرية - رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة القاهرة، كلية الآثار ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.

(٨) د. عصام عرفة : تطور أساليب التكوين، ص ٥١١.

(٩) Flury (Samuel) : Die Ornamente der Hakim und Ashar, Moschee, Heidelberg, 1912, pp. 30-36.

(١٠) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ص ٨٠ - ٨١.

(١١) Creswell : The Muslim, P. 95. fig. 37.

د. عصام عرفة : تطور أساليب التكوين، ص ٥١٦، وجدت التكوينات الهندسية ممتزجة بالتكوينات النباتية فى جامع القيروان تتمثل فى أشكال دوائر تحصر بداخلها أوراقا نباتية، انظر:

Fikry. A : La grand Mosquee pp. 140-143. fig. 70-74-77.

(١٢) الشرافات : عنصر الشرافات له أصول فى الفن السانى اذ يوجد فى طاق بستان

٥٩٠ هـ/٦٢٨م وفى طبق من الفضة رسمت عليه واجهة قصر ينسب إلى العصر الساسانى، وتمتد أصوله إلى الفنون الأخامينية والعراقية القديمة، انظر : د. فريد شافعى : الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى، ص ٧١.

(١٣) د. عصام عرفة : تطور أساليب التكوين، ص ٥١٨.

(١٤) د. زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية - القاهرة، ١٩٥٦م، شكل ٤٠.

(١٥) د. زكى محمد حسن : أطلس، شكل ٤٧.، انظر أيضا عن الزخارف النباتية المنفذة على الخزف. أشكال ٥٦، ٥٧، ٥٨.

(١٦) د. زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية، شكل ٦٨.

(١٧) د. زكى حسن : أطلس، شكل ٣٣٢.

(١٨) د. زكى حسن : أطلس، شكل ٣٣٣.

(١٩) د. زكى حسن : أطلس، شكل ٣٣٤.

(٢٠) انظر عن هذه الحشوات الخشبية : د. زكى حسن : أطلس، الأشكال أرقام ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٨.

(٢١) د. زكى محمد حسن : الفنون الإسلامية، ص ٢٦.

(٢٢) د. زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية، شكل ٤٩.

(٢٣) د. زكى محد حسن : أطلس الفنون الزخرفية، شكل ٤٦.

(٢٤) د. زكى حسن : أطلس، شكل ٣٦٠.

(٢٥) د. إبراهيم جمعة : تطور الكتابات الكوفية، ص ص ٤٥ - ٤٦.

(٢٦) بربارة فنستر : تقارير أثرية، ص ٥٥.

(٢٧) الخط الكوفى المزهر : اختلف العلماء في مصدر هذا الخط الكوفى هل نشأ وتطور فى القيروان وتونس ٣٤١هـ/٩٦٨م ومنها إنتقل إلى مصر أم أنه ظهر وتطور فى تركستان وفى طشقند فى ٢٣٠ هـ/٨٤٤م ومنها إنتقل إلى مصر ثم المغرب. ويرى Grohman أن الخط الكوفى المزهر بدأ وتطور في مصر ثم إنتقل إلى بلاد المغرب وقد ناقش د. أحمد فكرى هذه الآراء بالدراسة والتحليل.

انظر :

Grohman (Adolf) : The origin and early development of floriated kufic, Ars orientalis, Vol. II, Michigan, 1957, pp. 183-213.

د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها، ج١، ص ص ١٩١ - ١٩٣.

(٢٨) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، ج١، ص ٥٦.

(٢٩) حسن عبد الوهاب : الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة، ص ٣٦٩.

(٣٠) انظر : عن زخارف رواق القبلة والكتابات الكوفية التى تجرى على البائكات بالجامع الحاكمى

Creswell : The Muslim, p. 83.

كراسات لجنة حفظ الآثار لسنة ١٩٠٦م، تقرير ٣٥٠، محضر ١٤٢، ص ١٩.

(٣١) انظر عن هذه الزخارف المزهرة :

Van Berchem : Une Mosquee. pp. 617-618
Pauty : Dispositif de plafond. p. 102.

(٣٢) د. عصام عرفة : تطور أساليب التكوين، ص ٥٨٧.

Van Berchem : Une Mosquee. p. 618.

(٣٣) د. عصام عرفة : تطور أساليب التكوين، ص ٥٨٧.

(٣٤) د. عصام عرفة : تطور، ص ٥٨٩.

(٣٥) د. عصام عرفة : تطور، ص ٥٨٩.

(٣٦) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد، ص ٥١.

د. عصام عرفة : تطور أساليب التكوين، ص ٥٨٩.

(٣٧) د. زكى حسن : أطلس الفنون، الأشكال أرقام ٤٦، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٤.

(٣٨) د. زكى حسن : أطلس، شكل رقم ٦٨.

(٣٩) د. زكى حسن : أطلس، الأشكال أرقام ٣٣٤، ٣٥٦، ٣٦٠.

نفذت التكوينات الكتابية على هذه التحف الفنية من خزف ذى بريق معدنى وخزف أبيض وخشب ممتزجة بالتكوينات الزخرفية الفاطمية النباتية كما نفذت أيضا على مهاد من الفروع والوريقات النباتية إضافة إلى أنها نفذت داخل أشكال وتكوينات زخرفية هندسية تتمثل فى أشكال نجوم وحشوات مستطيلة وأشرطة زخرفية وهذه التكوينات الكتابية فى ذلك كله تتفق تماماً وما تقدم ذكره منها على العمارة الدينية الفاطمية.

الإستحكامات الحربية

أشرنا من قبل إلى الإستحكامات الحربية التى شيدها الصليحيون فى بلاد اليمن من خلال النصوص التاريخية، حيث لم يصل إلينا شيء من هذه الاستحكامات الحربية يمكن الاعتماد عليه فى الدراسة الأثرية المعمارية، أما فيما يتعلق بهذه الاستحكامات الحربية فى مصر فانه يمكن القول أن عمرو بن العاص لم يفكر فى تحصين مدينة الفسطاط «أول حاضرة إسلامية لمصر بسور» بعد أن استقرت له الأمور بالاستيلاء على الأسكندرية «عاصمة مصر فى العصر البيزنطى»، وهكذا لم يهتم المسلمون بأمر حصن بابليون، وهو حصن الروم الرئيسى فى مصر، والذى كان ينعم بكافة أساليب المنعة والقوة ففقد أهميته الحربية، وتحول الحصن بمرور الوقت إلى خطة من خطط الفسطاط تشتمل على عدد من الكنائس مثل المعلقة والقمارية وبربارة وأبى سرجة[١].

ويعد الحصن الذى أنشأه عمرو بن العاص بالجيزة فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٣م بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لتأمين همدان ومن والاها عندما احبوا المقام بالجيزة، أول حصن داخلى يشيد بمصر الإسلامية[٢].

وقد وردت أقدم إشارة إلى تحصين الفسطاط عندما احيطت بخندق فى غرة المحرم من عام ٦٥ هـ/ ٦٨٥م، حفره عبد الرحمن بن جحدم عامل ابن الزبير على مصر، أيام الصراع بين ابن الزبير فى مكة والأمويين فى الشام[٣].

وفى العصر العباسى شيد الخليفة المتوكل على الله حصنا بدمياط، وشرع فى بنائه فى رمضان من عام ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م، كذلك شيد حصنين آخرين فى تنيس والفرما، وقد تولى هذه الحصون من ناحية العمارة والى مصر عنبسة بن

اسحاق، وقد ارتبط بناء هذه الحصون إرتباطاً وثيقاً بتعرضها لهجوم الروم[٤].

وفى عام ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م شرع ابن طولون في تشييد حصن بجزيرة الروضة لتحصين العاصمة من الجهة الغربية فى موضع الحصن القديم الذى كان قائماً وقت فتح مصر وذلك عندما احتدم النزاع بينه وبين العباسيين ولكنه لم يتمه[٥].

ويعد عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م عندما شرع الفاطميون فى فتح مصر - البداية الفعلية لتحصين حواضر مصر الإسلامية، إذ بادر جوهر الصقلى بتحصين القاهرة المعزية ليقيم فيها مولاه المعز لدين الله الخليفة الفاطمى وأتباعه وقواده وجنده، وليدافع أيضا عن الفسطاط وإمتدادها شمالاً إلى العسكر والقطائع من خطر القرامطة[٦].

الأسوار والأبواب

قام القائد الفاطمى جوهر الصقلى عقب فتح مصر فى عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م بتأسيس مدينة القاهرة المعزية وأنشأ لها الأسوار، وكانت هذه الأسوار ترسم مستطيلاً غير منتظم الأضلاع يبلغ طوله حوالى ألف ومائة متر من الشرق إلى الغرب، وألف ومائتى متر من الشمال إلى الجنوب. وقد بنيت هذه الأسوار من كتل ضخمة من اللبن، وكان عرض الجدار فيها يزيد قليلاً عن مترين وكان بها ثمانى بوابات، بابان شمالاً هما باب الفتوح وباب النصر، وبابان شرقا هما باب البرقية وباب القراطين، وبابان غربا هما باب الفرج وباب سعادة، وبابان جنوبا هما بابا زويلة، وقد ضمت هذه الأسوار بداخلها كما تقدم القصر والجامع والدواوين وخطط القبائل التى قدمت بصحبة جوهر (شكل ٥١)[٧].

كانت بوابة الفتوح أهم بوابات أسوار القاهرة، وتقع فى منتصف الأسوار الشمالية، وبوابة زويلة فى منتصف الأسوار الجنوبية، وكان يصل ما بين هاتين البوابتين الطريق الرئيسى الذى أطلق عليه بين القصرين، وكان هذا الطريق يقسم

لقاهرة المعزية إلى قسمين متساويين تقريباً، وكانت تشتمل على طريق رئيسى آخر يجتاز المدينة من الشرق إلى الغرب شمالى الجامع الأزهر ويصل ما بين أسوارها الشرقية من باب البرقية إلى أسوارها الغربية أمام باب سعادة.

كذلك قام جوهر الصقلى بحفر خندق فى الجهة الشمالية من القاهرة المعزية فى عام ٣٦٠هـ/ ٦٧١م، ثم حفر خندقا آخر أمامه، ونصب عليه بابا حديديا يدخل منه كذلك أعاد حفر خندق فى القرافة جنوب شرق الفسطاط، وكان أن تحصن جوهر بالقاهرة وأغلق أبوابها عندما هاجمها القرامطة فى ربيع الأول من عام ٣٦١هـ/ ديسمبر ٩٧١م، ولم يستطع القرامطة دخول المدينة ودار القتال عند الخندق(٨). وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن السور قد أدى الغرض الذى شيد من أجله وقام بدوره كما يذكر المقريزى ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة، وما وراءها من المدينة(٩).

وقد أشار المقدسى إلى قوة تحصين القاهرة المعزية بقوله أن «بها جامع بهى وقصر السلطان وسطها، محصنة بأبواب محددة على جادة الشام ولايمكن أحدا دخول الفسطاط إلا منها لأنهما بين الجبل والنهر»(١٠).

جددت أسوار وبوابات القاهرة فى أيام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله على يد أمير الجيوش بدر الجمالى، وقد بدأ العمل فيها عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وتم بناؤها عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، وقام بدر الجمالى بنقل جزء من الأسوار الجنوبية مائة وخمسين متراً تقريباً إلى الجنوب، كما نقل جزءا من الأسوار الشمالية مثل تلك المسافة إلى الشمال، وكان من نتيجة هذه الزيادة فى الجهة الشمالية أن أصبح جامع الحاكم بأمر الله داخل القاهرة المعزية بعد أن كان خارجها(١١)(شكل ٥٢).

شيد أمير الجيوش هذه الأسوار الجديدة فى جزء منها بالآجر، ومعظمها من الحجارة وقد تخلف من أبواب بدر الجمالى ثلاثة أبواب جديدة من الحجر هى باب النصر وباب الفتوح شمالا وباب زويلة جنوبا، وماتزال هذه الأبواب قائمة إلى اليوم، كذلك تخلف من أسوار بدر الجمالى الجزء الذى يصل بين بوابتى النصر والفتوح شمالا وجزء يمتد حوالى خمسين مترا إلى الجنوب من بوابة

النصر، وجزء آخر يمتد حوالى مائة متر إلى غرب بوابة الفتوح، ويصل هذه الأسوار جميعا بالبوابات ممر فسيح يجرى على سطح الطابق الثانى الذى فتحت فيه لرمى السهام فتحات، أما الطابق الثالث فهو مكشوف أقيمت على جانبه شرفات وتتميز بوابات بدر الجمالى بضخامتها سواء من حيث المساحة التى تشغلها كل بوابة، وهى حوالى ٢٥ مترا مربعا، أو من حيث ارتفاعها الشاهق الذى يزيد عن عشرين مترا، أو من حيث الكتل الحجرية التى استخدمت فى بنائها.

ويمتاز بنيان هذه الأسوار بكتلها الحجرية المصقولة مسطحاتها، المنتظمة صفوفها، والتى يبلغ عددها من أسفل الجدار إلى قمته حوالى أربعين مدماكا رصت فيها الأحجار بعناية فائقة، وتمتاز باستخدام عمد من الحجارة وضعت أفقيا فى باطن الجدران لكى تزيد البناء ثباتا وقوة وتضيف إلى هيئته رونقا، فقد أنشأت القاهرة حصنا ومعقلا للدولة الفاطمية وفى ذلك يذكر المقريزى ما نصه عند ذكره قاهرة المعز لدين الله «إلى أن قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الإمام المعز لدين الله معد فبنى القاهرة حصناً ومعقلاً بين يدى المدينة وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه»(١٢).

باب النصر ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م (شكل ٥٣ ، ٥٤) :

تعد بوابة النصر أول بوابة أقامها بدر الجمالى فى الأسوار الجديدة، وقد بدأ البناء فيها عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، وتحتوى هذه البوابة على نقش كتابى كوفى منحوت على الحجر به تاريخ البناء «بدىء بعمله فى محرم سنة ثمانين وأربعمائة» يبلغ طول ممر البوابة ٢١ مترا وهو مسقوف فى جزء منه بقبوة من الحجارة أسطوانية وفى جزء آخر بقبوة متقاطعة، وتحف بالبوابة بدنتان ضخمتان فى الواجهة العمومية التى تبرز عن سمت الأسوار ناحية الشمال وهاتان البدنتان مربعتا القاعدة طول كل ضلع فيهما ثمانية أمتار وربع وهما بارزتان خارج البوابة وخارج الأسوار ويبلغ ارتفاع كل منهما إلى القمة اثنين وعشرين مترا تقريبا وقد قسم المعمار الفاطمى كل من البدنتين إلى ثلاثة طوابق يتراجع كل منها تراجعا

قليلا عن الطابق الذى يدنوه، وتتوسط واجهة الطابق الثانى سرر ودوائر بارزة منحوتة أما البوابة نفسها فيعلوها عقد محصور فى إطار زخرفى مستطيل وتتوسط هذه العقد لوحة حجرية نقشت عليها ثلاثة أسطر من كتابة كوفية دينية يقرأ فيها شعار الشيعة «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، محمد رسول الله، على ولى الله». وقد وضعت هذه اللوحة فوق عقد عاتق يعلو نفيسا يخفف الضغط على عتبتين مستطيلتين من الحجارة مدتا أفقيا من تحته أعلى فتحة الباب، وتتكون هاتان العتبتان من صنج معشقة فى شكل زخرفى بديع وهما أقدم أمثلة معروفة لتجميع الصنج المعشقة فى عمارة القاهرة، ويعلو هذه اللوحة الكتابية فتحات لصب المواد الحارقة على من يحاول اقتحام الباب وهذه الفتحات خلف عقد البوابة، ويتوصل إلى أعلى البوابة من خلال سلم حجرى يعد الأول من نوعه فى العمارة الإسلامية فى مصر(١٣).

ويذكر د. أسامة طلعت لما كانت أبواب سور جوهر قد اندثرت الآن ولم يتبق منها سوى أسمائها، فضلا عن ندرة ما ورد عنها في المصادر والمراجع العربية القديمة، فإنه يصعب تحديد عمارتها، وإذا ما كانت تتبع التخطيط المباشر أم التخطيط المنكسر، ويضيف أن عمارة الأبواب الباقية من عهد بدر الجمالى تدل على أنها أبواب ذات ممرات مباشرة وليست منكسرة، إلا أنه يوجد نص ورد فى الخطط المقريزية لم يلتفت إليه من قبل يدل على ان إثنين من هذه الأبواب كانت تشتمل فى الأصل على «باشورة» أو «عطف»، وهذان البابان هما : باب النصر وباب الفتوح فقد عرف المقريزى الباشورة ضمنا أثناء ذكره لباب زويلة فقال «فلما كان فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذى هو باق إلى الآن وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة كما هى عادة أبواب الحصون من أن يكون فى كل باب عطف حتى لاتهجم عليه العساكر فى وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكنه عمل فى بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لاتثبت قوائم الخيل(١٤).

ثم يذكر عن باب النصر ما نصه «فلما كان فى أيام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن فصار قريباً من مصلى العيد وجعل له باشورة، أدركت بعضها إلى أن احتفرت أخت الملك الظاهر برقوق الصهريج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه وعلى باب النصر مكتوب بالكوفى فى أعلاه «لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله صلوات الله عليهما»[١٥].

باب الفتوح ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م (شكل ٥٥) :

أنشأ بدر الجمالى باب الفتوح فى نفس السنة التى شيدت فيها بوابة النصر. وتختلف هذه البوابة عن بوابة النصر فى تصميم برجيها أو بدنتيها، حيث جاء تصميم بدنتى بوابة الفتوح على هيئة مستديرة وليست مربعة، كما تختلف بوابة الفتوح أيضا من حيث نظامها الداخلى وبوابة النصر، ويصل بين البوابتين طريق على سطح السور فى الطابق الثالث على جانبه شرافات حربية، كما يصل بين البوابتين أيضا ممر أو دهليز مقبى ويجرى على سطح الطابق الثانى الذى فتحت فيه فتحات لرمى السهام. ويبلغ طول أطراف الواجهة ثلاثة وعشرين مترا، ويقرب أرتفاعها من ذلك، كما يبلغ طول ممرها من الطرف الخارجى فى الواجهة الشمالية إلى الطرف الداخلى فى الواجهة الجنوبية خمسة وعشرون مترا.

وتبلغ مساحة الفضاء بين البرجين فى كلا الطرفين سبعة أمتار ونصف متر وتتقارب الجدران، أمام الداخل من جهة الشمال حتى تضيق فتحة البوابة كما هو الحال فى باب النصر، وتتراجع هذه الجدران أربع مرات أخرى ويتسع الممر حتى يبلغ أربعة عشر مترا ثم تتقارب من جديد ويعود الممر إلى سعة سبعة أمتار ونصف المتر ولهذا التدرج من تراجع وتقارب أغراض عملية فى تنظيم حركة المرور من البوابة وفى إمكان التحكم فيها، ويذكر د. أحمد فكرى أنه من الملاحظ أنه خطط فى شكل بديع من حيث التنسيق والتوازن، وقد حليت

جوانب البرجين بعقدين مصمتين قصت حجارتهما على هيئة وسائد صغيرة متلاصقة، ويظهر هذا الشكل لأول مرة فى تاريخ العمارة على هذا الباب، ويضيف د. أحمد فكرى وهو يصور على الحجارة طريقة البناء بالآجر(١٦).

وقد تعددت العقود على هذه البوابة وتعددت أشكالها الزخرفية ما بين معينات وأزهار ونجوم ومحارات وفصوص، وقد سقف ممر البوابة بقبة حجرية ضحلة أقيمت على مثلثات كروية وهى التغطية التى وجدت فى البلاطة الثانية والثالثة فى جامع الأقمر ثم وجدت فى ممر بوابة زويلة وتشتمل الأبراج على سقف من قبوات متقاطعة جعل مركزها مستديراً.

وكان هذا الباب يشتمل على باشورة، قال المقريزى «وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن وبقى منه إلى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه أسطر من الكتابة بالكوفى وهو برأس خارة بهاء الدين من قبليها دون جدار الجامع الحاكمى وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فانه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح»(١٧).

ويذكر د. أسامة طلعت عن باشورة باب النصر التى تقدم ذكرها أنها لم تكن متصلة إتصالاً مباشراً بكتلة الباب ويدل على ذلك أمران أولهما عمارة الباب الحالية لاسيما واجهته الخارجية والتى تبدو متكاملة لاينقص من عمارتها شىء والثانى ماذكره المقريزى عن باب الفتوح وتقدم ذكره من أن «بين يديه باشورة» أى أن أمامه باشورة، وهى الباشورة التى ظلت باقية حتى زمن المقريزى ثم ما حل بها نتيجة نمو وتطور العمران خارج الباب واقتراب المبانى من الباب لدرجة بناء المنازل وغيرها على كتلة الباشورة، ويرجح د. أسامة طلعت أنها كانت فى بابى النصر والفتوح عبارة عن سور أمامى يتقدم الباب وأقل منه إرتفاعاً بحيث يمنع دخول الباب مباشرة، وأنه كان يفتح بأحد الأضلاع الجانبية لنهر السور الأمامى أو على كلا جانبيه باب بحيث يضطر الداخل إلى أن ينعطف يسارا أو يمينا ليمر بالفصيل المحصور بين السور الأمامى وكتلة الباب الرئيسى ومنه إلى ممر

المدخل الذى لايزال باقيا، ويدعم هذا الترجيح عدة نقاط منها : أن الباشورة بهذا الشكل تتفق وتعريف المقريزى لها فى باب زويلة، وأنها كانت تعوق بلاشك حركة المرور من خلال الباب لاسيما مع ازدياد العمران شمال القاهرة الفاطمية بمرور الوقت، وأن بناء أسوار أمامية أو أسوار موازية للسور الرئيسى كان معروف قبل الإسلام وبعده فعرف بعد الإسلام فى بغداد والرقة وغرب العالم الإسلامى حيث عرف هناك باسم «البربكانة» أو «الحزام البرانى»(١٨).

باب زويلة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م (شكل ٥٦) :

ذكره المقريزى فقال «كان باب زويلة عندما وضع جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح فلما قدم المعز إلى القاهرة دخل من أحدهما وهو الملاصق للمسجد الذى بقى منه إلى اليوم عقد ويعرف بباب القوس فتيا من الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له. وقد زال هذا الباب ولم يتبق له أثر اليوم.. فلما كان فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى أمير الجيوش.. باب زويلة الكبير الذى هو باق إلى الآن وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة»(١٩).

هذا وتعد بوابة زويلة آخر بوابات بدر الجمالى الباقية تاريخا، إذ تم تشييدها فى عام ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م، وكانت أمامها زلاقة كبيرة، وقد تغيرت بعض مظاهرها فى عهد السلطان الأيوبى الملك الكامل، وقد أورد المقريزى «وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاهما الملك المؤيد لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين»(٢٠).

وهاتان البدنتان مقوستا القاعدة كما فى بدنتى باب الفتوح، ولكنهما هنا فى باب زويلة أكثر استدارة، وتشغل هذه البوابة مساحة مربعة تقريبا طول كل ضلع من أضلاعها ٢٥ مترا، وتتعرج جدران ممرها تقاربا وتراجعا على هيئة مماثلة لجدران ممر بوابة الفتوح، كما أن ممر بوابة زويلة مسقوف كله بقبة ضحلة حجرية ترتكز على مثلثات كروية، وقد وجدت هذه التغطية فى العمارة الدينية فى مسجد

الأقمر، كما وجدت فى عمارة المشهد فى مشهد يحيى الشبيه، كما وجدت فى باب الفتوح إلا أنها فى مسجد الأقمر ومشهد يحيى الشبيه كانت من الآجر بينما هنا وفى باب الفتوح من الحجر وذلك يعزى إلى طبيعة المكان الحربية، وقد اختفت معظم المعالم الزخرفية لواجهة بوابة زويلة ولكن أهميتها المعمارية مازالت واضحة تماماً.

وقد ذكر المقريزى «وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه ومن تأمل الأسطر التى كتبت على أعلاه من خارجه فانه يجد فيها أسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه»[٢١].

هوامش وتعليقات الفصل التاسع

(١) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها، بولاق، القاهر، ١٣١٠هـ/ ١٩٨٢، جـ٤، ص١٠٧.، د. فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر، ص ص ٣٣٩ - ٥١٧.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، دار التعاون، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٩١، المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٢٠٩.، د. حسن الباش : مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٥٦.

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٥٨.، د. فريد شافعى : العمارة العربية، ص ٥١٨.

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٢٠٢.، المقريزى : الخطط، جـ١، ص ١٨٠.

(٥) كان ابن طولون يشرف بنفسه على بناء الحصن، وبعد أن علم بموت موسى بن بغا قائد الجيش المجهز لمحاربته فى عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م أوقف العمل فيه، وكان قد استمر لمدة عشرة أشهر وبلغت النفقة عليه ٨٠٫٠٠٠ دينار وظل قائماً حتى تهدم مع توالى فيضان النيل، ويرجح أنه كان فى طرف الجزيرة الجنوبى بجوار المقياس.
البلوى : سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، مكتبة الثقافة الدينية، ص ص ٨٦ - ٨٨.، ابن دقماق : الانتصار، جـ٤، ص ١٠٩.، د. فريد شافعى : العمارة، ص ٥٢٠.

(٦) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٦١.، د. فريد شافعى : العمارة، ص ٢٦٩.

(٧) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٦١.، بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة،

ترجمة د. أحمد دراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٩٣هـ/ ١٩٧٤م، ص ص ٣٥-٤١.، د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها العصر الفاطمى، دار المعارف بمصر، جـ١، ص ٢١.، د. أسامة طلعت عبد النعيم خليل : أسوار صلاح الدين وأثرها فى امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، جـ١، ص ص ٩-١٦، د. عبد الله كامل موسى عبده : الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٨) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٣٦.، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية، جـ١، ص ٣٥.

(٩) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٦١.

(١٠) المقدسى : أحسن التقاسيم، ص ٢٠٠.

(١١) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٧٩.، د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١، ص ص ٢٤-٢٨.

(١٢) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٤٨.

(١٣) د. أسامة طلعت عبد النعيم : ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (١١-١٣م)، (التواصل الحضارى بين أقطار العالم العربى من خلال الشواهد الأثرية (كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(١٤) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٨٠.

(١٥) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٨١.

(١٦) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة، جـ١.

(١٧) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٨١.

(١٨) د. أسامة طلعت : ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية، ص ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(١٩) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٨٠.

(٢٠) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٨١.

(٢١) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٣٨١.

الخاتمة

وبعد فهذه دراسة تطرقت إلى موضوعات تاريخية وحضارية وأثرية فى مجال العمارة والفنون الصليحية فى اليمن والعمارة والفنون الفاطمية فى افريقية ومصر، وفيما يلى عرض بعض ما تحقق من نتائج من خلال فصول الكتاب.

جاء الفصل الأول بعنوان الأحداث السياسية فى بلاد اليمن وقيام الدولة الأسماعيلية الأولى، وقد تناول هذ الفصل الأحداث السياسية فى اليمن قبل قيام الدولة الصليحية بشكل عام اعتباراً من تبعية بلاد اليمن للدولة الإسلامية منذ عصر الخلفاء الراشدين حتى قيام الدولة الإسماعيلية الأولى على يد الداعى ابن حوشب والداعى على بن الفضل، كما تناول ارتباط هذه الاحداث بإنتشار المذاهب الدينية المختلفة فى اليمن وما أحدثته هذه المذاهب من اضطراب سياسى وعدم استقرار مع التركيز على إنتشار المذهب الاسماعيلى فى اليمن وقيام الدولة الاسماعيلية الأولى، ثم انتهاء الدولة عقب وفاة ابن حوشب وانتقال الدعوة من مرحلة القوة والعلانية إلى مرحلة السرية والضعف، وهى المرحلة التى استمرت حتى ظهور الداعي على بن محمد الصليحى وقيام الدولة الصليحية أو الاسماعيلية الثانية.

أما الفصل الثانى فقد جاء بعنوان الدولة الفاطمية فى شمال أفريقية واثارها الإسلامية، وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل مدى الدور الذي اسهمت به اليمن فى قيام الدولة الفاطمية بافريقية، خاصة وأن أبا عبد الله الشيعى، وهو

رجل من أهل صنعاء تلقى أصول الدعوة الاسماعيلية فى اليمن على يد الداعى ابن حوشب، ثم توجه من اليمن إلى افريقية واستطاع تمهيد الأمور تماما للإمام عبيد الله المهدى بعد أن خاض عدة حروب مع الأغالبة، وقد تطرقت الدراسة إلى مدينة رقادة وآثارها الإسلامية، وهى المدينة التى اتخذها المهدى حاضرة لدولته وأعلن من مسجدها الجامع قيام الدولة الفاطمية، وهى مدينة أغلبية شيدها الأغالبة لتكون حاضرة لهم فى أفريقية، كما تطرقت الدراسة إلى إنشاء مدينة المهدية وآثارها الإسلامية، خاصة وأنها تعد أول مدينة فاطمية بافريقية، كذلك تناولت الدراسة مدينة زويلة أو ربض زويلة، وهى أيضا من إنشاء الخليفة المهدى، وقد جعل الفاطميون هذه المدينة للعامة بينما جعلوا مدينة المهدية قلعة ومدينة للخاصة، هذا وقد تطرقت الدراسة أيضا إلى إمتداد النفوذ الفاطمى إلى المنطقة الجغرافية الواقعة ما بين رقادة والقيروان من جهة ومصر من جهة أخرى وهى المنطقة التى تشمل ولاية طرابلس الغرب وولاية برقة، وقد هدف الفاطميون من السيطرة على هذه المنطقة إلى الاستيلاء على مصر، خاصة ولاية برقة التى كانت تابعة إداريا لمصر فتم الاستيلاء عليها فى عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م لكى تكون بمثابة قاعدة انطلاق الجيوش الفاطمية إلى مصر بدلا من طرابلس، كما تطرقت الدراسة إلى مدينة صبرة أو مدينة المنصورية التى شيدها الخليفة المنصور أبو طاهر اسماعيل، وهى المدينة الفاطمية الثانية التى شيدها الفاطميون بافريقية بعد المهدية.

هذا وقد تطرقت الدراسة فى هذا الفصل إلى الآثار المندثرة والباقية بولايتى طرابلس الغرب وبرقة، ومن هذه الآثار الباقية شاهد قبر طاهر بن على الذى عثر عليه فى منطقة تعرف بوادى الكوف تقع إلى الغرب من مدينة البيضاء، وهذا الشاهد يحتفظ به متحف آثار مدينة البيضاء فى القاعة المخصصة للآثار الإسلامية، وهو مؤرخ بسنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م أى يرجع إلي عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله، كما تطرقت الدراسة إلى نص كتابى كوفى يحتفظ به متحف طلميثة إحدى مدن برقة الأقليم أثناء تجديد مسجد الزاوية السنوسية بمدينة المرج (برقة قديما)، وهذا النص يتضمن اسم الخليفة المعز لدين الله.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان قيام الدولة الصليحية فى اليمن، وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل دور الداعى على بن محمد الصليحى على مسرح الاحداث التاريخية وتأسيس الدولة الصليحية، ثم تحقيق السنة التى ثار فيها الصليحى.

كذلك أوضحت الدراسة أهمية شخصية هذا الداعى ودرجة ثقافته الدينية واهتمامه الكبير بالعمارة الدينية والمدنية والحربية فى بلاد اليمن.

ثم تطرقت الدراسة إلى زواجه من السيدة أسماء بنت شهاب أم الملك المكرم ثم دوره الحربى والسياسى فى تأمين دولته مع الإشارة إلى بعض الدنانير التى أفادت الدراسة لاسيما فى الفترة ما بين عامى ٤٤٤هـ و٤٤٧هـ وهى الفترة الغامضة فى تاريخ الدولة الصليحية التى لم تتناولها المصادر، وهى فترة بالغة الأهمية فى تكوين الدولة الصليحية وهذه الدنانير التى اعتمدت عليها ضربت فى سنوات ٤٤٢هـ، ٤٤٤هـ، ٤٤٧هـ، ٤٥١هـ.

تناولت الدراسة تاريخ وفاة الداعى الصليحى (٤٥٩هـ) إعتمادا على سجل وارد من الخليفة المستنصر بالله إلى الملك المكرم أحمد بن على الصليحى يعزيه فى وفاة والده ويقيمه خلفا له.

كما رجحت الدراسة وفاة سعيد الأحول بن القائد نجاح فى سنة (٤٦٠هـ) تقريبا وليس سنة (٤٨١هـ) فى منطقة الشعر على يد المكرم أحمد بن على.

كما أسفرت الدراسة فى هذا الفصل عن تحقيق بعض التواريخ مثل سنة وفاة الملك المكرم وهى عام (٤٧٨هـ) وليس عام (٤٨٤هـ) اعتمادا على دراسة سجل هام من الخليفة المستنصر بالله إلى عبد المستنصر أبى الحسن على بن المكرم يعزيه فى أبيه.

أما الفصل الرابع فقد جاء بعنوان علاقة الدولة الصليحية فى اليمن بالخلافة الفاطمية فى مصر، وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل طبيعة العلاقات بين الدولتين، حيث يتضح أنها كانت فى معظمها ودية للغاية، وقد اعتمدت بشكل

أساسى فى هذه الدراسة على السجلات المستنصرية التى أوضحت طبيعة العلاقة بين الداعى على بن محمد الصليحى والخليفة المستنصر بالله، وهى العلاقة التى اتسمت بالود فى كافة الأحوال، كما أوضحت العلاقة الطيبة الودية للغاية التى استمرت فى عهد الملك المكرم أحمد بن على الصليحى، كذلك أوضحت العلاقات الصليحية الفاطمية فى عهد الملكة الحرة السيدة بنت أحمد، حيث بلغت هذه العلاقات أوج إزدهارها خلال حكمها بفضل سياستها ومدى تقربها من الخلفاء الفاطميين حتى تضمن لها ولأولادها بقاء الدعوة والدولة فى بيت الداعى على بن محمد الصليحى.

وجاء الفصل الخامس بعنوان آثار الدولة الصليحية المندثرة، وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل مدينة صنعاء التى اتخذها الداعى على بن محمد الصليحى حاضرة لدولته، ثم مدينة ذى جبلة عاصمة الدولة الصليحية الثانية بعد مدينة صنعاء، حيث كان الانتقال إليها بسبب طبيعة الحياة العسكرية الشديدة فى صنعاء، وأيضا للحفاظ على كيان الدولة الصليحية والدعوة الاسماعيلية، حيث كانت جبلة تتمتع بتحصين طبيعى، كما كانت الحياة فيها بسيطة وهادئة، ثم تطرقت الدراسة إلى حصن التعكر الذى اتخذته الملكة الحرة السيدة بنت أحمد دار إقامة فى أيام الصيف مع الأشارة إلى مدينة أب المجاورة، هذا فضلا عن ذكر بعض المنشآت المدنية كعمارة الطرقات. والسقايات وغير ذلك وفى نهاية هذا الفصل تناولت العمائر الدينية المندثرة، وناقشت مشكلة عمارة الجناح الشرقى فى جامع صنعاء، خاصة فيما يتعلق بزخارف السقف وانتهيت إلى أنه ليس من أعمال السيدة بنت أحمد وإنما من أعمال الدولة اليعفرية.

أما الفصل السادس فقد جاء بعنوان جامع ومشهد السيدة بنت أحمد، وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل الوصف الأثرى للمسجد ومقارنته ببعض المساجد اليمنية السابقة عليه وقد أوضحت من واقع الدراسة التاريخية لعصر الدولة الصليحية أن جامع السيدة بنت أحمد بنى تقريبا فى عام (٤٦٠هـ-٤٦١هـ) وليس سنة (٤٨٠هـ-٤٨١هـ) كما أوضحت تطور العمارة الدينية فى اليمن قبل

عصر الدولة الصليحية وخلالها من خلال الأشارة إلى الجامع الكبير بصنعاء، وجامع الجند، وجامع شبام كوكبان، ثم جامع السيدة بنت أحمد وقد شملت الدراسة فى هذا الفصل التخطيط والعناصر المعمارية الخاصة بالمسجد إضافة إلى دراسة المشهد الخاص بالسيدة بنت أحمد دراسة أثرية معمارية.

هذا وقد تناول الفصل السابع الذى جاء بعنوان الآثار الدينية الصليحية فى اليمن والآثار الدينية الفاطمية فى «مصر دراسة معمارية وزخرفية مقارنة» بين التخطيط والعناصر المعمارية فى عمائر الدولتين الصليحية فى اليمن والفاطمية فى مصر وهى الدراسة التى إنقسمت إلى قسمين أحدهما يتعلق بالعمارة الدينية الممثلة فى الجوامع والمساجد والآخر يتعلق بالمشاهد، وذلك لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه العمائر فى بلاد اليمن ومصر.

أما الفصل الثامن فقد جاء بعنوان : العناصر الزخرفية، وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل العناصر الزخرفية النباتية والهندسية والنقوش الكتابية التى وجدت بمسجد ومشهد السيدة بنت أحمد. ثم مقارنتها بمثيلاتها فى المساجد والمشاهد الفاطمية فى مصر.

أما الفصل التاسع والأخير فقد جاء بعنوان الاستحكامات الحربية الفاطمية الباقية بمدينة القاهرة، وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل تأسيس القاهرة المعزية فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى على يد القائد جوهر الصقلى وإنشاء أسوارها وأبوابها من خلال دراسة فى المصادر التاريخية، ثم تناولت الدراسة استحكامات القاهرة الحربية فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله على يد بدر الجمالى مع دراسة للأبواب والأسوار الباقية المتمثلة فى بابى النصر والفتوح وباب زويلة.

ثبت الأشكال واللوحات

أولاً : الأشكال

شكل (١) المسقط الأفقى لجامع المهدية عن Creswell

شكل (٢) المسقط الأفقى لجامع القيروان عن د. أحمد فكرى.

شكل (٣) تحليل أبجدى لشاهد قبر طاهر بن على عمل الباحث

شكل (٤) تحليل أبجدى للنص الفاطمى عمل الباحث

شكل (٥) منظر عام لمدينة ذى جبلة عن Suzanne et Max

شكل (٦) مدينة ذى جبلة واب عن Suzanne et Max

شكل (٧) جامع السيد بنت أحمد يتوسط جبلة عن Suzanne et Max

شكل (٨) المسقط الأفقى لجامع السيدة بنت أحمد عن Barbara

شكل (٩) المسقط الأفقى لجامع السيدة بنت أحمد Suzanne et Max

شكل (١٠) المسقط الأفقى لمشهدالسيد بنت أحمد عن Barbara

شكل (١١) المسقط الأفقى لجامع عمرو بن العاص عن د. أحمد فكرى

شكل (١٢) المسقط الأفقى للجامع الأزهر عند الإنشاء عن Suzanne et Max

شكل (١٣) المسقط الأفقى للجامع الأزهر بعد زيادة الحافظ عن د. أحمد فكرى

شكل (١٤) المسقط الأفقى لجامع الحاكم بأمر الله عن د. صالح لمعى

شكل (١٥) مسقط وقطاع لمسجد ومشهد الجيوشى عن Creswell

شكل (١٦) المسقط الأفقى للجامع الأقمر عن Creswell

شكل (١٧) المسقط الأفقى لمسجد ومشهد السيدة رقية عن Creswell

شكل (١٨) المسقط الأفقى لمسجد ومشهد السيدة رقية عن مصلحة الآثار

شكل (١٩) المسقط الأفقى لمسجد الصالح طلائع عن د. صالح لمعى

شكل (٢٠) المسقط الأفقى لمسجد أحمد بن طولون عن د. فريد شافعى

شكل (٢١) المسقط الأفقى لظلة القبلة فى مسجد الزيتونة عن د. أحمد فكرى

شكل (٢٢) قطاع للواجهة الجنوبية بجامع ذى جبلة عن Suzanne et Max

شكل (٢٣) قطاع رأسى لمربعة المحراب وقبته عن	مصلحة الآثار
شكل (٢٤) قطاع رأسى لمئذنة جامع الحاكم الغربية عن	مصلحة الآثار
شكل (٢٥) قطاع رأسى لمئذنة جامع الحاكم الشمالية عن	مصلحة الآثار
شكل (٢٦) المسقط الأفقى لمشهد القباب السبع عن	Creswell
شكل (٢٧) المسقط الأفقى لقبة الحصواتى عن	Creswell
شكل (٢٨) المسقط الأفقى لقبتى الجعفرى وعاتكة عن	Creswell
شكل (٢٩) المسقط الأفقى لقبة أخوة سيدنا يوسف عن	Creswell
شكل (٣٠) المسقط الأفقى لقبة يحى الشبيه عن	Creswell
شكل (٣١) زخارف نباتية من مشهد السيد بنت أحمد عن	Barbara
شكل (٣٢) زخارف نباتية من محراب جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٣٣) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٣٤) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٣٥) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٣٦) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٣٧) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٣٨) زخارف نباتية من محراب الجامع الأزهر عن	د. أحمد فكرى
شكل (٣٩) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية عن	Creswell
شكل (٤٠) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية عن	Creswell
شكل (٤١) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية عن	Creswell
شكل (٤٢) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية عن	Creswell
شكل (٤٣) زخارف نباتية وهندسية من جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٤٤) أشرطة ذات زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٤٥) زخارف نباتية وهندسية من جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٤٦) زخارف نباتية وهندسية من جامع ذى جبلة عن	Barbara
شكل (٤٧) زخارف نباتية من جامع الحاكم عن	د. أحمد فكرى

شكل (٤٨) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية عن Creswell

شكل (٤٩) تكوينات هندسية ونباتية من مدخل جامع الحاكم عمل الباحث

شكل (٥٠) تكوينات هندسية من مدخل جامع الحاكم عمل الباحث

شكل (٥١) موقع القاهرة من الفسطاط والعسكر والقطائع عن د. أحمد فكرى

شكل (٥٢) القاهرة فى عصرى المعز والمستنصر بالله عن د. أحمد فكرى

شكل (٥٣) المسقط الأفقى لباب النصر عن Creswell

شكل (٥٤) رسم للصنج المعشقة فى باب النصر عن د. أحمد فكرى

شكل (٥٥) المسقط الأفقى لباب الفتوح عن Creswell

شكل (٥٦) المسقط الأفقى لباب زويلة (الطابق الأرضى والأول) عن Creswell

ثانياً : اللوحات

لوحة (١) منظر عام لمدينة ذى جبلة.

لوحة (٢) جامع السيدة بنت أحمد بذى جبلة.

لوحة (٣) الباب الخشبى للمدخل الجنوبى فى جامع ذى جبلة.

لوحة (٤) واجهة رواق القبلة على الصحن فى جامع ذى جبلة.

لوحة (٥) الرواق الغربى وتظهر المعلامة فى جامع ذى جبلة.

لوحة (٦) الرواق الجنوبى بجامع ذى جبلة.

لوحة (٧) رواق القبلة من الداخل فى جامع ذى جبلة.

لوحة (٨) رواق القبلة من الداخل فى جامع ذى جبلة.

لوحة (٩) محراب جامع ذى جبلة.

لوحة (١٠) تفصيل من محراب جامع ذى جبلة.

لوحة (١١) منبر جامع ذى جبلة.

لوحة (١٢) المعلامة من الخارج.

لوحة (١٣) الممر المؤدى إلى المطاهير والحمامات.

لوحة (١٤) المطاهير والحمامات فى جامع ذى جبلة.

لوحة (١٥) المئذنة الشرقية فى جامع ذى جبلة.

لوحة (١٦) المئذنة الغربية فى جامع ذى جبلة.
لوحة (١٧) قاعدة عمود فى جامع ذى جبلة.
لوحة (١٨) تاج عمود فى جامع ذى جبلة.
لوحة (١٩) السقف الخشبى فى جامع ذى جبلة.
لوحة (٢٠) تفصيل من السقف الخشبى فى جامع ذى جبلة.
لوحة (٢١) تفصيل من السقف الخشبى فى جامع ذى جبلة.
لوحة (٢٢) مشهد السيدة بنت أحمد فى جامع ذى جبلة.
لوحة (٢٣) تفصيل من مشهد السيدة بنت أحمد فى جامع ذى جبلة.
لوحة (٢٤) تفصيل من مشهد السيدة بنت أحمد فى جامع ذى جبلة.
لوحة (٢٥) شرافات مدرجة بجامع ذى جبلة.
لوحة (٢٦) قبة البهو بجامع ذى جبلة.
لوحة (٢٧) رواق القبلة فى الجامع الأزهر.
لوحة (٢٨) رواق القبلة فى جامع الحاكم بأمر الله.
لوحة (٢٩) رواق القبلة فى الجامع الأقمر.
لوحة (٣٠) رواق القبلة فى مسجد الصالح طلائع.
لوحة (٣١) تفصيل من النوافذ فى جامع الحاكم.
لوحة (٣٢) البلاطة الوسطى فى الجامع الأزهر.
لوحة (٣٣) البلاطة الوسطى فى جامع الحاكم.
لوحة (٣٤) تفصيل من البلاطة الوسطى فى جامع الحاكم.
لوحة (٣٥) قبة البهو فى الجامع الأزهر.
لوحة (٣٦) تفصيل من قبة البهو فى الجامع الأزهر.
لوحة (٣٧) واجهة رواق القبلة على الصحن فى جامع الحاكم.
لوحة (٣٨) مسار العقود فى الرواقين الجانبيين فى الجامع الأزهر.
لوحة (٣٩) مسار العقود فى الرواقين الجانبيين فى جامع الحاكم.
لوحة (٤٠) واجهة الجامع الأقمر.

لوحة (٤١) تفصيل من واجهة الجامع الأقمر.
لوحة (٤٢) عقود من الجامع الأقمر.
لوحة (٤٣) القباب الضحلة فى الجامع الأقمر.
لوحة (٤٤) المدخل الرئيسى فى جامع الحاكم.
لوحة (٤٥) المدخل الغربى فى مسجد الصالح طلائع.
لوحة (٤٦) محراب الجامع الأزهر.
لوحة (٤٧) المحراب والقبة التى تعلوه فى جامع الحاكم.
لوحة (٤٨) محراب مسجد ومشهد السيدة رقية.
لوحة (٤٩) تفصيل من محراب مسجد ومشهد السيدة رقية.
لوحة (٥٠) المئذنة الغربية بجامع الحاكم.
لوحة (٥١) المئذنة الشمالية بجامع الحاكم.
لوحة (٥٢) تفصيل من سقف الظلة الشمالية الغربية بمسجد الصالح طلائع.
لوحة (٥٣) واجهة رواق القبلة فى مسجد ومشهد السيدة رقية.
لوحة (٥٤) أعمدة رواق القبلة فى مسجد الصالح طلائع.
لوحة (٥٥) عقود قبة البهو فى الجامع الأزهر.
لوحة (٥٦) مشهد القباب السبع.
لوحة (٥٧) مشهد الجعفرى.
لوحة (٥٨) مشهد أخوة سيدنا يوسف.
لوحة (٥٩) مشهد السيدة رقية.
لوحة (٦٠) مشهد يحيى الشبيه.
لوحة (٦١) تطور منطقة الانتقال فى مشهد الجعفرى.
لوحة (٦٢) تطور منطقة الانتقال والفتحات فى مشهد الجعفرى.
لوحة (٦٣) تطور منطقة الانتقال فى السيدة عاتكة.
لوحة (٦٤) تطور منطقة الانتقال فى السيدة رقية.
لوحة (٦٥) تطور منطقة الانتقال فى مشهد يحيى الشبيه.

لوحة (٦٦) مسجد ومشهد اللؤلؤة.
لوحة (٦٧) قبة مشهد السيدة عاتكة من الداخل.
لوحة (٦٨) قبة مشهد يحيى الشبيه من الداخل.
لوحة (٦٩) تفصيل من زخرفة المحراب بجامع ذى جبلة.
لوحة (٧٠) تفصيل من زخرفة المنبر بجامع ذى جبلة.
لوحة (٧١) تفصيل من زخرفة المنبر بجامع ذى جبلة.
لوحة (٧٢) زخارف البلاطة الوسطى فى الجامع الأزهر.
لوحة (٧٣) زخارف من المئذنة الغربية بجامع الحاكم.
لوحة (٧٤) تفصيل من زخارف واجهة الجامع الأقمر.
لوحة (٧٥) تفصيل من زخارف مسجد الصالح طلائع.
لوحة (٧٦) تفصيل من زخارف قبة البهو فى الجامع الأزهر.
لوحة (٧٧) تفصيل من زخارف قبة البهو فى الجامع الأزهر.
لوحة (٧٨) تفصيل من زخارف القبة الركنية بجامع الحاكم.
لوحة (٧٩) نص كتابى كوفى من جامع الحاكم.
لوحة (٨٠) كتابات كوفية من جامع ذى جبلة.
لوحة (٨١) تفصيل من واجهة مسجد الصالح طلائع.
لوحة (٨٢) تفصيل من كتابات مسجد الصالح طلائع.

* * *

المصـــادر والمراجـــع

المصادر والمراجع العربية وغير العربية

القرآن الكريم

أولاً المصادر :

- ابن أبى أصيبعة

(موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم، ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م).

- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء - تحقيق د. نزار رضا - نشر دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥م.

- ابن إياس :

(محمد بن أحمد الحنفى، ت : ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣م).

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور - تحقيق محمد مصطفى - القاهرة - ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢).

- ابن بطوطة :

(محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتى الطنجى، ت : بمراكش ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تحقيق د. على المنتصر الكتانى - نشر مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة - ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

- **ابن تغرى بردى :**
(جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى، ت : ٨٧٤ هـ/ ١٤٤٣م).
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- **ابن جبير :**
(أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، ت : ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).
- رحلة إبن جبير - طبعة دار الكتاب اللبنانى - بيروت.

- **ابن حجر العسقلانى :**
(شهاب الدين أحمد بن على بن محمد).
- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، دار الجيل - بيروت.

- **ابن حزم الأندلسى :**
(أبو محمد على بن أحمد بن سعيد).
- جمهرة أنساب العرب - تحقيق عبد السلام محمد هارون، جزآن - نشر دار المعارف - مصر - ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢م

- **ابن حوقل :**
(أبو القاسم محمد بن على البغدادى، ت : ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).
- صورة الأرض - نشر دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٧٩م.

- **ابن خلدون :**
(أبو زكريا يحيى بن أبى بكر محمد بن محمد، ت : ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)).
- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر. نشر المكتبة التجارية بفاس - ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.
- مقدمة ابن خلدون . نشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الرابعة - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- **ابن دقماق :**
(إبراهيم بن محمد، ت:٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م).
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار - الطبعة الأولى - ١٣٠٩هـ.

- **ابن الديبع :**
(عبد الرحمن بن على، ت : ٩٤٤ هـ١٥٣٧م).
- بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد - تحقيق عبد الله الحبشى نشر مركز الدراسات اليمنية، صنعاء - ١٩٧٩م.
- قرة العيوان بأخبار اليمن الميمون - تحقيق محمد بن على الأكوع القاهرة.

- **ابن سعد :**
- الطبقات الكبرى - القاهرة - ١٣٥٨ هـ.

- **ابن سمرة الجعدى :**
- طبقات فقهاء اليمن - تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، دار القلم، بيروت، لبنان.

- **ابن عبد الحكم :**
- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، دار التعاون القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م..

- **ابن عبد المجيد اليمانى :**
(تاج الدين بن عبد الباقى).
- تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ـ تحقيق مصطفى حجازى ـ نشر دار العودة ـ بيروت، دار الكلمة - صنعاء.

- **ابن فضل الله العمرى :**
(شهاب الدين ابن فضل الله، ت : ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).
- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار - القسم الخاص بممالك اليمن - تحقيق أيمن فؤاد سيد - نشر دار الأعتصام، القاهرة - ١٣٠١هـ/ ١٩٤٩م.

- ابن المجاور :
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر . نشر المدينة. دار التنوير - الطبعة الثانية - ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

- الإسفرايني :
- التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

- البغدادى :
(صفى الدين عبد المؤمن ، ت : ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م).
- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - تحقيق على محمد البجاوى - ٣ أجزاء - نشر دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى- ١٣٧٣/ ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤/ ١٩٥٥م.

- البلوى :
- سير أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، مكتبة الثقافة الدينية.

- البكرى :
- المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليو فن واندرى فيرى، تونس ١٩٩٢م.

- التجانى :
- رحلة التجانى (تونس - طرابلس ٧٠٦ / ٧٠٨ هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١م.

- الجزرى :
(عز الدين بن الأثير، ت : ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م).
- الكامل فى التاريخ - تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- الجندى :
(بهاء الدين محمد بن يوسف).
- السلوك فى طبقات العلماء والملوك - تحقيق القاضى محمد بن على الأكوع - جزآن - الطبعة الأولى - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- الحجرى :
- مساجد صنعاء، طبعة بيروت ١٣٩٨هـ.

- الحمادى اليمانى :
(محمد بن مالك).
- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق الشيح محمد بن الحسن الكوثرى - نشر مكتبة الخانجى بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

- الرازى :
(أحمد بن عبد الله بن محمد ، ت : ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).
- تاريخ مدينة صنعاء - تحقيق عبد اله العمرى - صنعاء - الطبعة الثانية - ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- السخاوى :
(نور الدين على بن أحمد بن عمر).
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع - تحقيق حسن قاسم ومحمود ربيع - الطبعة الأولى - ١٩٣٧م.

- الشهرستانى :
(أبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى).
- الملل والنحل - نشر مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى - ١٩٧٧م.

- الطبرى :
(أبو جعفر محمد بن جرير، ت : ٣١٠ هـ / ٩٢٢م).
- تاريخ الأمم والملوك - نشر المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

- العبدلى :
(أحمد بن فضل بن على).
- هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.

- **العرشى :**
(حسين بن أحمد).
- بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام - القاهرة، ١٣٥٨هـ..

- **على مبارك :**
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة - الطبعة الثانية - ١٣٠٥هـ/ ١٩٥٠م.

- **عمارة اليمنى :**
(نجم الدين عمارة بن على ، ت : ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م).
- تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها - تحقيق القاضى محمد بن على الأكوع - نشر مطبعة السعادة - الطبعة الثالثة - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- **عمر بن يوسف بن رسول :**
- طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب - تحقيق ك . و. سترستين - نشر دار الكلمة صنعاء - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

- **القلقشندى :**
(أبو العباس أحمد بن على ، ت : ٨٢١ هـ / ١٤١٨م).
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا - نشر المؤسسة المصرية العامة - القاهرة.
- قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان - تحقيق إبراهيم الأبيارى - القاهرة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.

- **الكبسى الصنعانى :**
(محمد بن إسماعيل ، ت : ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠م).
- اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية - نشر مطبعة السعادة.

- **المقدسى :**
(شمس الدين أبو عبد الله، ت : ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م).
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - ليدن - ١٩٠٩م.

- **المقريزى :**
(تقى الدين أحمد بن على ، ت : ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م).
- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا - تحقيق د. محمد حلمى محمد أحمد، د. جمال الدين الشيال - القاهرة - ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- الخطط المقريزية المسماة المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار - نشر مكتبة إحياء العلوم - الشياح - لبنان.

- **ناصر خسرو :**
- سفر نامة - تعليق يحيى الخشاب - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥م.

- **النوبختى :**
(أبو محمد الحسن بن موسى).
- فرق الشيعة - نشر المطبعة الحيدرية - نجف.

- **الهمدانى :**
(لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب، ت : ٣٤٤هـ / ٩٤٥م).
- صفة جزيرة العرب - تحقيق القاضى محمد بن على الأكوع - نشر مركز الدراسات والبحوث اليمنى - صنعاء - الطبعة الثالثة - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

- **الوصابى :**
(وجيه الدين الحبيشى).
- تاريخ وصاب الأعتبار فى التواريخ والآثار - تحقيق عبدالله بن محمد الحبشى نشر مركز الدراسات اليمانية - صنعاء - الطبعة الأولى - ١٩٧٩م.

- **ياقوت الحموى :**
(شهاب الدين أبى عبد الله، ت : ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م).
- معجم البلدان - نشر دار صادر، دار بيروت - بيروت - ١٣٧٤ هـ - ٣٧٦ هـ / ١٩٥٥ م - ١٩٥٧م.

- المشترك وضعا المفترق صقعا - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

- **يحيى بن الحسين بن القاسم محمد :**
- غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى - تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور - جزآن - نشر دار الكتاب العربى - القاهرة - ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م.

ثانياً : الرسائل العلمية

- **د. أسامة طلعت عبد النعيم :**
أسوار صلاح الدين وأثرها فى إمتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- **د. جمال عبد الرءوف عبد العزيز :**
مساجد مصر العليا الباقية من الفتح العربى حتى نهاية العصر العثمانى - دراسة أثرية معمارية - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآثار - جامعة القاهرة - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م.

- **د. عصام عرفة محمود :**
تطور أساليب التكوين فى الزخارف الجدارية بمساجد القاهرة فى عصر المماليك البحرية رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الاثار - جامعة القاهرة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

- **د. محمد حمزة :**
قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك - رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة - كلية الاثار - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م.

- **د. محمد الكحلاوى :**
العمارة الإسلامية فى المغرب الإسلامى - عمائر الموحدين الدينية فى المغرب - رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة - كلية الآثار - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

ثالثاً : المراجع العربية

- **د. إبراهيم جمعة :**

دراسة فى تطور الكتابات الكوفية على الأحجار فى مصر فى القرون الخمسة الأولى للهجرة - نشر دار الفكر العربى.

- **إحسان الهى ظهير :**

الشيعة والسنة - القاهرة - ١٩٨٦م.

- **أحمد حسين شرف الدين :**

اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، دراسة جغرافية، تاريخية، سياسية، شاملة - مطبعة السنة المحمدية - الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م.

- **د. أحمد السعيد سليمان :**

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة - جزآن - نشر دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٢م.

- **د. أحمد فخرى :**

اليمن بين القديم والجديد - محاضرة ألقيت بدار الجمعية الجغرافية المصرية - ١٨ - مارس - ١٩٥٩م. المطبعة الكمالية - القاهرة.

- **د. أحمد فكرى :**

- مساجد القاهرة ومدارسها - المدخل - نشر دار المعارف - مصر.

- مساجد القاهرة ومدارسها - جزآن - نشر دار المعارف - مصر.

- **د. أحمد محمود صبحى :**

الزيدية - نشر منشأة المعارف - الأسكندرية - ١٩٨٠م.

- **د. أسامة طلعت عبد النعيم :**

ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجرين (١١-١٣م)، التواصل

الحضارى بين أقطار العالم العربى من خلال الشواهد الأثرية كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة، ١٩٩٩م.

- **القاضى إسماعيل بن على الأكوع :**

- لمحة تاريخية عن صنعاء (الآثار الإسلامية فى الوطن العربى) - صنعاء - ١٩٨٠م.

- صنعاء (الآثار الإسلامية فى الوطن العربى) - صنعاء - ١٩٨٠م.

- امرأة تتولى الحكم فى اليمن - مجلة الفيصل - عدد ٨٨ - شوال ١٤٠٤ هـ - يوليو ١٩٨٤م - الرياض.

- **أيمن فؤاد سيد :**

تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

- **الجرافى : (عبد الله عبد الكريم) :**

المقتطف من تاريخ اليمن - نشر مؤسسة دار الكتاب الحديث - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٤م.

- **د. جمال الدين سرور :**

النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب، ١٩٦٤م.

- **د. حسن إبراهيم حسن :**

- الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص - نشر المطبعة الأميرية - القاهرة - ١٩٣٤م.

- تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب، مصر، سورية، بلاد العرب - نشر مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٥٨م.

- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والأجتماعى فى الشرق، مصر، المغرب، الأندلس - العصر العباسى الثانى من (٤٤٧ هـ - ٦٥٦ هـ /

١٠٥٥ م - ١٢٥٨م) نشر دار النهضة المصرية - الطبعة الأولى - ١٩٦٧م.
- اليمن البلاد السعيدة - نشر دار المعارف بمصر.

- **د. حسن الباشا :**
مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م.

- **د. حسن سليمان محمود :**
الملكة أروى سيدة ملوك اليمن - نشر دار الثناء للطباعة والنشر.

- **حسن عبد الوهاب :**
- تاريخ المساجد الآثرية - جزآن فى مجلد واحد.

- **د. حسين بن فيض الله الهمدانى، د. حسن سليمان محمود :**
- الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن - نشر مطبعة الرسالة - القاهرة - ١٩٥٥م.

- **د. ربيع خليفة :**
- منبر خشبى نادر فى الجامع الكبير بذمار، مجلة الأكليل - العدد الأول - السنة السادسة - صنعاء - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

- **ربيع القيسى، صباح الشكرى :**
- دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية فى شطرى القطر اليمانى - بغداد ١٩٨١م.

- **د. زكى محمد حسن :**
أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية - القاهرة - ١٩٥٦م.

- **زيد بن على عنان :**
تاريخ حضارة اليمن القديم - نشر المطبعة السلفية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

- **سالم بن حمود السيابى :**

الحقيقة والمجاز فى تاريخ الإباضية باليمن والحجاز وسلطنة عمان - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.

- د. سعاد ماهر :

- العمارة الإسلامية على مر العصور - جزآن - نشر دار البيان العربى - الطبعة الأولى -١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م).

- مساجد مصر أولياؤها الصالحون - ٥ أجزاء - مطابع الأهرام.

- مشهد الإمام على فى النجف وما به من الهدايا والتحف - نشر دار المعارف.

- محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م.

- مدينة أسوان - القاهرة - ١٩٧٧م.

- الفنون الإسلامية - نشر الهيئة المصرية العامة - ١٩٨٦م.

- د. سهام المهدى :

دينار فاطمى نادر ضرب فى زبيد ٤٤٧ هـ - مجلة كلية الآداب - المؤرخ المصرى العدد الثانى - يوليو ١٩٨٨م.

- السياغى (حسين أحمد) :

- معالم الآثار اليمنية - نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - صنعاء - ١٩٨٠م.

- د. السيد عبد العزيز سالم :

- المآذن المصرية - نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى - الأسكندرية.

- تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية.

- **د. شوقى شعت :**

- صيانة المدن العربية - (الآثار الإسلامية فى الوطن العربى) صنعاء - ١٩٨٠م.

- **د. صلاح الدين البحيرى :**

- عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها فى الفنون - حوليات كلية الآداب - الحولية الثالثة - ١٩٨٢م.

- **صلاح عاشور :**

- العمارة الإسلامية فى العصر الفاطمى - مجلة المجلة - عدد ٥٢ - السنة الخامسة - شوال ١٣٨٠ هـ / أبريل ١٩٦١م.

- **عارف تامر :**

- أروى بنت اليمن - سلسلة أقرأ ٣٣٠ - ١٩٧٠م - نشر دار المعارف بمصر.

- **عبد الله بن أحمد الثور :**

- اليمن دراسة موجزة للمحافظات، اللواء، القضاء، الناحية، العزلة، القرية. مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

- **عبد الله بن عبد الوهاب الشماعى :**

- اليمن الإنسان والحضارة - نشر دار الهنا للطباعة.

- **د. عبد الله كامل موسى :**

الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع ١٩٩٥م.

- **عبد المنعم ماجد :**

- السجلات المستنصرية - تحقيق د. عبد المنعم ماجد.

- **عصام الدين عبد الرءوف :**

- اليمن فى ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول - نشر دار

الفكر العربى - الطبعة الأولى - ١٩٨٢م.

- عمر رضا كحالة :

- جغرافية شبه جزيرة العرب - المطبعة الهاشمية - دمشق.

- د. فريد شافعى :

- الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى - فصلة من مجلة المجلة، كلية الآداب مجلد ١٤ - جـ٢ - ديسمبر ١٩٥٢م.

- العمارة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها - الرياض - ١٩٨٢م.

- العمارة العربية فى مصر الإسلامية - المجلد الأول - عصر الولاة - نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٤.

- د. كمال الدين سامح :

- تطور القبة فى العمارة الإسلامية - مجلة كلية الآداب - مجلد ١٢ - جـ١ مايو ١٩٥٠.

- محاضر لجنة حفظ الآثار.

- د. محمد أمين صالح :

- العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية - المجلة التاريخية المصرية - مجلد ٢٥، ٢٦ - ١٩٧٨ - ١٩٧٩م - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

- د. محمد بركات البيلى :

- استيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى «التاسع الهجرى» ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب فى القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م، القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٧م.

- محمد رضا الدجيلى :

- الحياة الفكرية فى اليمن - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

- **محمد أبو زهرة :**

- تاريخ المذاهب الإسلامية - نشر دار الفكر العربى.

- **د. محمد سيف النصر أبو الفتوح :**

- دراسة لمجموعة من شواهد القبور بجبانة مدينة صعدة فى اليمن - صنعاء ١٩٨٣م.

- **د. محمد عبد العال أحمد :**

- الأيوبيون فى اليمن - نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب - الأسكندرية - ١٩٨٠م.

- **القاضى محمد بن على الأكوع :**

- اليمن الخضراء مهد الحضارة - الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

- **د. محمد أبو الفرج العشى :**

- المسكوكات فى الحضارة العربية من الأسرة الصليحية (الآثار الإسلامية فى البلاد العربية) - صنعاء - ١٩٨٠م.

- **د. محمد محمد زيتون :**

- القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- **محمد يحيى الحداد :**

- تاريخ اليمن السياسى - جزآن - نشر دار وهدان - الطبعة الأولى - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- **د. محمد كامل حسين :**

- طائفة الإسماعيلية - تاريخها، نظمها، عقائدها - نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٥٩م.

- طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، القاهرة، ١٩٦٢م.

- **محمود كامل :**

- اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية - بيروت - ١٩٦٨م.

- **مصطفى عبد الله شيحة :**

- مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية العربية اليمنية - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

- شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن - نشر مكتبة مدبولى - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

- **الويسى (حسين بن على) :**

- اليمن الكبرى - نشر مطبعة النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٢م.

رابعاً : المراجع الأجنبية المعربة

- **بربارة فنستر :**

تقارير أثرية من اليمن - ترجمة عبد الفتاح البركاوى - نشر المعهد الألمانى للآثار بصنعاء - جـ١ - ١٩٨٢م.

- **بول كازانوفا :**

- تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ترجمة د. أحمد دراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٩٣هـ/ ١٩٧٤م.

- **ديماند :**

الفنون الإسلامية - ترجمة أحمد عيسى - القاهرة - ١٩٥٨م.

- **كريسويل :**

الآثار الإسلامية الأولى - ترجمة عبد الهادى عبلة.

- كريستل كسلر :

زخارف قباب القاهرة - ترجمة شهيرة محرز - عدد خاص من مجلة فكر وفن - القاهرة فى عيدها الألفى - دار قتيبة - دمشق.

- هانز هوليفرتز :

اليمن من الباب الخلفى - تعريب وتعليق خيرى حماد - نشر مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الثانية - ١٩٦٦م.

خامساً : المراجع الأجنبية

Creswell. K. A. C : The Muslim Architecture of Egypt, vol.1, Ikhshids and Fatimids, Oxford, 1952.

Devillard. M. : La Necropoli Musliman di Aswan, la Cairo, 1930.

Dozy. R. : Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2 voluemes, Deuxieme Edition, Paris, 1972.

Fikry. A. : La grand Mosque'e de Kairouan, paris, 1934.

Finister. B. : Die Freitages Moschee von Sibam Kaukaban, Baghdader Mitteilungen, Band, 1979.

Flury. S. : Die Ornamente der Hakim und Ashar Moschee, Heildberg, 1912.

Grohman. A. R. S : The origin and early development of Floriated kufic, Orienta, vol, 11, Michigan, 1957.

El Hawary. H. : Trois Minarets Fatimides a la frontiere Nubienne, Bulletin de l'institut d'Egypte, Tome XVII, le Caire, institut Francais, 1935.

Hoag. J. D. : Westeren Islamic Architecture, London.

Maslow. B. : Les Mosque'es des Fas et de Nord du Moraco, Paris.

Migeon. G. : Manuel D'Art Musluman, paris, 1927.

Pauty. E. : L'Evolution du dispositif en (T) dans les Mosquèes à portiques. Bulletin des Études Orientales, institut Francais de Damas, Tome II, 1932., Dispositif de plafond Fatimite, Bulletin de l'institut Francais le Caire, Tome XV, 1932 - 1933.

Rousseau. G. : L'Art Decortif Musluman, paris, 1934.

Saladin : Manuel d'Art Musulman, l'Architecture, paris, 1907.

Shaf'ii. F. : Simple Calyx Ornament in Islamic Art, Cairo University press, 1956.

The Mashbad Al Guyushi Archaeological, Notes and studies in Islamic Art and Architecture in Honour of professor K. A. C. Creswell, the American University in Cairo, 1965, An Early Fatimid Mihrab in the Mosque Ibn Tulun Bulletin of the Faculty of Art, Cairo University, part I, 1953.

Suzanne et Max Hirschi : Une Mosque'e de Temps des Fatimites au Caire, Notice surfe Gami, El Gayushi.

Notes d'Archeologie Arabe, gournal Asiatique Serie, Toms XVII, XIX, 1819.

Wiet. G. : The Mosques of Cairo, translated from French by John. S., Hardman, Librairte Hachette, 1966.

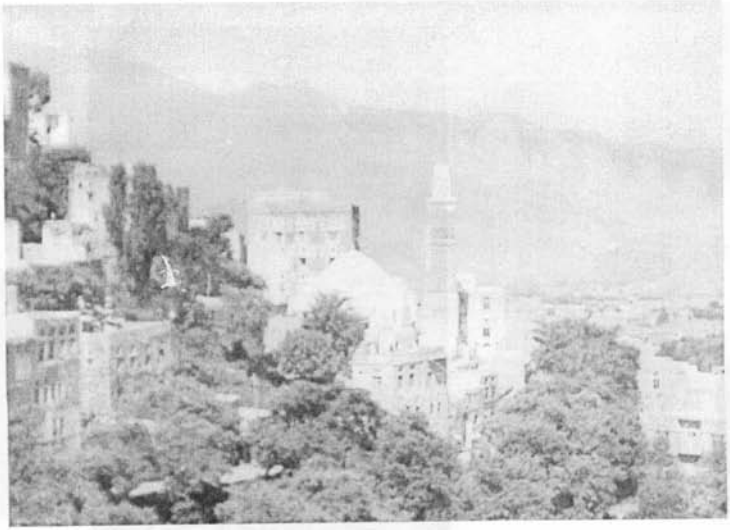

لوحة (١) منظر عام لمدينة ذى جبلة

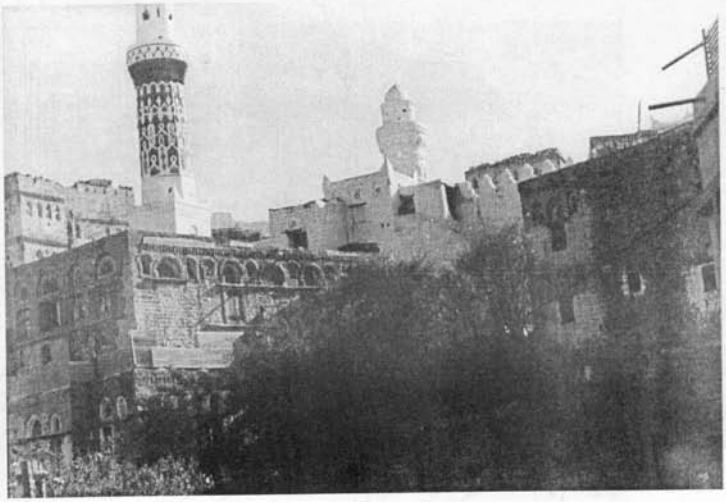

لوحة (٢) جامع السيدة بنت أحمد بذى جبلة

لوحة (٣) الباب الخشبي للمدخل الجنوبي في جامع ذى جبلة

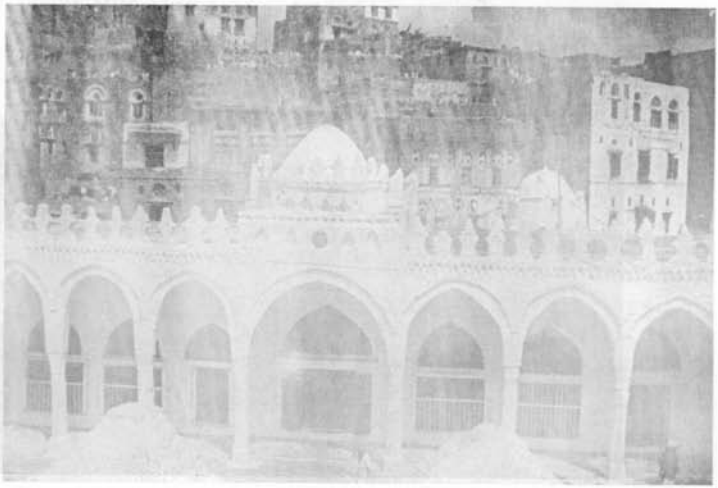

لوحة (٤) واجهة رواق القبلة على الصحن في جامع ذى جبلة

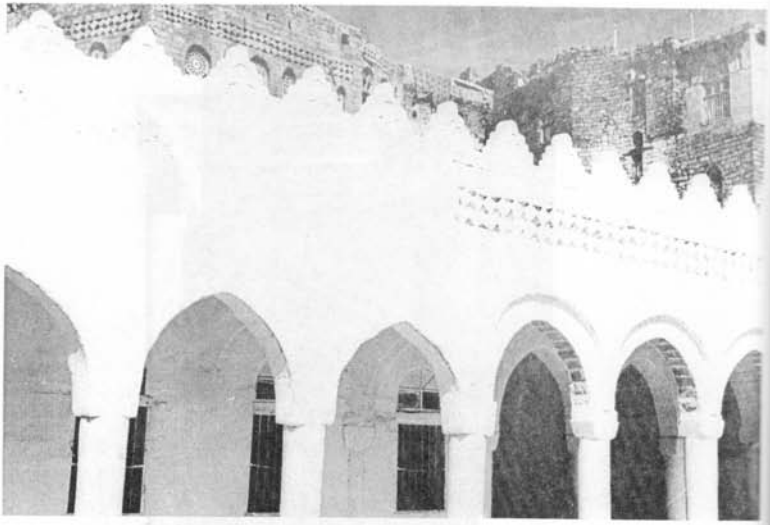

لوحة (٥) الرواق الغربي وتظهر المعلامة في جامع ذى جبلة

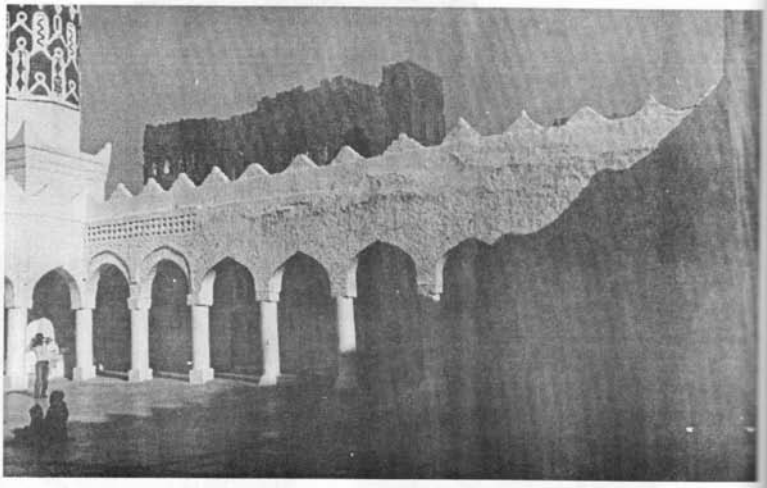

لوحة (٦) الرواق الجنوبي بجامع ذى جبلة

لوحة (٧) رواق القبلة من الداخل في جامع ذى جبلة

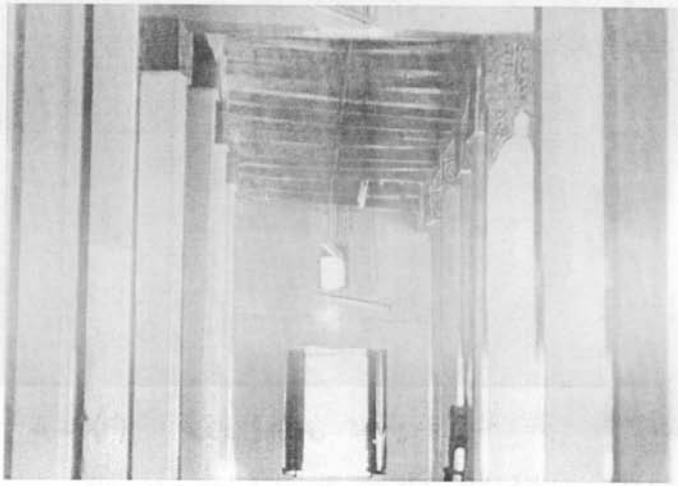

لوحة (٨) رواق القبلة من الداخل في جامع ذى جبلة

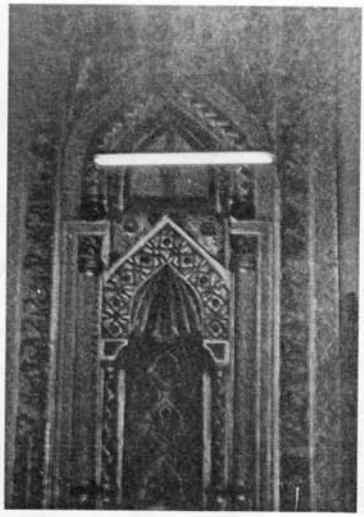

لوحة (٩) محراب جامع ذى جبلة

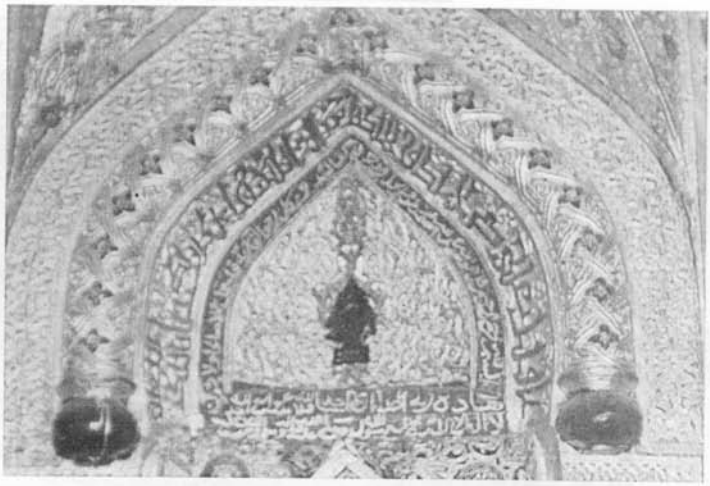

لوحة (١٠) تفصيل من محراب جامع ذى جبلة

لوحة (١١) منبر جامع ذى جبلة

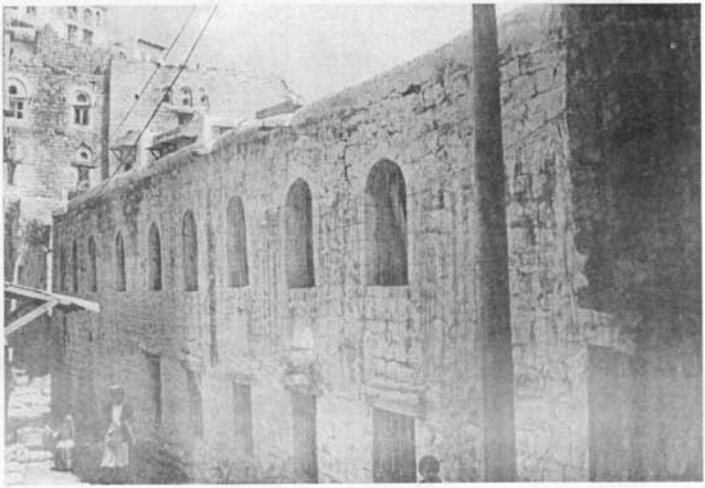

لوحة (١٢) المعلامة من الخارج

لوحة (١٣) الممر المؤدى إلى المطاهير والحمامات

لوحة (١٤) المطاهير والحمامات في جامع ذى جبلة

لوحة (١٥) المئذنة الشرقية في جامع ذى جبلة

لوحة (١٦) المئذنة الغربية في جامع ذى جبلة

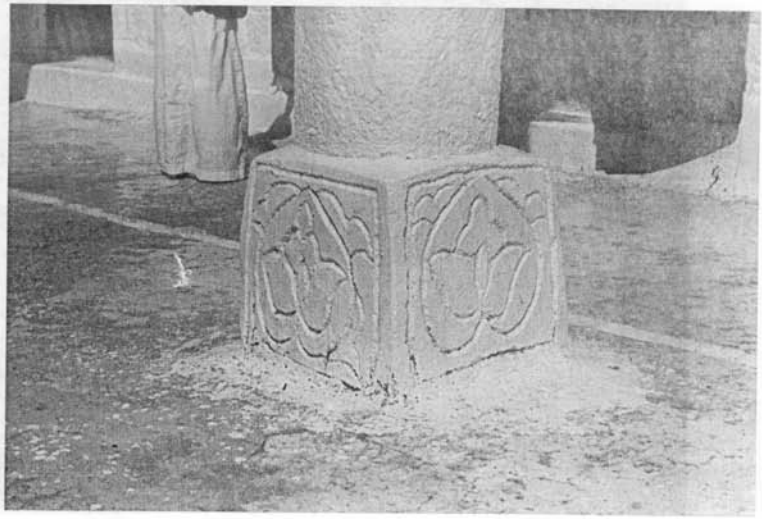

لوحة (١٧) قاعدة عمود في جامع ذى جبلة

لوحة (١٨) تاج عمود في جامع ذى جبلة

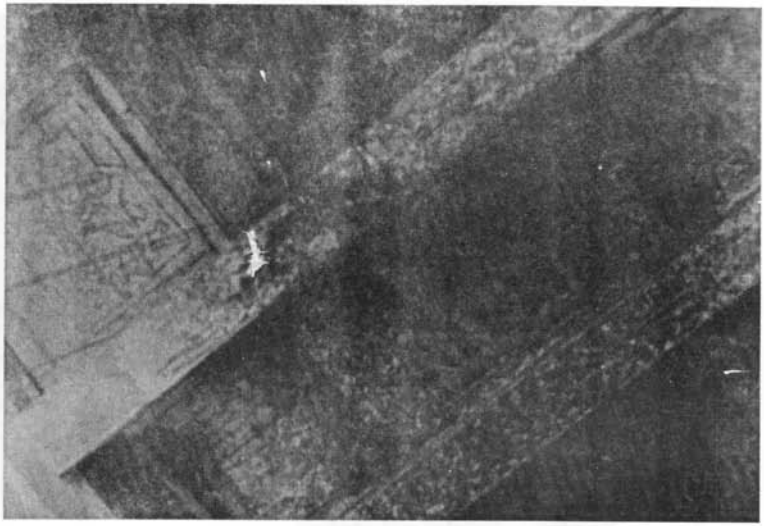

لوحة (١٩) السقف الخشبي في جامع ذى جبلة

لوحة (٢٠) تفصيل من السقف الخشبي في جامع ذى جبلة

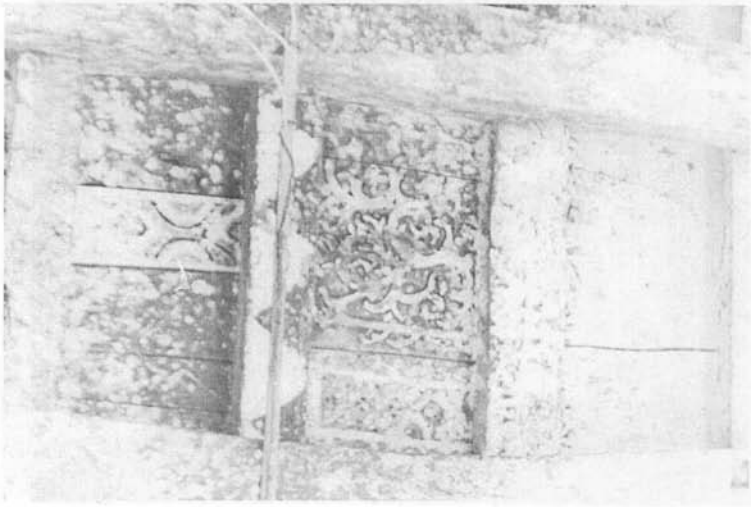

لوحة (٢١) تفصيل من السقف الخشبي في جامع ذى جبلة

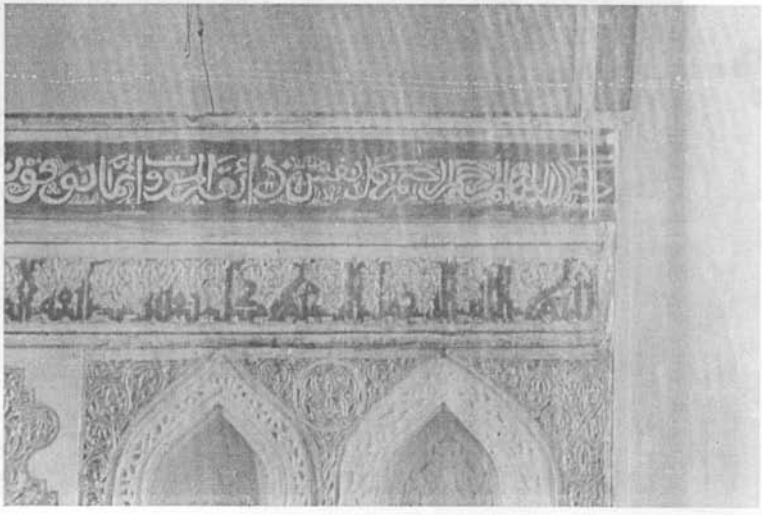

لوحة (٢٢) مشهد السيدة بنت احمد في جامع ذى جبلة

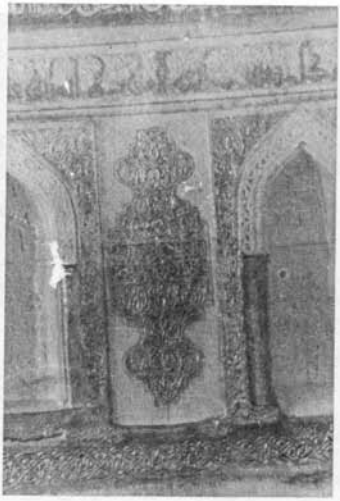

لوحة (٢٣) تفصيل من مشهد السيدة بنت احمد في جامع ذى جبلة

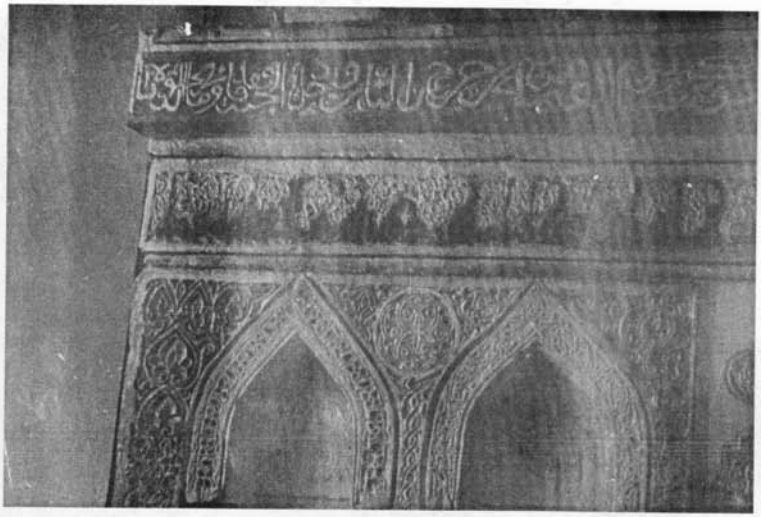

لوحة (٢٤) تفصيل من مشهد السيدة بنت احمد في جامع ذى جبلة

لوحة (٢٥) شرافات مدرجة بجامع ذى جبلة

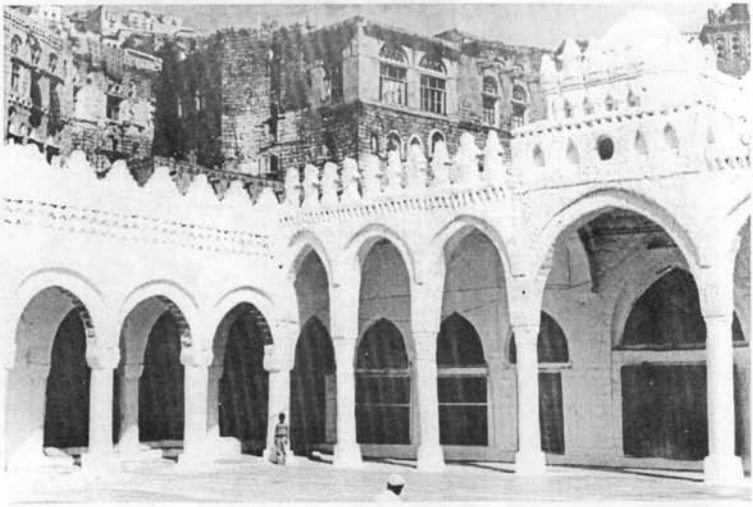

لوحة (٢٦) قبة البهو بجامع ذى جبلة

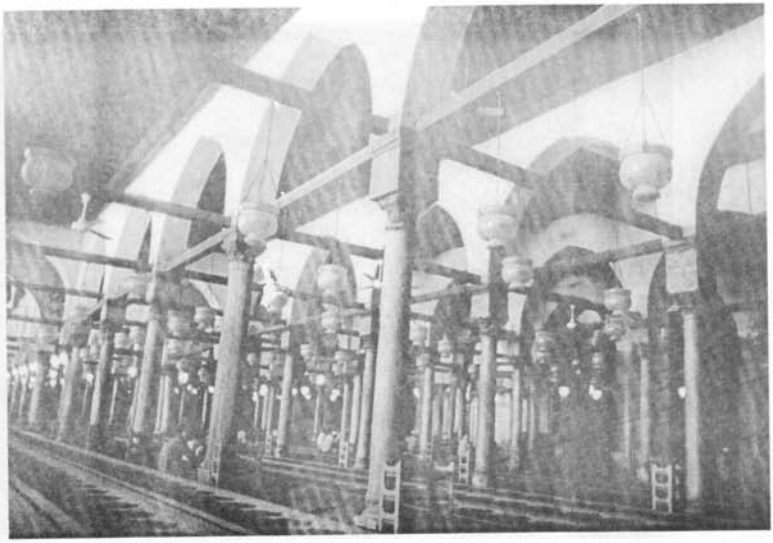

لوحة (٢٧) رواق القبلة في الجامع الأزهر

لوحة (٢٨) رواق القبلة في جامع الحاكم بأمر الله

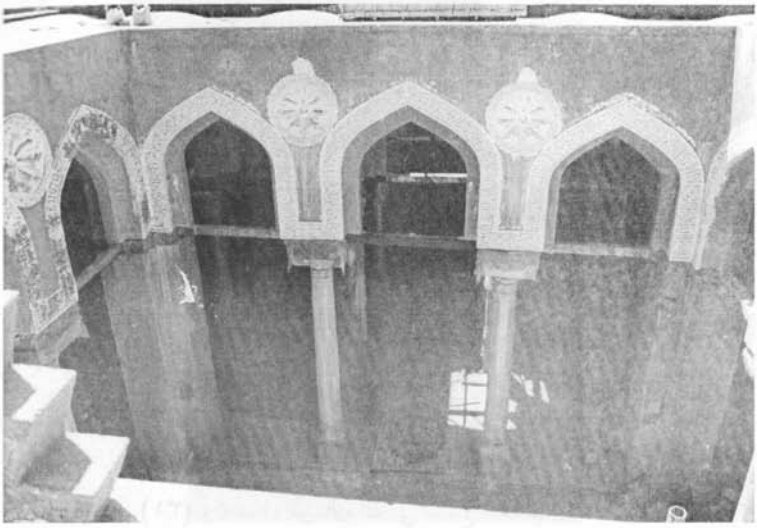

لوحة (٢٩) رواق القبلة في الجامع الأقمر

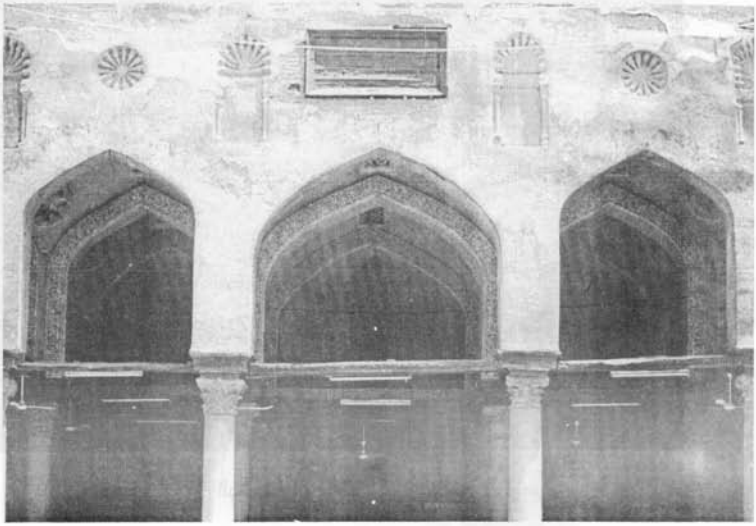

لوحة (٣٠) رواق القبلة في مسجد الصالح طلائع

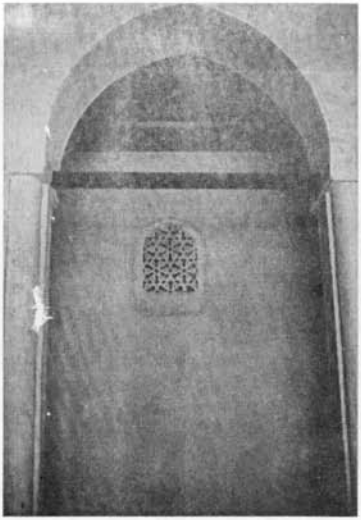

لوحة (٣١) تفصيل من النوافذ في جامع الحاكم

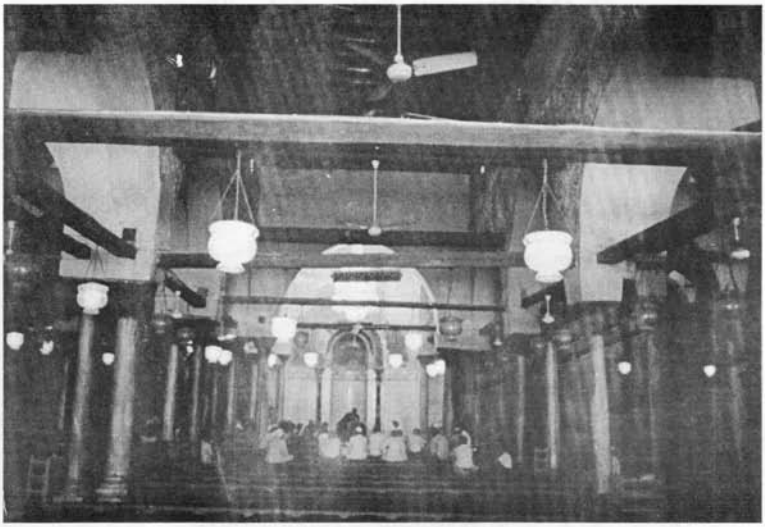

لوحة (٣٢) البلاطة الوسطي في الجامع الأزهر

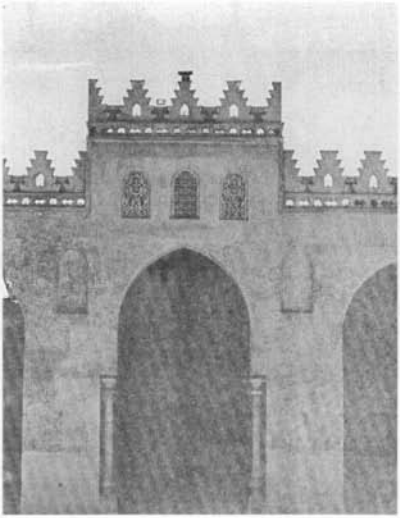

لوحة (٣٣) البلاطة الوسطي في جامع الحاكم

لوحة (٣٤) تفصيل من البلاطة الوسطي في جامع الحاكم

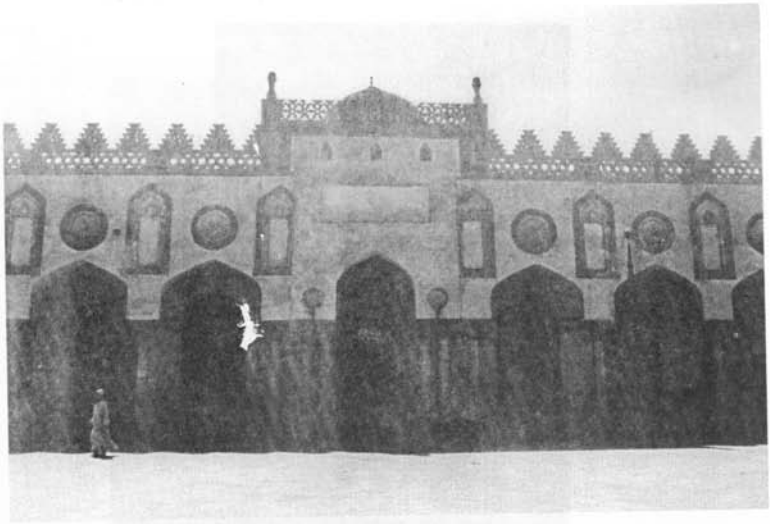

لوحة (٣٥) قبة البهو في الجامع الأزهر

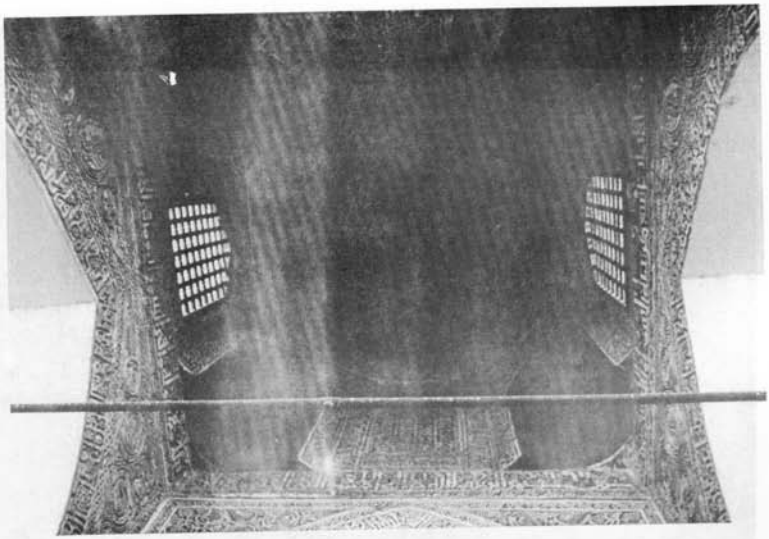

لوحة (٣٦) تفصيل من قبة البهو في الجامع الأزهر

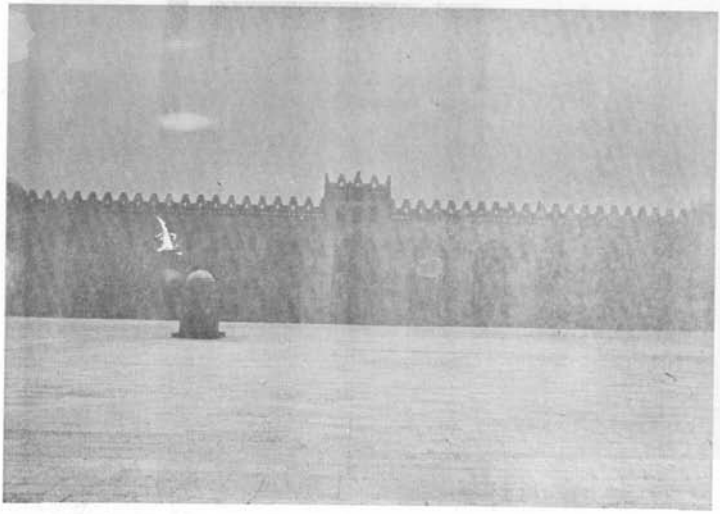

لوحة (٣٧) واجهة رواق القبلة على الصحن في جامع الحاكم

لوحة (٣٨) مسار العقود في الرواقين الجانبيين في الجامع الأزهر

لوحة (٣٩) مسار العقود في الرواقين الجانبيين في جامع الحاكم

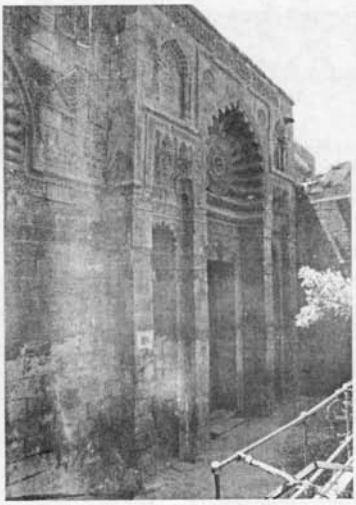

لوحة (٤٠) واجهة الجامع الأقمر

لوحة (٤١) تفصيل من واجهة الجامع الأقمر

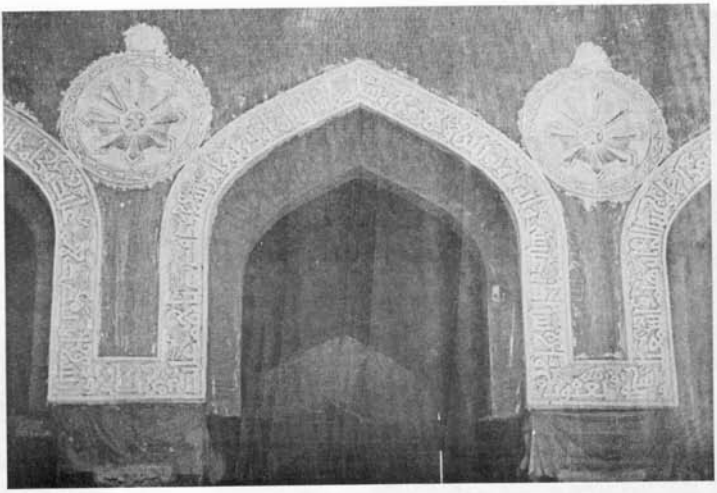

لوحة (٤٢) عقود من الجامع الأقمر

لوحة (٤٣) القباب الضحلة في الجامع الأقمر

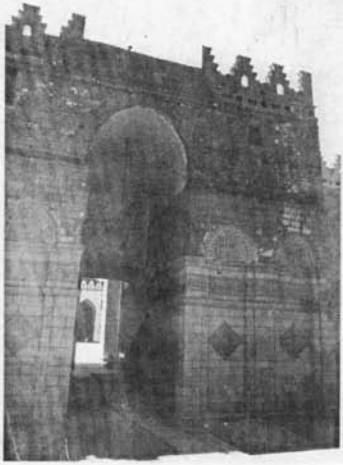

لوحة (٤٤) المدخل الرئيسي في جامع الحاكم

لوحة (٤٥) المدخل الغربي في مسجد الصالح طلائع

لوحة (٤٦) محراب الجامع الأزهر

لوحة (٤٧) المحراب والقبة التي تعلوه في جامع الحاكم

لوحة (٤٨) محراب مسجد ومشهد السيدة رقية

لوحة (٤٩) تفصيل من محراب مسجد ومشهد السيدة رقية

لوحة (٥٠) المئذنة الغربية بجامع الحاكم

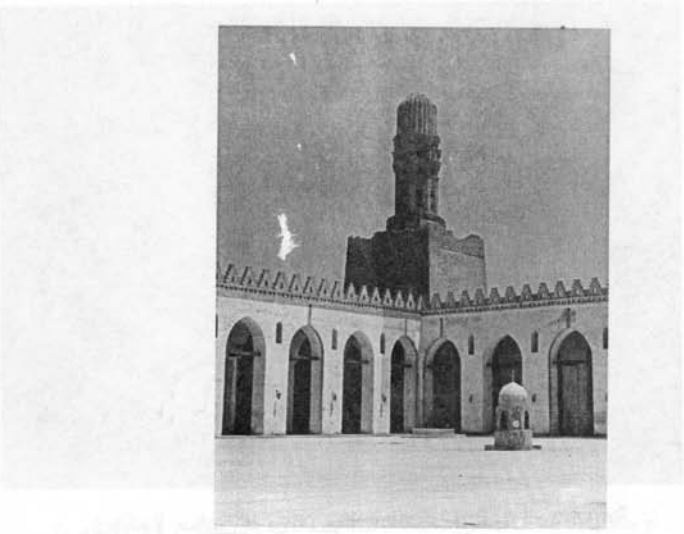

لوحة (٥١) المئذنة الشمالية بجامع الحاكم

لوحة (٥٢) تفصيل من سقف الظلة الشمالية الغربية بمسجد الصالح طلائع

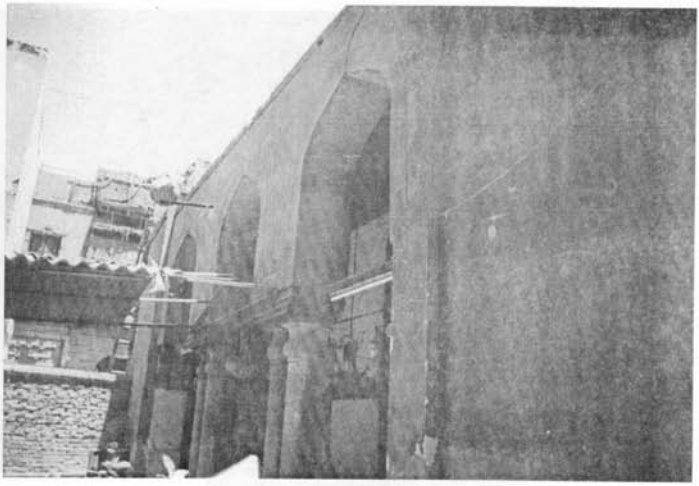

لوحة (٥٣) واجهة رواق القبلة في مسجد ومشهد السيدة رقية

لوحة (٥٤) أعمدة رواق القبلة في مسجد الصالح طلائع .

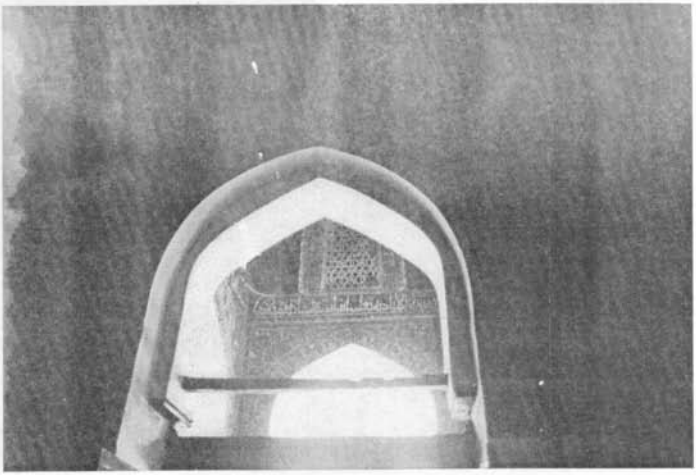

لوحة (٥٥) عقود قبة البهو في الجامع الأزهر

لوحة (٥٦) مشهد القباب السبع

لوحة (٥٧) مشهد الجعفري

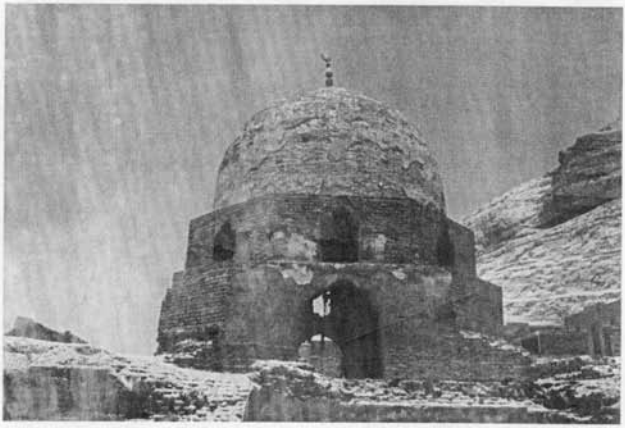

لوحة (٥٨) مشهد أخوة سيدنا يوسف

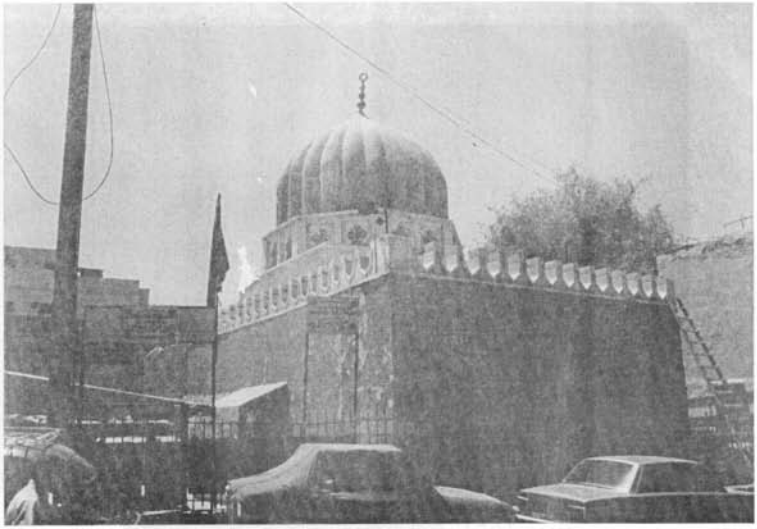

لوحة (٥٩) مشهد السيدة رقية

لوحة (٦٠) مشهد يحيى الشبيه

لوحة (٦١) تطور منطقة الانتقال في مشهد الجعفري

لوحة (٦٢) تطور منطقة الانتقال والفتحات في مشهد الجعفري

لوحة (٦٣) تطور منطقة الانتقال في السيدة عاتكة

لوحة (٦٤) تطور منطقة الانتقال في السيدة رقية

لوحة (٦٥) تطور منطقة الانتقال في مشهد يحيى الشبيه

لوحة (٦٦) مسجد ومشهد اللؤلؤة

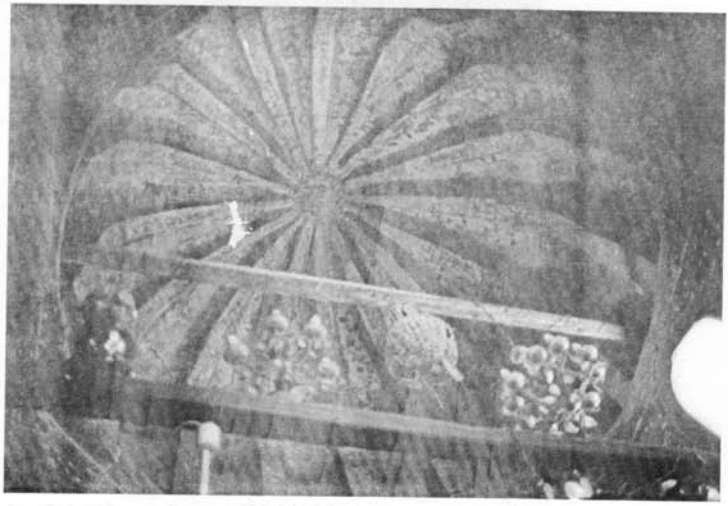

لوحة (٦٧) قبة مشهد السيدة عاتكة من الداخل

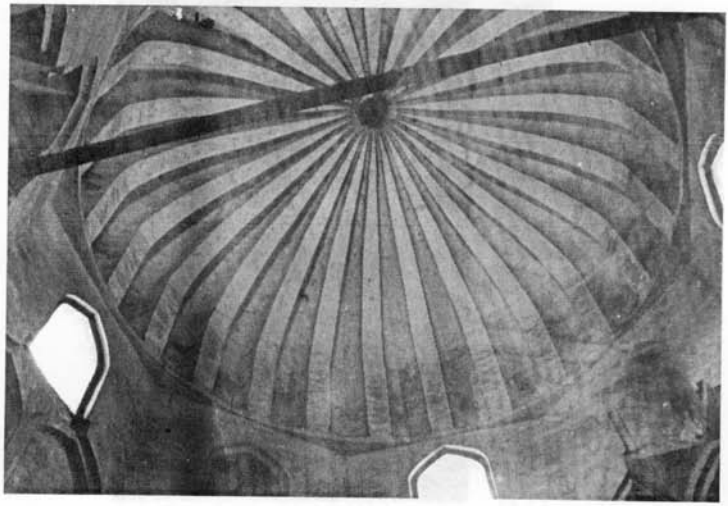

لوحة (٦٨) قبة مشهد يحيى الشبيه من الداخل

لوحة (٦٩) تفصيل من زخرفة المحراب بجامع ذى جبلة

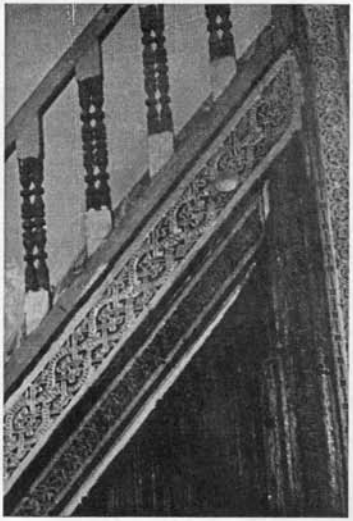

لوحة (٧٠) تفصيل من زخرفة المنبر بجامع ذى جبلة

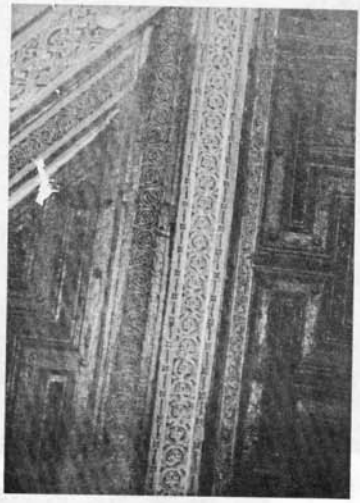

لوحة (٧١) تفصيل من زخرفة المنبر بجامع ذى جبلة

لوحة (٧٢) زخارف البلاطة الوسطى في الجامع الأزهر

لوحة (٧٣) زخارف من المئذنة الغربية بجامع الحاكم

لوحة (٧٤) تفصيل من زخارف واجهة الجامع الأقمر

لوحة (٧٥) تفصيل من زخارف مسجد الصالح طلائع

لوحة (٧٦) تفصيل من زخارف قبة البهو في الجامع الأزهر

لوحة (٧٧) تفصيل من زخارف قبة البهو في الجامع الأزهر

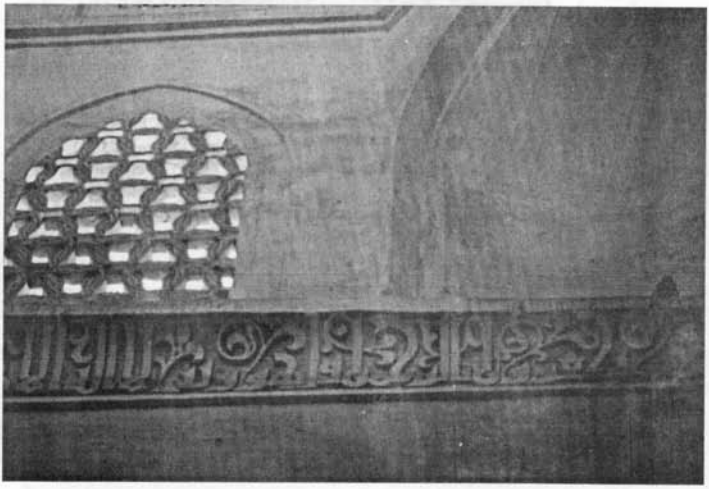

لوحة (٧٨) تفصيل من زخارف القبة الركنية بجامع الحاكم

لوحة (٧٩) نص كتابي كوفي من جامع الحاكم

لوحة (٨٠) كتابات كوفية من جامع ذى جبلة

لوحة (٨١) تفصيل من واجهة مسجد الصالح طلائع

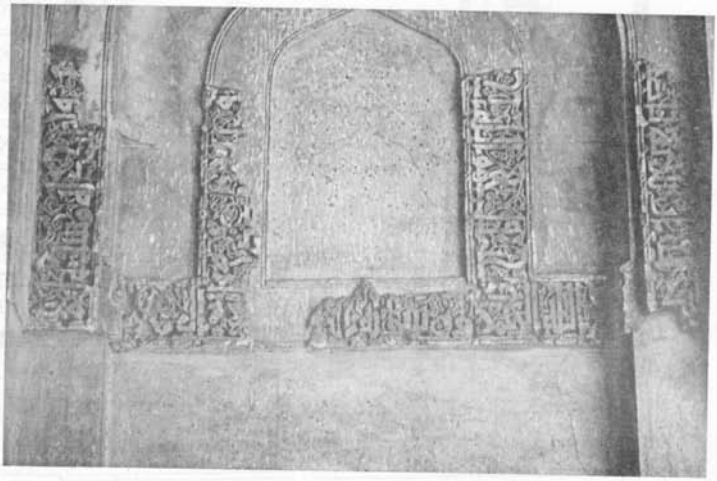

لوحة (٨٢) تفصيل من كتابات مسجد الصالح طلائع

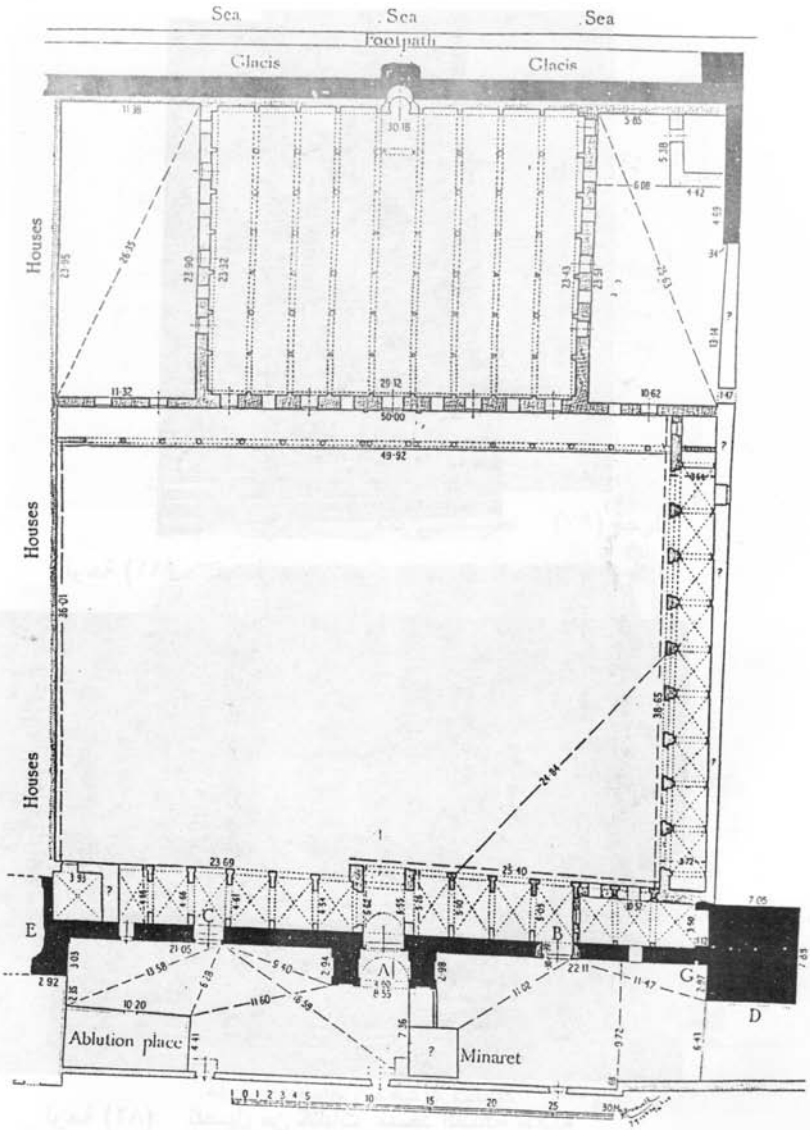

شكل (١) المسقط الأفقى لجامع المهدية عن Creswell

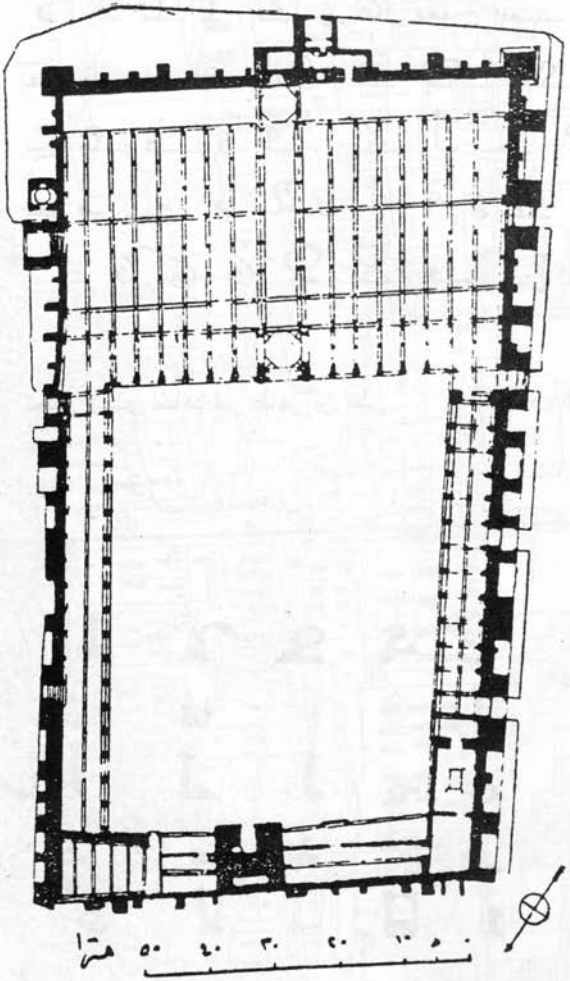

شكل (٢) المسقط الأفقى لجامع القيروان عن د. أحمد فكري

شكل (٣) تحليل أبجدى لشاهد قبر طاهر بن على عمل الباحث

شكل (٤) تحليل أبجدى للنص الفاطمي عمل الباحث

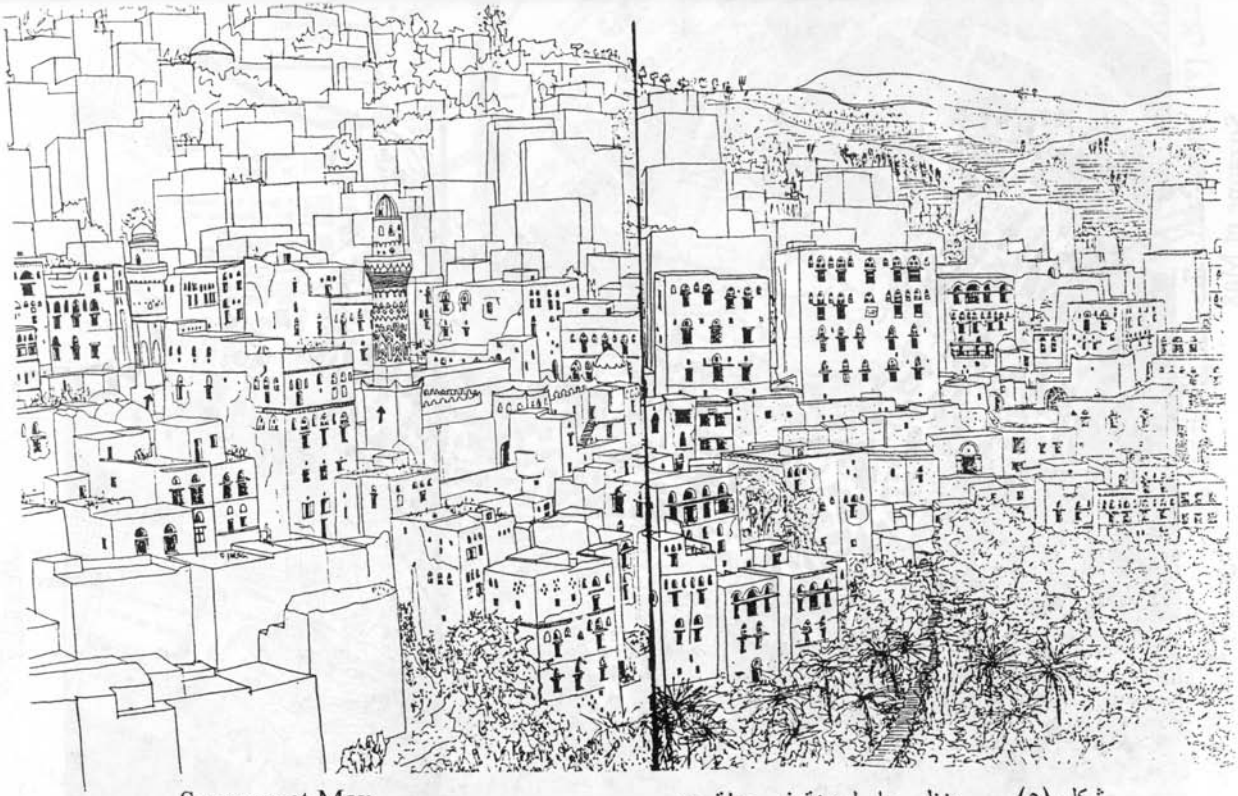

شكل (٥) منظر عام لمدينة ذى جبلة عن Suzanne et Max

شكل (٦) مدينة ذى جبلة واب عن

Suzanne et Max

شكل (٧) جامع السيدة بنت احمد يتوسط جبلة عن Suzanne et Max

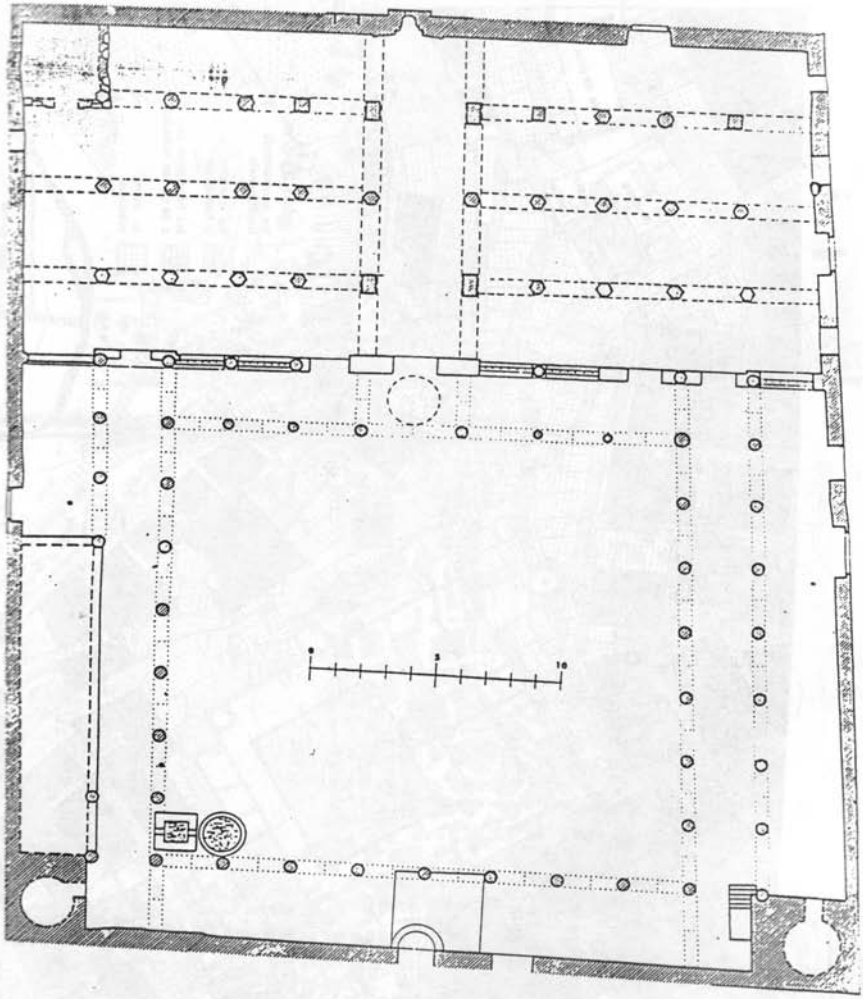

شكل (٨) المسقط الأفقي لجامع السيدة بنت أحمد عن Barbara

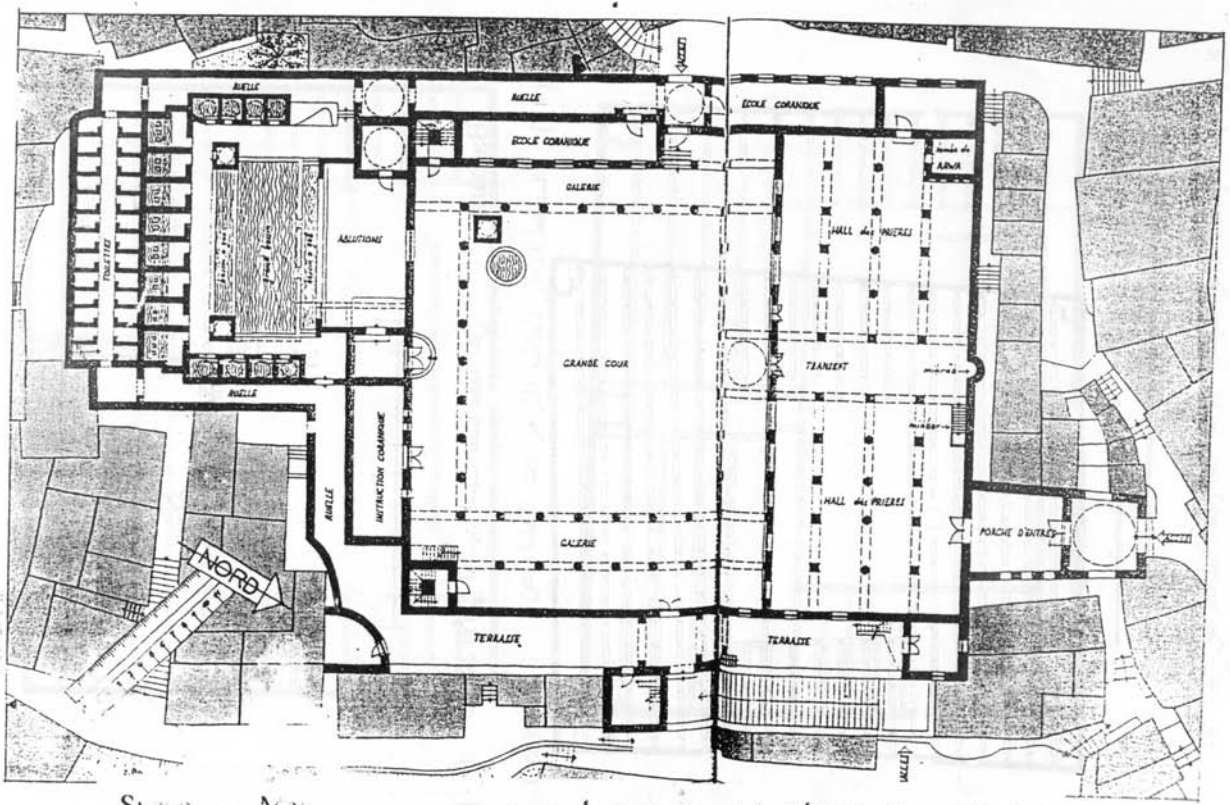

شكل (٩) المسقط الأفقي لجامع السيدة بنت أحمد عن

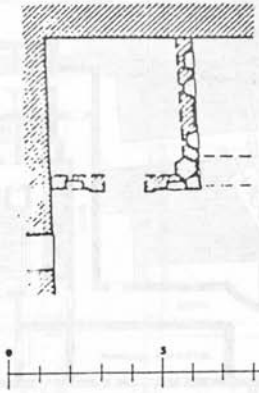

شكل (١٠) المسقط الأفقي لمشهد السيدة بنت أحمد عن Barbara

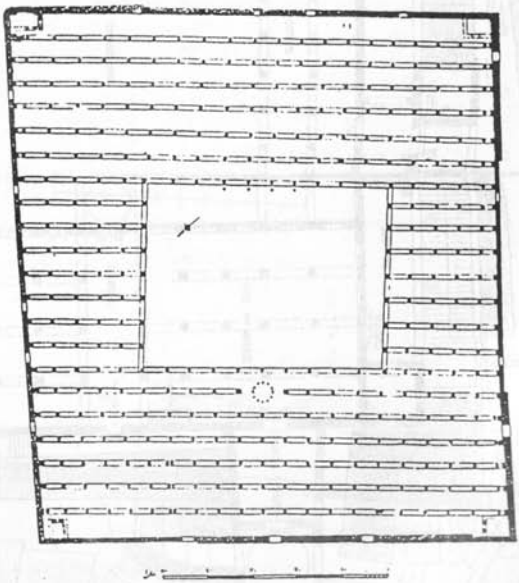

شكل (١١) المسقط الأفقي لجامع عمرو بن العاص عن د . أحمد فكرى

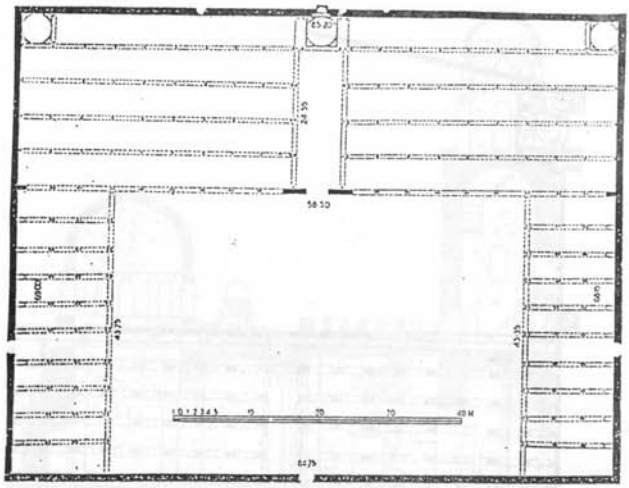

شكل (١٢) المسقط الأفقي للجامع الأزهر عند الأنشاء عن Creswell

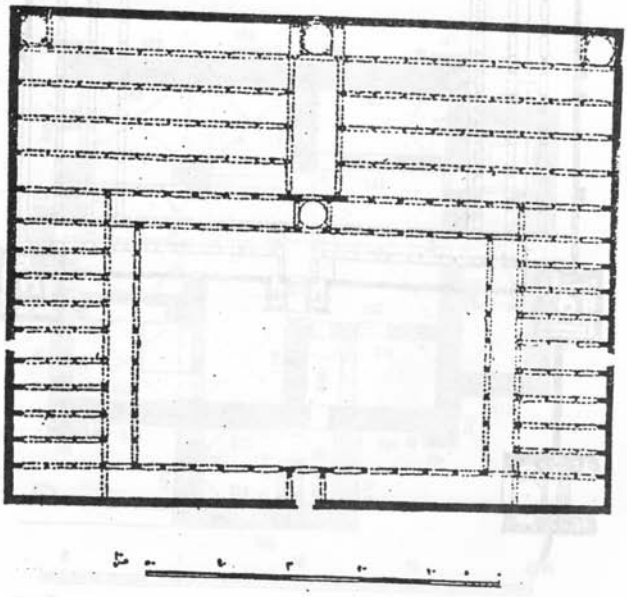

شكل (١٣) المسقط الأفقي للجامع الأزهر بعد زيادة الحافظ عن د. أحمد فكرى

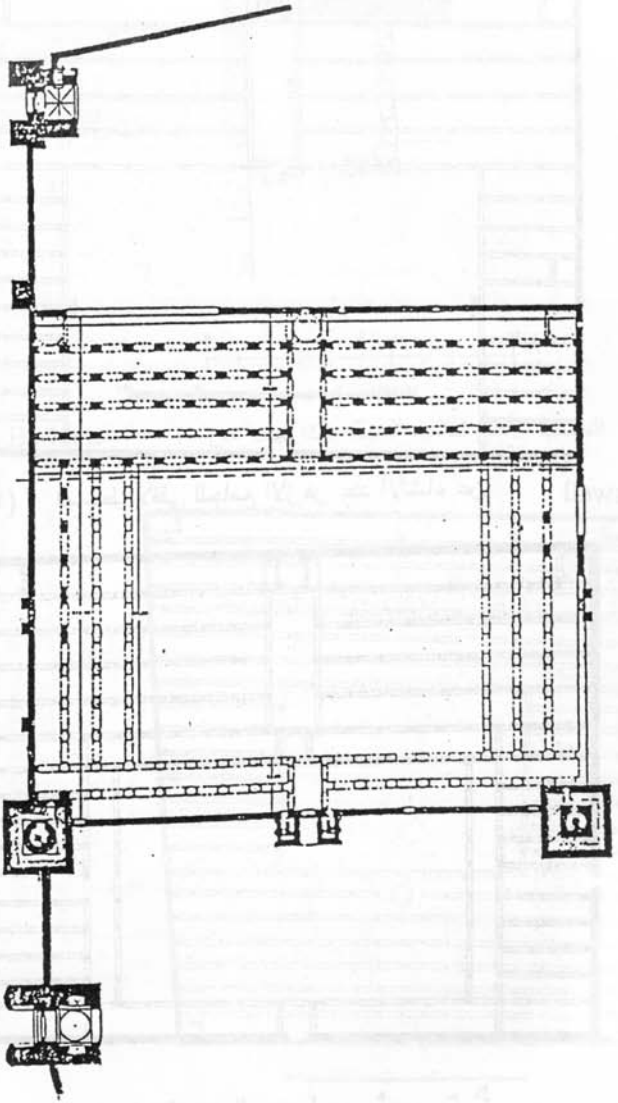

شكل (١٤) المسقط الأفقي لجامع الحاكم بأمر الله عن د. صالح لمعي

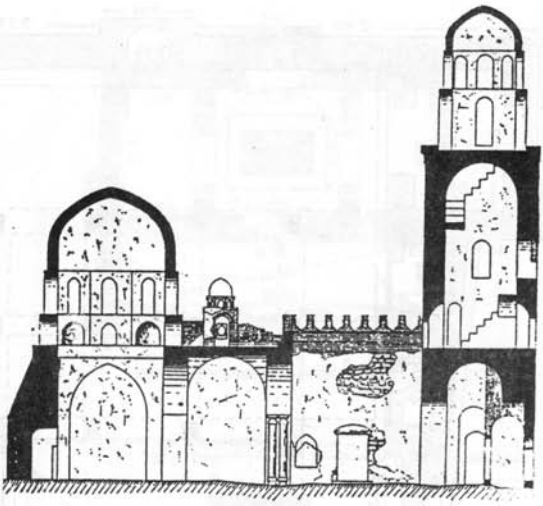

Section A-B

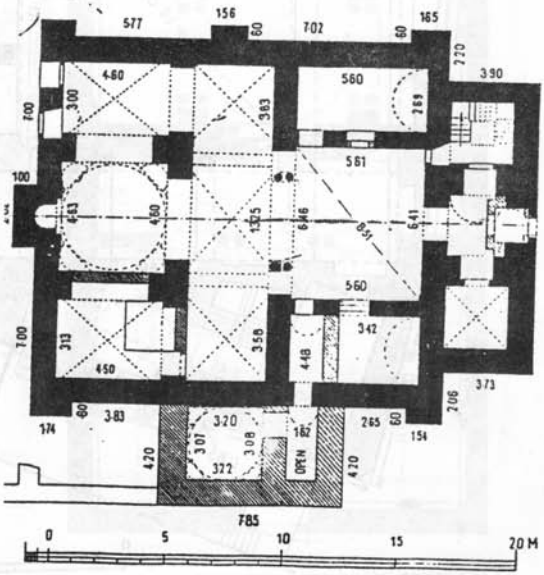

شكل (١٥) مسقط وقطاع لمسجد ومشهد الجيوشي عن Creswell

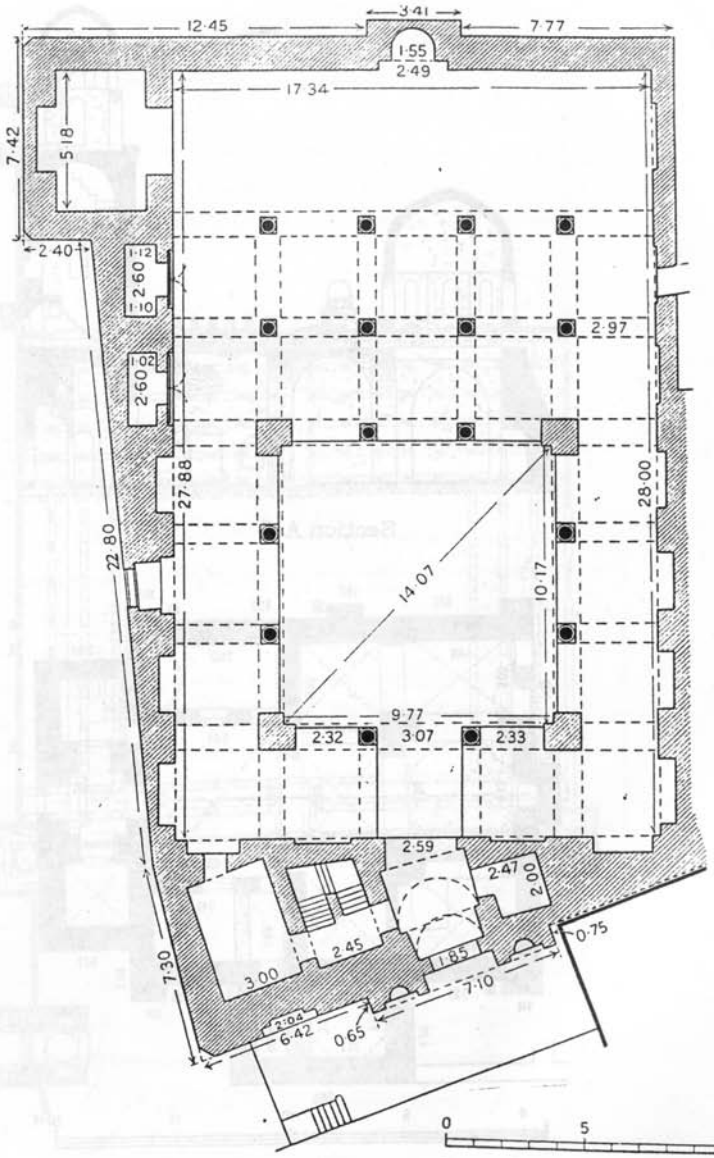

شكل (١٦) المسقط الأفقى للجامع الأقمر عن Creswell

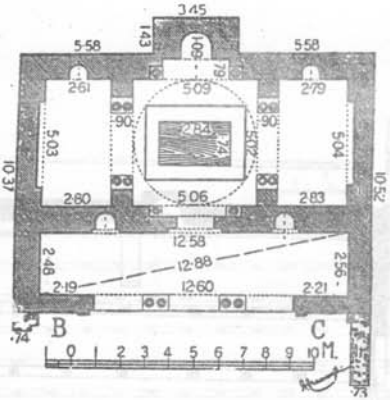

شكل (١٧) المسقط الأفقى لمسجد ومشهد السيدة رقية عن Creswell

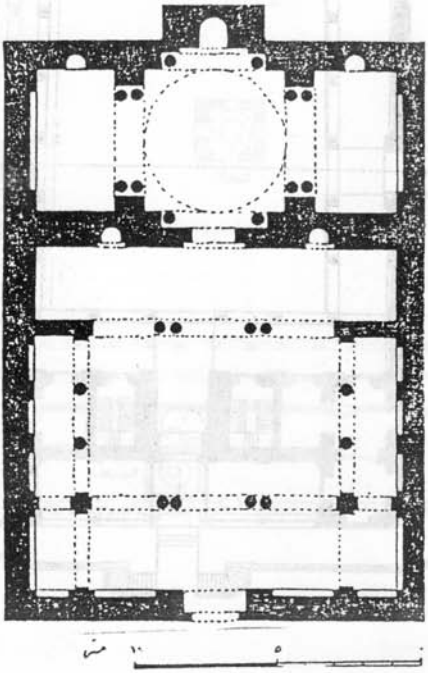

شكل (١٨) المسقط الأفقى لمسجد ومشهد السيدة رقية عن مصلحة الآثار

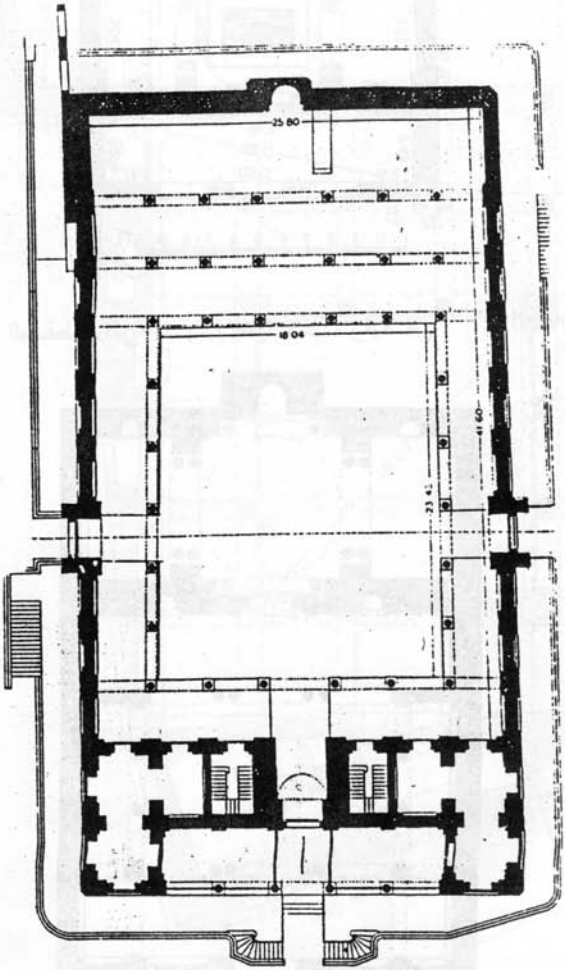

شكل (١٩) المسقط الأفقى لمسجد الصالح طلائع عن د. صالح لمعى

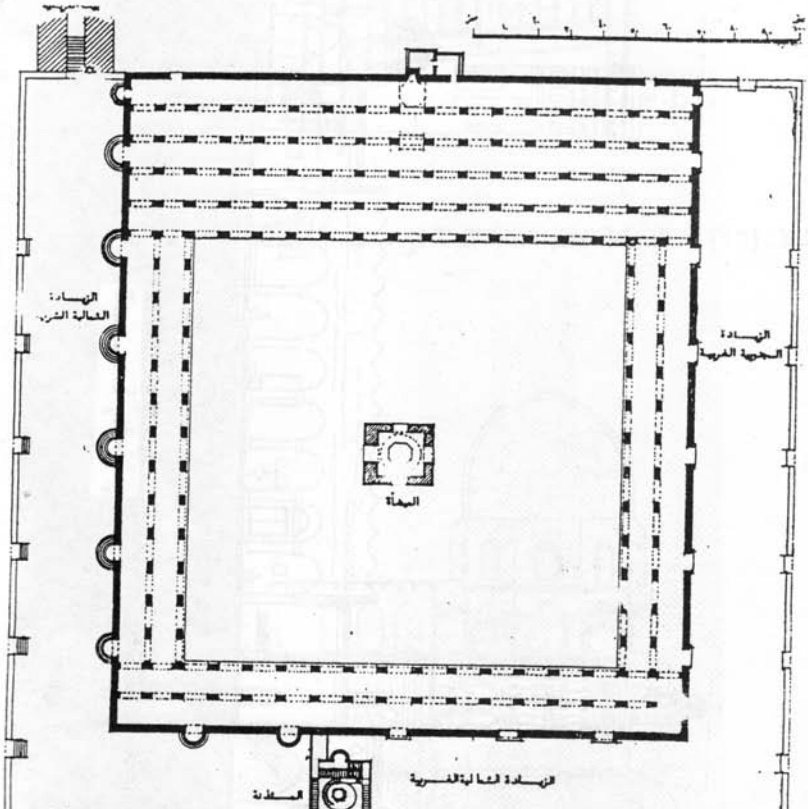

شكل (٢٠) المسقط الأفقى لمسجد أحمد بن طولون عن د . فريد شافعي

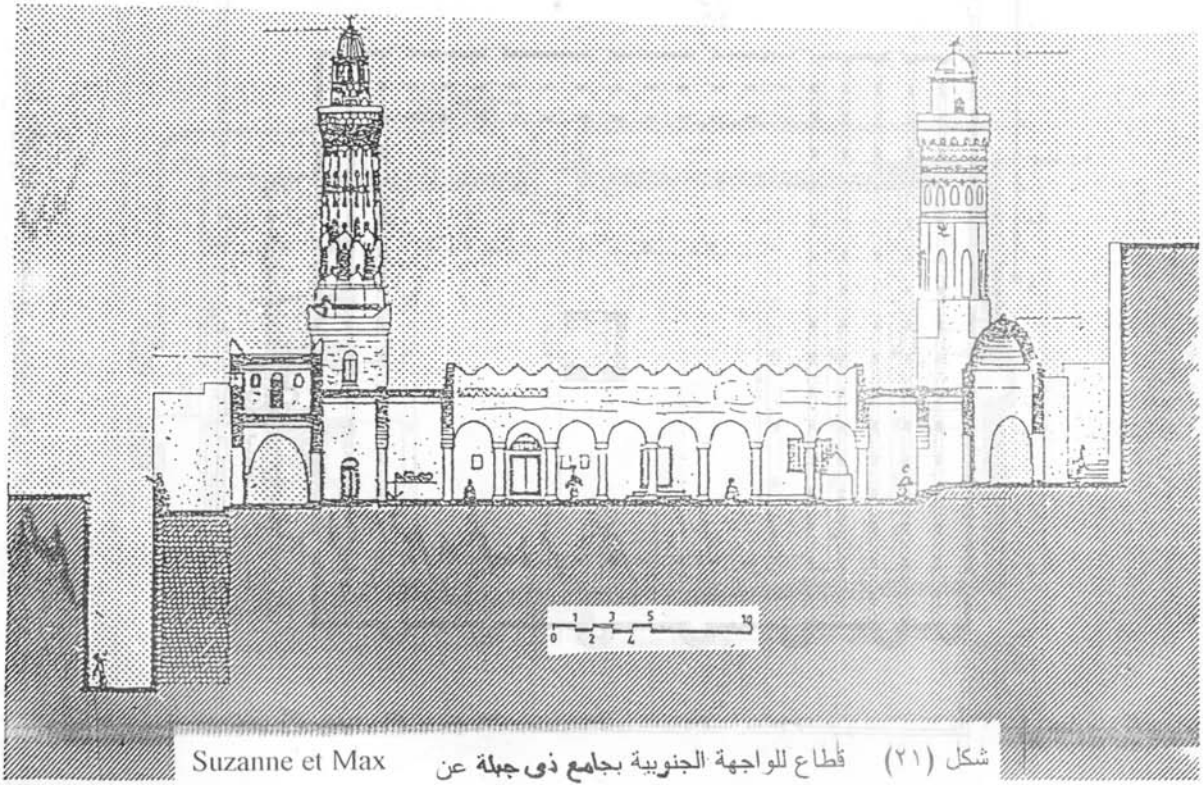

شكل (٢١) قطاع للواجهة الجنوبية بجامع ذى جبلة عن Suzanne et Max

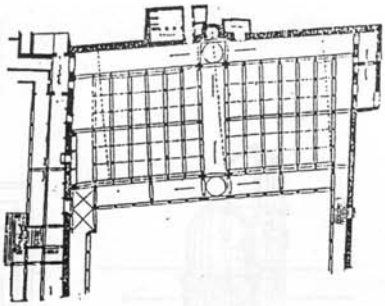

شكل (٢٢) المسقط الأفقي لظلة القبلة في مسجد الزيتونة د. أحمد فكري

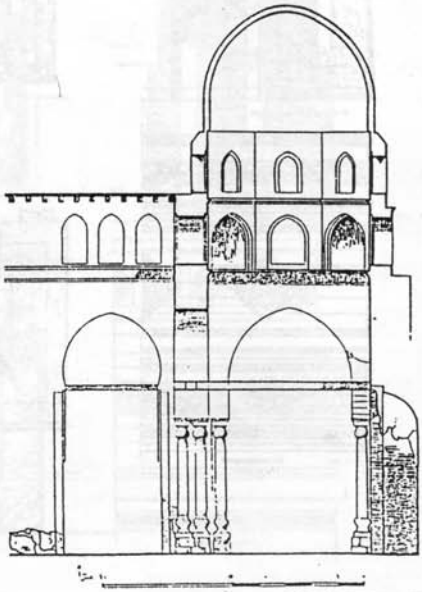

شكل (٢٣) قطاع رأسي لمربعة المحراب وقبته عن مصلحة الآثار

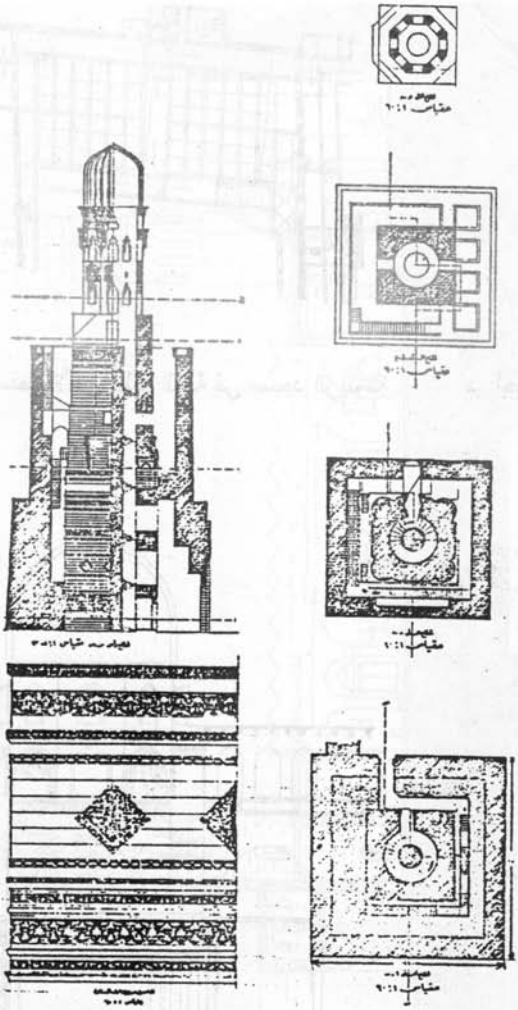

شكل (٣٤) قطاع رأسي لمئذنة جامع الحاكم الغربية عن مصلحة الآثار

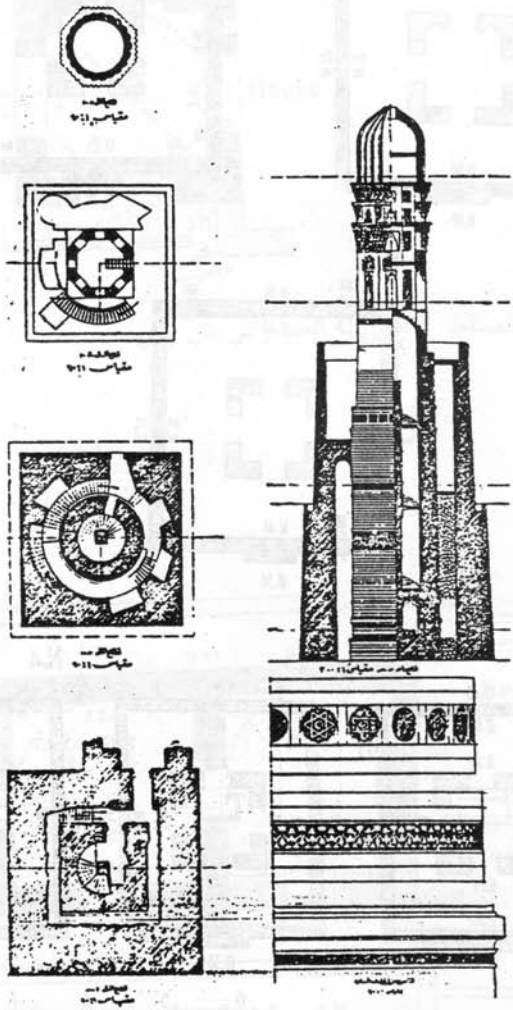

شكل (٢٥) قطاع رأسي لمئذنة جامع الحاكم الشمالية مصدر الآثار

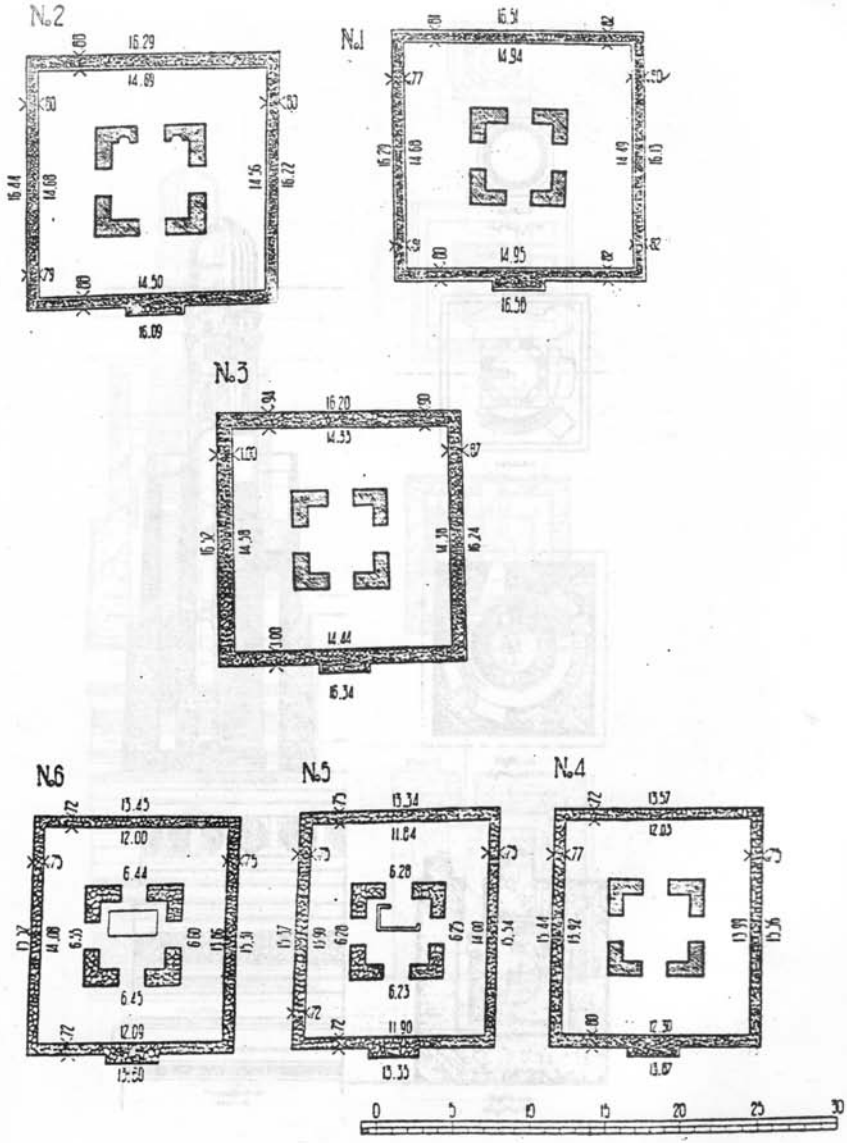

شكل (٢٦) المسقط الأفقى لمشهد القباب السبع عن Creswell

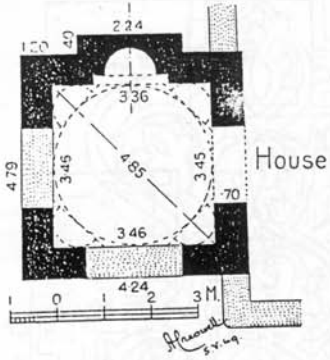

شكل (٢٧) المسقط الأفقى لقبة الحصواتي عن Creswell

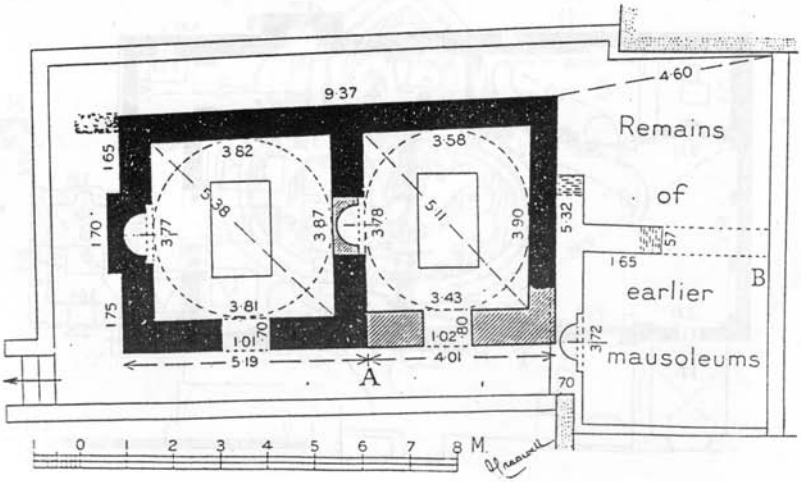

شكل (٢٨) المسقط الأفقى لقبتي الجعفري وعاتكة عن reswell

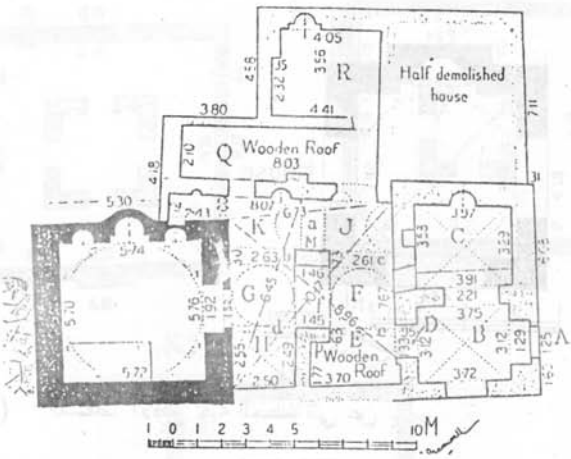

شكل (٢٩) المسقط الأفقى لقبة أخوة سيدنا يوسف عن Creswell

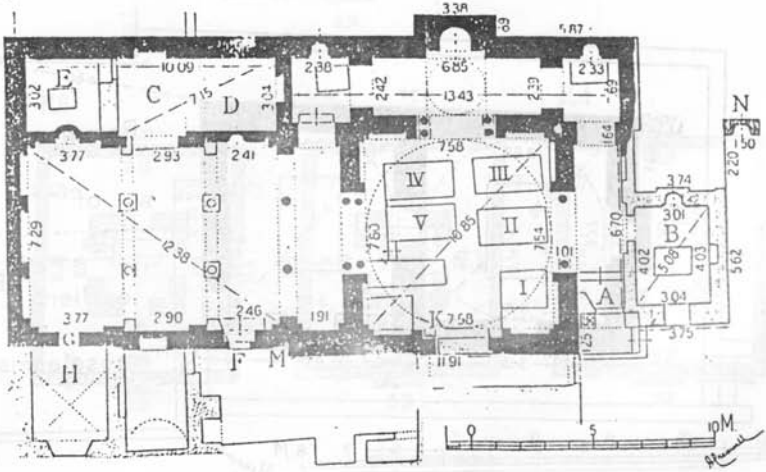

شكل (٣٠) المسقط الأفقى لقبة يحيى الشبيه عن reswell

شكل (٣١) زخارف نباتية من مشهد السيدة بنت احمد عن Barbara

شكل (٣٢) زخارف نباتية من محراب جامع ذى جبلة عن Barbara

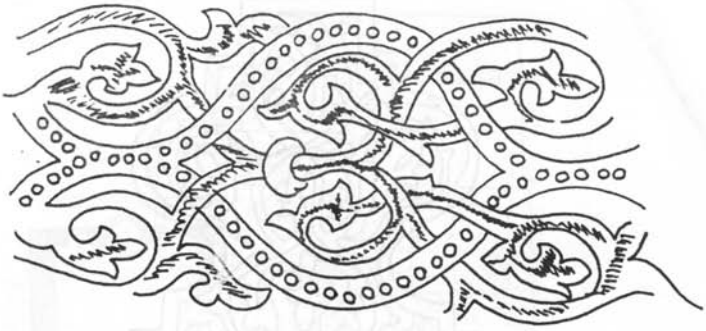

شكل (٣٣) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن Barbara

شكل (٣٤) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن Barbara

شكل (٣٥) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن Barbara

شكل (٣٦) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن Barbara

شكل (٣٧) زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن Barbara

شكل (٣٨) زخارف نباتية من محراب الجامع الأزهر عن د . احمد فكري

شكل (٣٩) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية عن Creswell

شكل (٤٠) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية عن Creswell

شكل (٤١) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية عن Creswell

شكل (٤٢) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية Creswell

شكل (٤٣) زخارف نباتية وهندسية من جامع ذى جبلة عن Barbara

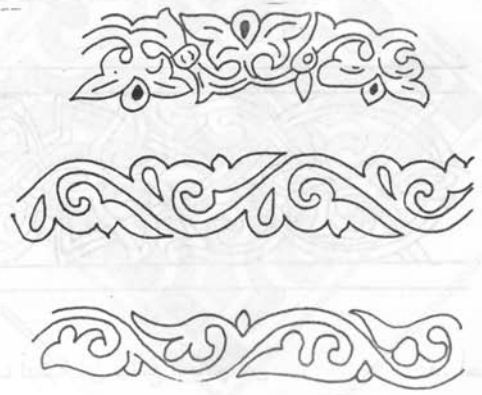

شكل (٤٤) أشرطة ذات زخارف نباتية من جامع ذى جبلة عن Barbara

شكل (٤٥) زخارف نباتية وهندسية من جامع ذى جبلة عن Barbara

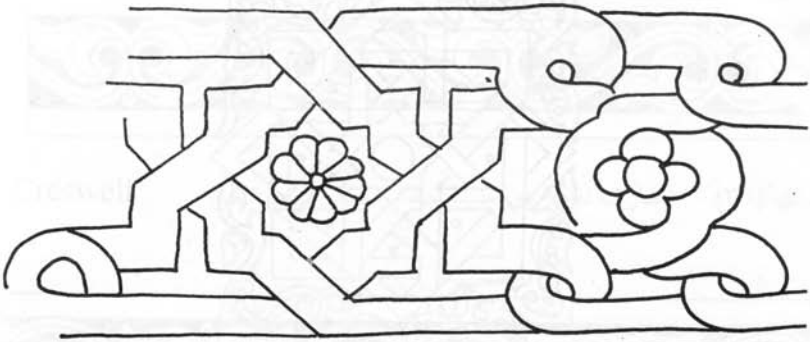

شكل (٤٦) زخارف نباتية وهندسية من جامع ذى جبلة عن Barbara

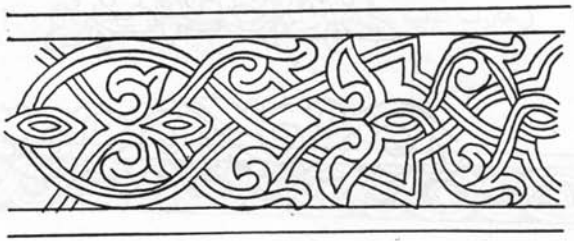

شكل (٤٧) زخارف نباتية من جامع الحاكم عن د. أحمد فكري

شكل (٤٨) زخارف نباتية من مئذنة جامع الحاكم الغربية عن Creswell

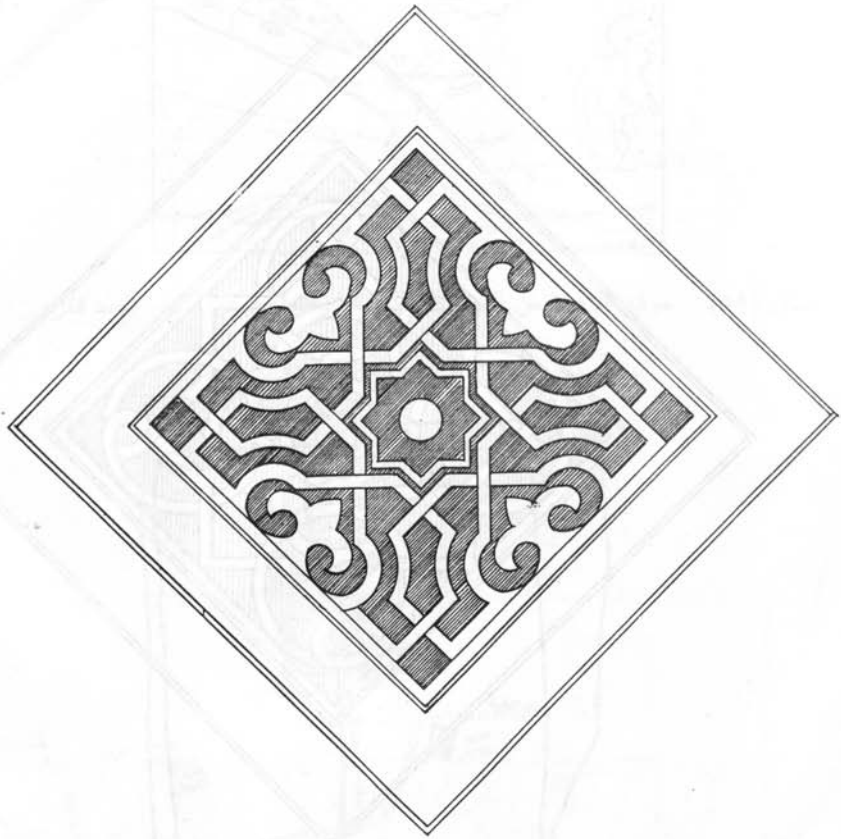

شكل (٤٩) تكوينات هندسية ونباتية من مدخل جامع الحاكم عمل الباحث

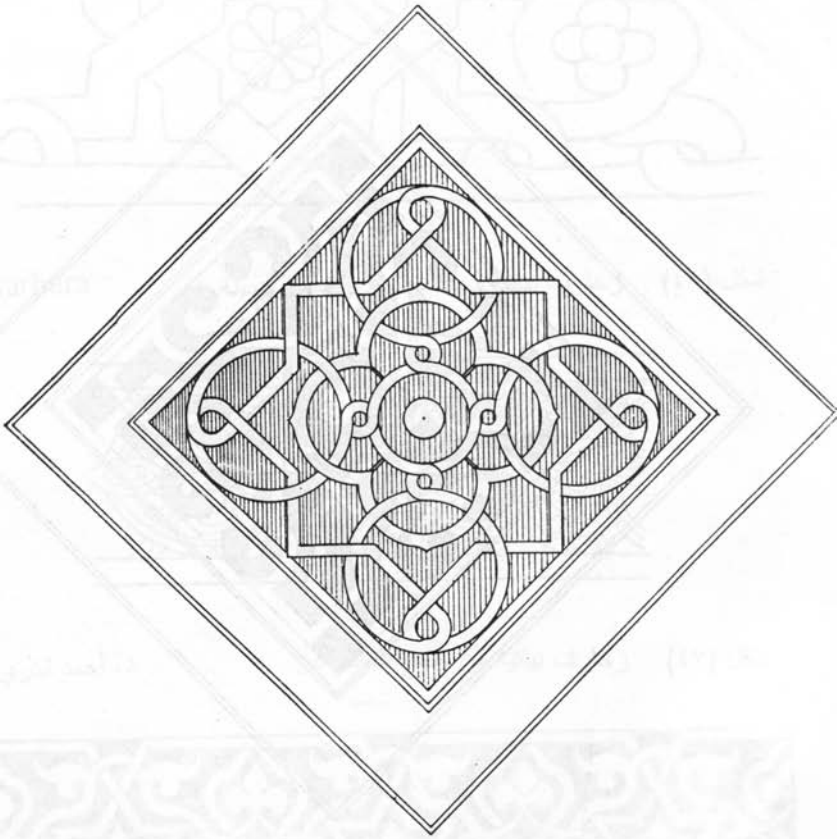

شكل (٥٠) تكوينات هندسية من مدخل جامع الحاكم عمل الباحث

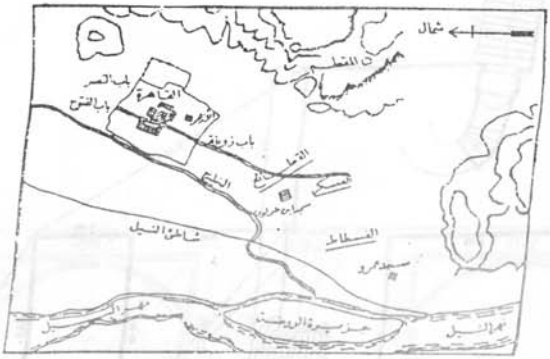

شكل (٥١) موقع القاهرة من الفسطاط والعسكر والقطائع عن د. احمد فكري

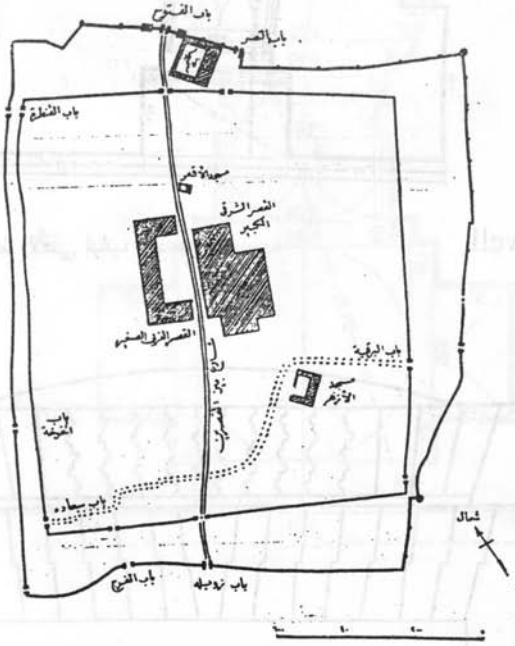

شكل (٥٢) القاهرة في عصري المعز والمستنصر بالله عن د. احمد فكري

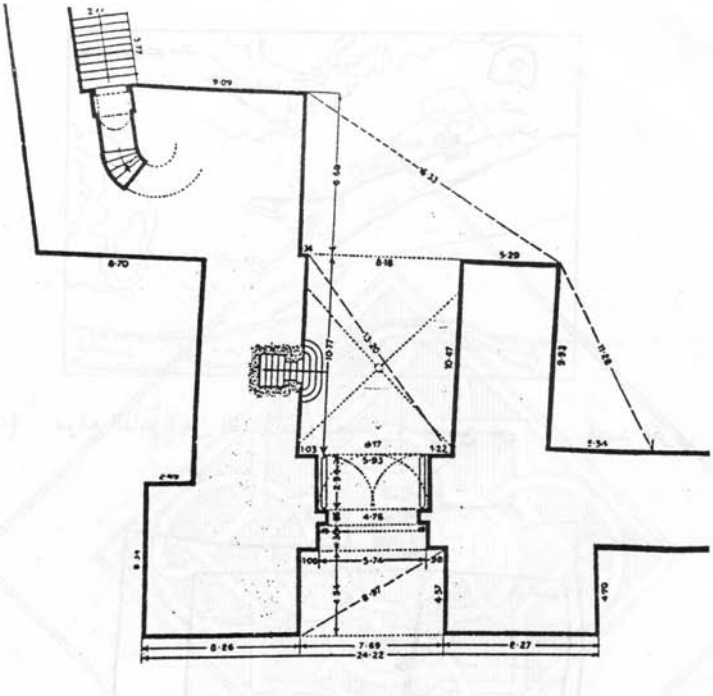

شكل (٥٣) المسقط الأفقى لباب النصر عن Creswell

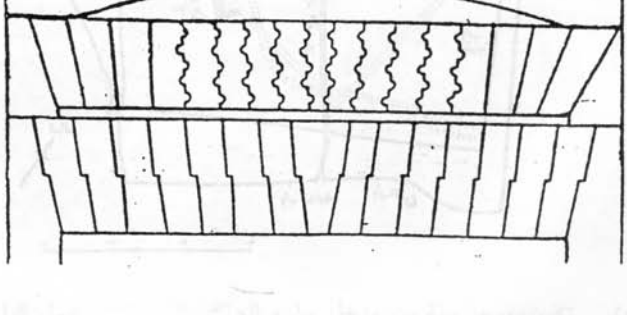

شكل (٥٤) رسم للصنج المعشقة في باب النصر عن د . احمد فكري

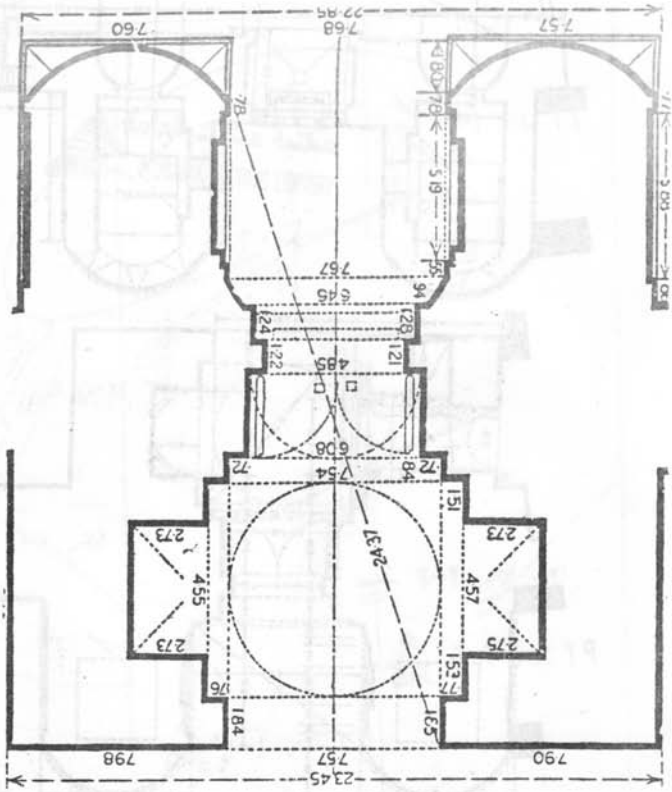

شكل (٥٥) المسقط الأفقي لباب الفتوح عن Creswell

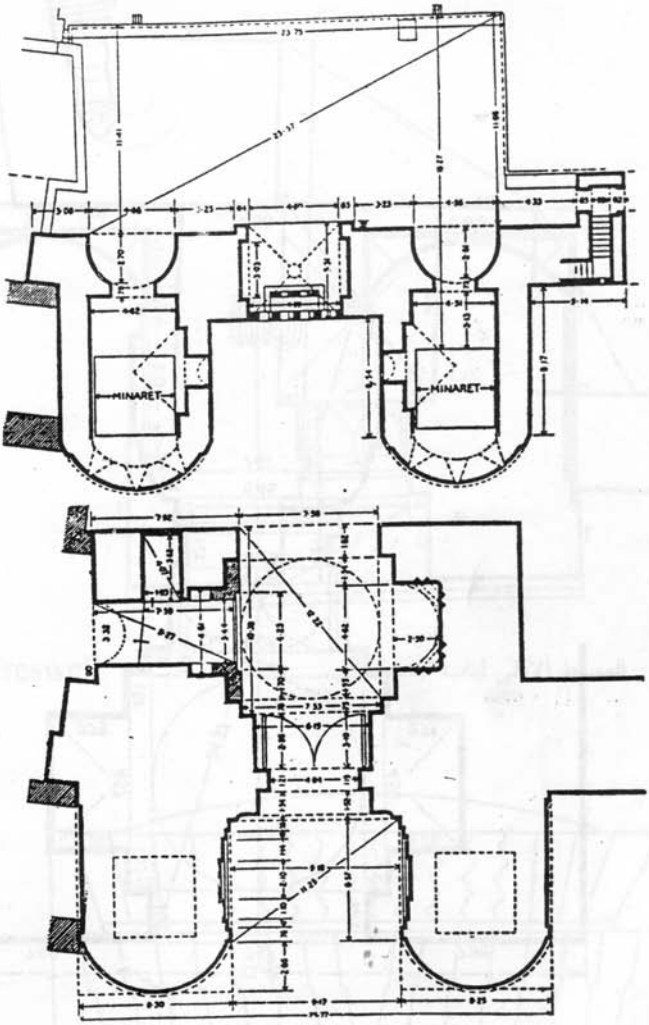

شكل (٥٦) المسقط الأفقي لباب زويلة (الطابق الأرضى والأول)عن Creswell

هذا الكتاب

على الرغم من الازدهار المعمارى الذى وصلت إليه الاثار الإسلامية الدينية والمدنية والدفاعية فى افريقيا ومصر واليمن خلال العصر الفاطمى والعلاقات السياسية والدينية الودية القوية التى ربطت بين الاقطار الثلاثة إلا أن هذه الاثار المعمارية لم تلق العناية القصوى من قبل الدارسين والباحثين فيما يتعلق بالدراسات الاثرية المقارنة حيث لم تحظ إلا بالفقرات القصيرة فى كل ما كتب.

ويتناول هذا الكتاب دراستًا معمارية مقارنة جديدتًا بين اثار الدولة الفاطمية المعمارية فى افريقية ومصر واثار الدولة الصليحية المعمارية فى اليمن بقلم الدكتور عبد الله كامل موسى.

وجاءت فصول الكتاب التسعة دراسة تاريخية وحضارية واثرية لاثار الفاطميين المعمارية فى افريقية ثم اثار الصليحيين فى اليمن فى مدن صنعاء وذى جبلة والتعكر وغيرها من المدن والقرى اليمنية ثم الدراسة المقارنة بين الاثار الفاطمية فى افريقية ومصر والاثار الصليحية فى اليمن وهى الدراسة التى شملت التخطيط والعناصر المعمارية والزغرفية وذلك لايضاح الموروث القديم والمؤثرات البيئية والتأثيرات الوافدية خاصتًا فيما يتعلق بالعمارة اليمنية.

الناشر

800009687
مـــكتبة مبارك العامة